The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Fundamentals of Religion
Master of Faith and Contemporary



الجامعـــــــــة الإســـــلاميـــة بـغـزة
عمـادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــــة أصـــــول الـــــديــــــــن
ماجستير العقيدة والمذاهب المعاصرة

منهج الإمام أبي العباس القرطبي في كتابه "الإعلام بما في دِين النَّصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دِين الإسلام وإثبات نُبُوة نبينا محمد عليه السَّلام"

The approach of Imam Abu Abbas Al-Qurtubi in his book "Al-Ialam bima fi deen Alnasara min Al-Fasad wa Al-Awham wa Ithhar Mahasen Deen Al-Islam wa Ithbat Noboat Nabiona Mohammed Alihi Al-Salam"

إِعدَادُ البَاحِثَةِ
حنان وائل إسماعي حجي

إِشرَافُ
الأستاذ الدُكتُور/
يحيى علي يحيى الدجني

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي العقيدة والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

شوال / ١٤٣٩هـ – يونيو / ٢٠١٨م

إقـرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

منـهج الإمام أبي العباس القرطبي في كتابه "الإعلام بما في دِين النَّصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دِين الإسلام وإثبات نُبُوة نبينا محمد عليه السَّلام"

The approach of Imam Abu Abbas Al-Qurtubi in his book "Al-Ialam bima fi deen Alnasara min Al-Fasad wa Al-Awham wa Ithhar Mahasen Deen Al-Islam wa Ithbat Noboat Nabiona Mohammed Alihi Al-Salam"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	حنان وائل حجي	اسم الطالبة:
Signature:	حنان وائل حجي	التوقيع:
Date:	٢٠١٨/٠٦/٣٠م	التاريخ:

نتيجة الحكم

عربي	اللغة	310683	الرقم العام للنسخة

التاريخ: ٧/١٠/ 201٨

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

الطالب/ حنان وائل اسماعيل حجي

رقم جامعي: 220150029 قسم: العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب

حنان وائل حجي

إدارة المكتبة المركزية

ملخص الدراسة

هدف الرسالة: إبراز منهج الإمام القرطبي الذي استخدمه في كتابه للرد على النصارى.

منهج الدراسة: استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، بالإضافة للمنهج الاستنباطي، خلال صفحات هذا البحث.

نتائج الدراسة:

١. مؤلف كتاب الإعلام هو الإمام أبو العباس القرطبي، وهو شخصية لها من القدر والعلم والمكانة والاطلاع الواسع، فهو علَّامة فهَّامة فقيه، مطلع على دقائق الدين النصراني، وقد نُسب الكتاب إلى غيره، فقد نسب للإمام المفسِّر أبي عبد الله القرطبي، وقد توصلت الدراسة إلى أن مؤلفه هو الإمام أبو العباس القرطبي.

٢. تنوعت المناهج العلمية التي استخدمها الإمام القرطبي في رده على النصارى، وإبطال عقائدهم الأساسية وإبطال تشريعاتهم، وكذا في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، وتقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة، فاستخدم المنهج العقلي والمنهج النقلي والتاريخي والمقارن والمنهج التقريري.

٣. غلب على الإمام القرطبي استعمال المنهج النقدي في مناقشة وإبطال قضايا العقيدة الأساسية عند النصارى.

٤. نوَّع الإمام القرطبي الأدلة التي استخدمها لإثبات نبوة محمد ﷺ، فكانت شاملة بشكل كبير، فكان منها بشارات أهل الكتاب، ومنها بشارات القرآن الكريم، ومنها دلائل المعجزات التي وقعت على يديه ﷺ.

توصيات الدراسة:

١. توصي الباحثة بالاستمرار في الكتابة المتعلقة بمناهج العلماء سواء القدامى أم المعاصرين، كالإمام الخزرجي، وغيره من أجل الوقوف على الأسس والقواعد التي أرساها كل عالِم .

Abstract

Objective of the study: this study aims at highlighting the approach of Imam Al-Qurtubi, which he used in his book to respond to Christians Allegations.

Research Methodology: The researcher used the descriptive analytical approach and the deductive approach to conduct this study.

Most important findings of the study:

1. The author of Al-Ialam book is Imam Abu Al-Abbas Al-Qurtubi, but imputing it to other writers is incorrect as the study shows.
2. Imam Al-Qurtubi tends to use the critical approach in discussing and refuting fundamental issues of Christians' religion.
3. Imam Al-Qurtubi used a number of approaches in his book, he used the traditional approach, the mental approach, the comparative approach, and the reporting approach etc.

The most important recommendations of the study:

There is a need to continue writing about scholars' approaches, whether the old or modern ones, in order to lay the foundations comparative religions science and institute academic rules.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

[العنكبوت: ٤٦]

الإهداء

◈ إلى المعلم والمربي الأول، الذي أشرقت بنوره عقول وقلوب العلماء إلى سيدي وحبيبي رسول الله ﷺ.

◈ إلى التي غمرتني بعطفها وحنانها، إلى التي ما زلت أتقلب في بركة دعائها، إلى من جعلها الله تعالى سببًا لتوفيقي ونجاحي في حياتي أمي الغالية.

◈ إلى من انتظر هذه اللحظات لحظة بلحظة، إلى رمز الوفاء والعطاء، أبي العزيز.

◈ إلى الذين أشد بهم أزري وهم شركائي في كل أمري، إلى الذين كانوا معي ووقفوا بجانبي في كل خطوة أخطوها، إخوتي وأخواتي

◈ إلى أخواتي اللواتي لم تلدهنَّ أمي، إلى من تميزوا بالعطاء والوفاء، وكانوا معي في كل خطواتي على طريق النجاح والخير أخواتي.

◈ إلى أمهاتنا، أهل القرآن، أهل الله وخاصته، أمهاتنا محفظات منطقة المغراقة الفاضلات، اللواتي كنَّ لي سندًا بدعائهنَّ المستمر، وتشجيعهنَّ الدائم لي.

◈ إلى زملاء العمل في بلدية المغراقة، وأخص منهم أعضاء المجلس البلدي.

◈ إلى كل من وقف بجانبي وكان لي معينًا، إلى كل من حفتني دعوته وإن لم أعلم به، إلى كل طالب علم وطالبة... أهدي هذه الرسالة.

إليهم جميعاً .. أهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ [النمل: ١٩]

اللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت يا ربنا، أشكرك ربي على نعمك التي لا تعد، وعلى آلائك التي لا تحد، الحمد لله الذي يسر لي إتمام هذا البحث على هذا الوجه، وأسأله تعالى أن يتقبل هذا مني، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وأتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل لمن غمرني بالفضل واختصني بالنصح، وقبل الإشراف عليَّ في رسالة الماجستير أستاذي وشيخي الفاضل/ أ. د. يحيى الدجني، أشكره على كل ما قدمه لي وأسأله تعالي أن يتقبل منه، وأن يرفع قدره في الدارين.

كما أتوجه بالشكر إلى عضوي لجنة المناقشة:

الدكتور/ محمد عثمان صالح حفظه الله

الدكتور/ عماد الدين عبد الله الشنطي حفظه الله

وذلك لقبولهم مناقشة رسالتي، ولما سيقدمانه لي من توجيهات نيرة، لتخرج هذه الرسالة في أبهى حلَّة، فجزاهما الله خير الجزاء، وأجزل لهما المثوبة والعطاء، والشكر موصول إلى الجامعة الإسلامية ممثلة بموظفيها إداريين وأكاديميين، وأخص منهم قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وأتوجه بالشكر لكل من وقف إلى جانبي وساندني ولو بدعوة في ظهر الغيب.

والشكر موصول إلى الجامعة الإسلامية ممثلة بموظفيها أكاديميين وإداريين، وأخص منهم قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين لجهودهم الرائعة في حفظ العقيدة الإسلامية ودعم البحث العلمي، فجزاهم الله خيراً.

ولا أنسى أن أقدم الشكر العظيم للأخوة الذين اجتهدوا في الحصول على مخطوط كتاب الإعلام من تركيا والمغرب، فبذلوا الجهد الكبير لكن باءت محاولاتهم بالفشل لصعوبة الحصول عليه، فجزاهم الله خيراً على جهدهم وتعبهم.

وأخيراً أقدم عظيم الشكر والتقدير لكل الأهل والأصدقاء والأحبة ولكل من ساهم وقدم ولو دعوة خير في ظهر الغيب حتى خرجت هذه الرسالة إلى النور، فبارك الله فيهم.

الباحثة/ حنان وائل حجي

قائمة المحتويات

المقدمة

إنَ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

يقول المولى جل جلاله: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٦]

لقد كان لعلماء السَّلف دور كبير في مُجادلة أهل الكتاب ومحاورتهم، والتَّاريخ يذكر العديد من المناظرات التي وقعت بين علماء المسلمين وعلماء النَّصارى، بالإضافة إلى تأليف علماء المسلمين الكثير من الكتب التي نقضت الديانة النَّصرانية أصولًا وفروعًا، ومن هؤلاء العلماء الإمام أبو العباس القُرْطُبي صاحب كتاب "الإعلام بما في دين النَّصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام" حيث يعد هذا الكتاب من أعظم الكتب في مقارنة الأديان ونقد الدِّيانة النَّصرانية، بالإضافة لإبرازه محاسن هذا الدين الإسلامي وعظمته وكذلك شمل هذا الكتاب إثبات نُبُوة محمد ﷺ بدلائل متنوعة، وسأقوم في هذا البحث ببيان المنهج العلمي الذي اعتمد عليه الإمام أبو العبَّاس القرطبي في إبطال العقائد النَّصرانية في هذا الكتاب، وكذلك منهجه في إثبات العقيدة الصحيحة فيه.

أهداف البحث:

١. بيان منهج الإمام أبي العبَّاس القرطبي في ردِّه على النصارى وتفنيد عقائدهم.
٢. بيان منهج الإمام أبي العباس القرطبي في تقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.
٣. إظهار القيمة العلمية لكتاب "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام".
٤. وضع مجموعة من القواعد والأسس لمجادلة أهل الكتاب.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال:

١. أنَّه يتناول الحديث عن شخصية علمية لها باع كبير في تأسيس علم مقارنة الأديان، وإبطال العقيدة النَّصرانية.

٢. يتناول دراسة كتاب من أهم كتب مقارنة الأديان التي لها دور كبير في الرَّد على النصارى.

٣. يعطي الباحثة المعرفة التي ترفع كفاءتها في مجال المقارنة بين الأدْيان وإثبات الحق وإبطال الباطل فيها.

٤. يُبرِز عظمة دين الإسلام وبطلان غيره من الأديان.

سبب اختيار الموضوع:

١. بيان مكانة كتاب "الإعلام بما في دين النَّصارى من الفساد والأوهام" وبيان القيمة العلمية له وخاصة أنه يحتل مكانة كبيرة بين كتب مقارنة الأديان.

٢. رغبة الباحثة في إبراز القواعد التي أرساها الإمام أبو العباس القرطبي من خلال هذا الكتاب حتى تكون دليلًا لكل من يريد مجادلة أهل الكتاب.

٣. الرغبة في اختيار موضوع يستفيد منه الدُّعاة المهتمون بهداية النَّصارى فلعل منهم من يكتب له الله ﷻ أن يُسلم على يديه نصراني.

٤. الاستجابة لدعوة القرءان الكريم في مجادلة أهل الكتاب قال تعالى ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ [العنكبوت: ٤٦] ولعل من أحسن الوسائل مجادلتهم بالدليل وإبطال عقائدهم من كتبهم.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة خلال هذه الدراسة على عدة مناهج منها:

أولا: المنهج الوصْفِي التحليلي[(١)] والذي يقوم بدراسة الظاهرة، وبيان خصائصها وحجمها وتحليلها بعد جمع المعلمات وتتبع النصوص لتكون أساسًا لتفسيرها وتوجيهها وتظهر

---

(١) انظر: منهجية إعداد البحث العلمي، عناية، ص ٧٧.

فاعلية هذا المنهج بعد جمع المعلومات المتعلقة بالنصارى وبيان ردود الإمام أبي العبَّاس القرطبي عليهم.

ثانيا: المنهج الاستنباطي[1]: وهو أساس هذا البحث ومن خلاله سيتم التوصل لمنهج الإمام أبي العباس القرطبي في رده على النصارى، فهو منهج يعتني بالتحليل الدقيق للنصوص.

طريقة البحث:

١. عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن، ووضع الآيات بين قوسين ﴿ ﴾ والتزام هذا الشكل في كل الآيات لتمييز الآيات القرآنية.

٢. عزو الأحاديث النبوية إلى مظانِّها من كتب السنَّة مع نقل حكم الحديث عليها، إلا إذا كان الحديث مخرجًا في الصحيحين أو أحدهما .

٣. توثيق الأحاديث بالشكل الآتي: اسم المصنَّف، اسم المؤلف، اسم المحقق، اسم الكتاب، اسم الباب، رقم الجزء، رقم الصفحة، رقم الحديث.

٤. توثيق نصوص الكتاب المقدس بذكر اسم السفر أولًا، ثم رقم الإصحاح، ثم رقم الفقرة، مع توثيقها في الحاشية.

٥. قامت الباحثة بتوثيق المعلومات في الحاشية على النحو التالي: اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم المحقق إن وجد، رقم الجزء والصفحة.

٦. الترجمة للأعلام المغمورين المؤثِّرين.

٧. الاستفادة من المواقع الإلكترونية وتوثيقها بذكر اسم المؤلف، اسم المقال، اسم الموقع، تاريخ الاقتباس، الرابط.

٨. عند إطلاق كتاب "الإعلام" فإن المراد به هو كتاب "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام بتحقيق د. أحمد حجازي السقا، وعند إطلاق اسم "الإمام القرطبي" في المتن، أو الاكتفاء باسم "القرطبي" في الحاشية فإن المراد به الإمام أبو العباس القرطبي، وإذا أطلق اسم "النصراني" فالمراد به صاحب كتاب "تثليث الوحدانية".

---

(١) انظر: منهجية إعداد البحث العلمي، عناية، ص ٤٢.

الدراسات السابقة:

بعد الاطِّلاع والبحث لم تجِد الباحثة كتابة مستقلة عن هذا الموضوع وإنما الحديث عن مواقف الإمام القرطبي من عقائد النصارى أو أن يكون جزءًا من الدراسات العلمية ولم تعثر الباحثة على دراسة مستقلة بهذا الموضوع، ومن هذه الدراسات:

١. دراسة بعنوان (جهود الإمام أبي العباس القرطبي المحدث المتوفى سنة ٦٥٦هـ في الرد على النصارى) للطالب: حمد الله عويس أبو الحمد أحمد، وهي عبارة عن رسالة ماجستير، وتتحدث الرسالة عن جهود الإمام المحدث أبي العباس القرطبي في محاربة النصرانية، ولم تتعرض الرسالة للحديث عن منهج القرطبي.

٢. دراسة بعنوان(الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي ٩٢هـ حتى سقوط غرناطة ٨٩٧هـ دراسة عقدية) للدكتور: خالد بن ناصر الغامدي، وهو عبارة عن كتاب مطبوع وأصله رسالة دكتوراه ، وأهم مضامين هذا الكتاب: التعريف بالأندلس وكيفية دخول النصرانية إليها، وذكر الكتاب أبرز العلماء الذين كان لهم دور بارز في الرد على النصارى وخصص منهم الإمام القرطبي وكتابه الإعلام، وذَكَرَ جهود العلماء في الرد على النصارى بنقضهم أصول الإيمان عندهم، وكذلك تحدث عن تطبيق العلماء لمنهج الإسلام في الحوار والجدال مع أهل الكتاب بالإضافة لجهودهم في الكتابة والجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، وكذلك لم يتطرق المؤلف للحديث عن منهج الإمام القرطبي.

وأما ما تميزت به هذه الدراسة عما سبقتها من الدراسات :

أنها تناولت الحديث عن المنهج العلمي للإمام القرطُبي في تصنيفه الكتاب، وكذلك إبراز المنهج العلمي للإمام القرطبي في ردِّه على النصارى من خلال كتاب(الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) والذي يعد كتابا عظيمًا، فهو من أبرز الكتب المؤسِسة لعلم مقارنة الأديان، وهو من أبرز الكتب التي نقضت العقائد والشرائع النصرانية، فالدراسات السابقة لم تتناول الحديث عن المنهج بل كان الحديث عن المواقف والجهود، وهذا خلاف ما ستفعله الباحثة في هذه الدراسة.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من تمهيد وفصلين وخاتمة وهو على النحو التالي:

تمهيد: التعريف بالإمام أبي العباس القرطبي وكتابه الإعلام:

أولا: عصره:

١. الحياة السياسية.

٢. الحياة العلمية.

ثانيا: اسمه ونسبه ومكانته العلمية:

١. اسمه، ونشأته.

٢. مكانته العلمية.

٣. شيوخه وتلاميذه.

٤. عقيدته.

٥. مؤلفاته.

٦. وفاته.

ثالثا: كتاب "الإعْلام" مكانته ونسبته إلى مؤلفه:

١. التعريف بالكتاب وسبب تأليفه.

٢. مكانة كتاب الإعلام.

٣. نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

الفصل الأول:

منهج الإمام القُرطُبي في تصنيف الكتاب، والرد على النصارى

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: طريقة الإمام أبو العباس القرطبي في تصنيف الكتاب، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التبويب الموضوعي.

المطلب الثاني: تنوع المصادر.

المطلب الثالث: عرض الشبهة كاملة ثمَّ تفصيل الرد عليها.

المطلب الرابع: عدم التَّصريح بالنقل عمن سبقه.

المبحث الثاني: منهج الإمام القرطبي النقدي في إبطال العقائد النصرانية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المنهج النقدي لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: منهج الإمام القرطبي النقدي "التثليث أنموذجًا تطبيقيًا".

الفصل الثاني:

منهج الإمام القُرْطُبي في إثبات نبوة محمَّد ﷺ وبيان محاسن الإسلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج الإمام القرطبي في إثبات نبوة محمد ﷺ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعدد النوعي لإثبات دلائل النبوة.

المطلب الثاني: استعمال الفرضيات والمقدمات المنطقية.

المطلب الثالث: منهج ضرب الأمثال.

المطلب الرابع: المنهج المقارن.

المبحث الثاني: منهج القرطبي في تقرير العقيدة والدفاع عن الإسلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج الإمام القرطبي في تقرير العقيدة الإسلامية.

المطلب الثاني: منهج الإمام القرطبي في الدفاع عن الإسلام.

التمهيد

التعريف بالإمام القرطبي وكتابه الإعلام

التمهيد

التعريف بالإمام القرطبي وكتابه الإعلام

أولًا: الحالة السياسية والعلمية

١. الحالة السياسية

عاش الإمام القرطبي في فترة نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع، وهي فترة ضعف وفتن وتسلط للنَّصارى والتتار على الأمة الإسلامية، ونَشَأ الإمام القرطبي في قرطبة ومنها نسبته إليها، ثمَّ انتقل للعيش في مصر بعد سقوط قرطبة في يد النصارى.

وقد تحدَّث الإمام القرطبي عن فترة خروج التتار وافسادهم في الأرض، فيقول في كتابه المفهم: "وخرج منهم في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله ، ولا يردهم عن المسلمين إلا الله، حتى كأنهم يأجوج ومأجوج، أو مقدمتهم، فنسأل الله تعالى أن يهلكهم ويبدد جمعهم"[١].

وقد كان خروج التتار من أعظم المصائب على أمة الإسلام، حتى قال الإمام ابن الأثير[٢] أنه أعرض عن ذكر ما حصل استعظامًا لهذه المصيبة فهو يرى أنها أعظم مصائب الإسلام، بل هي نعيه، فهي المصيبة الكبرى التي لم يُصاب الإسلام بمثلها، فيقول في الكامل: "لَقَدْ بَقِيتُ عِدَّةَ سِنِينَ مُعْرِضًا عَنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ اسْتِعْظَامًا لَهَا، كَارِهًا لِذِكْرِهَا، فَأَنَا أُقَدِّمُ إِلَيْهِ رِجْلًا وَأُؤَخِّرُ أُخْرَى، فَمَنِ الَّذِي يَسْهُلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ نَعْيَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ؟ وَمَنِ الَّذِي يَهُونُ عَلَيْهِ ذِكْرُ ذَلِكَ؟ فَيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، وَيَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ حُدُوثِهَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا... فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ الْعَالَمَ مُذْ خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آدَمَ، إِلَى الْآنِ، لَمْ يُبْتَلَوْا بِمِثْلِهَا، لَكَانَ صَادِقًا، فَإِنَّ التَّوَارِيخَ لَمْ تَتَضَمَّنْ مَا يُقَارِبُهَا وَلَا مَا يُدَانِيهَا، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَذْكُرُونَ مِنَ الْحَوَادِثِ مَا فَعَلَهُ بُخْتُ نَصَّرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْقَتْلِ، وَتَخْرِيبِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَمَا الْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا خَرَّبَ هَؤُلَاءِ الْمَلَاعِنُ مِنَ الْبِلَادِ، الَّتِي كُلُّ مَدِينَةٍ مِنْهَا أَضْعَافُ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ قَتَلُوا، فَإِنَّ أَهْلَ مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ مِمَّنْ قُتِلُوا أَكْثَرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَعَلَّ الْخَلْقَ لَا يَرَوْنَ مِثْلَ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج٢٣/٨٨.

(٢) هو: الإمام العلامة الحافظ فخر العلماء عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المحدث اللغوي صاحب "التاريخ" و"معرفة الصحابة" و"الأنساب" وغير ذلك، وُلد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٥هـ، وتوفي في أواخر شعبان سنة ٦٣٠هـ، وكان مكملًا في الفضائل علامة نسابة أخباريًّا عارفًا بالرجال وأنسابهم لا سيما الصحابة مع الأمانة والتواضع والكرم. انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، ج٤/١٢٩.

هَذِهِ الْحَادِثَةِ إِلَى أَنْ يَنْقَرِضَ الْعَالَمُ، وَتَفْنَى الدُّنْيَا، إِلَّا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَأَمَّا الدَّجَّالُ فَإِنَّهُ يُبْقِي عَلَى مَنِ اتَّبَعَهُ، وَيُهْلِكُ مَنْ خَالَفَهُ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ، بَلْ قَتَلُوا النِّسَاءَ وَالرِّجَالَ وَالْأَطْفَالَ، وَشَقُّوا بُطُونَ الْحَوَامِلِ، وَقَتَلُوا الْأَجِنَّةَ، فَإِنَّا فَإِنَّهَا تَحْفِرُ الْأَرْضَ بِحَوَافِرِهَا، وَتَأْكُلُ عُرُوقَ النَّبَاتِ لَا تَعْرِفُ الشَّعِيرَ، فَهُمْ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ خَارِجٍ..."[1].

وكان هذا الخروج للتتار كما يذكر الإمام ابن الأثير في عام ستمائة وسبعة عشر، أي في بداية القرن السابع.

أ- الحالة السياسية في الأندلس:

كانت ولادة الإمام القرطبي كما أسلفا في الفترة بين عام (٥٧٨_٦٥٦) هـ، وهي الفترة التي حكم فيها يوسف بن عبد المؤمن[2]، فقد تولى أبو يعقوب يوسف الخلافة عام ٥٥٨هـ، واستمرت خلافته حتى عام ٥٨٠هـ، وكان أبو يعقوب ضمن دولة الموحدين التي أسسها عبد الله بن تومرت[3] على أنقاض دولة المرابطين، وكان له دور بارز في صدِّ هجمات النصارى وصدِّ هجوم ابن مردنيش[4] الذي كان في جيشه عدد كبير من النَّصارى، وذلك في معركة "فحص الجلاب" والتي كانت من أقسى الضربات لابن مردنيش، وانهيار سلطانه شرق الأندلس، ومن الجهود التي قامت فيها كذلك ما قام به والي غرناطة أبي عبد الله بن أبي إبراهيم من تطهير حامية غرناطة من النَّصارى وأتباع ابن مردنيش وذلك في عام ٥٦٢هـ، فقد كان لهم دور كبير في صد هجوم النَّصارى.

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج١٠/ ٣٣٤-٣٣٥.

(٢) هو: السُّلْطَانُ الكَبِيْرُ، أَبُو يَعْقُوْبَ يُوْسُفُ ابْنُ السُّلْطَانِ عَبْدِ المُؤْمِنِ بنِ عَلِيٍّ، صَاحِبُ المَغْرِبِ، تملك بعد أخيه المخلوع، كان فصيحًا عالمًا باللغة، نظر في الطب والفلسفة، وحفظ الكثير من الكتب، وكان مطلعًا على المذاهب الأربعة، مات في رجب سنة خمسمائة وثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ج٢١/١٠٢.

(٣) هو: مُحَمَّد بن عبد الله بن تومرت أَبُو عبد الله الملقب بالمهدي المصمودي الهرغي المغربي، كان رجلًا بارعًا فقيهًا، أصله من جبل السوس من أقصى المغرب، ثم رحل إلى المشرق لطلب العلم، كان كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، انظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، ج٦/١٠٩.

(٤) هو: مُحَمَّد بْن سعد بْن مَرْدَنِيش. الأمير أبو عَبْد اللَّه، ولد سنة ثمان عشرة وخمسمائة، استعان بالفرنج في حرب الموحدين، سار إليه أبو يعقوب في عدد كبير من المحاربين فاستشعر العجز، ومرض مرضًا شديدًا وأمر بنيه أن يبادروا إلى أبي يعقوب ويسلموه البلاد، توفي عام ٥٦٧هـ، انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ج١٢/ ٣٧٩.

ثم جاء بعده ابنه يعقوب والذي خاطبه السلطان صلاح الدين الأيوبي، ففي عام ٥٨٣هـ في هذا العام استطاعت مصر أن تنهض وأن تهزم القوى الصليبية على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي وذلك بعد قضائها على الدولة الفاطمية[١]، وقد استصرخ السلطان صلاح الدين الأيوبي الخليفة الموحدي يعقوب المنصور يرجو منه العون والغوث، ولكن لم تكن لرسالته صدى وذلك بسبب الظروف التي كان يواجهها الخليفة سواء في اطفاء ثورات بني غانية في الأندلس، أم تجهيز الجيوش لاستئناف الجهاد ضد النَّصارى، وربما لم يكن لأهل المشرق أي علم بذلك، ولم ييأس السلطان صلاح الدين فجدد خطابه في العام الذي بعده ولكنه لم يلقَ جوابًا، ثم جاء بعده أبو عبد الله محمد بن أبي يوسف والذي هُزم في معركة العقاب في عام ٦٠٩هـ[٢]، ثم جاء بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد، وهكذا توالى خلفاء الدولة الموحدية حتى سقطت المدن الإسلامية واحدة تلو الأخرى وانهارت الدولة الموحدية، وحدث في عام ٦٣٣هـ أن سقطت عاصمة الخلافة قرطبة وكانت ضربة للمسلمين ورفع الصليب على مئذنة جامعه الأعظم[٣].

وأشار الإمام القرطبي إلى أسباب هذه الفتن والمآسي التي حلت بالمسلين، فيقول في كتابه المفهم: "كما شاهدناه في أزماننا هذه في المشرق والمغرب، وذلك أنه لما اختلف ملوك الشرق، وتجادلوا استولوا كافر الترك على جميع عراق العجم، ولما اختلف ملوك المغرب وتجادلوا استولت الإفرنج على جميع بلاد الأندلس، والجزر القريبة منها، وها هم قد طمعوا في جميع بلاد الإسلام، نسأل الله أن يتدارك المسلمين بالعفو، والنصر، واللطف"[٤].

فسبب هذه المصائب والخسائر التي حلت بالإسلام والمسلمين هي الاختلاف والتفرق.

ب- الحالة السياسية في مصر:

أقام الإمام القرطبي الشطر الثاني من حياته في مصر، فقد انتقل للعيش فيها بسبب سقوط قرطبة بيد النَّصارى، فقد انتقل عدد من العلماء للعيش في مصر بعد سقوط قرطبة، وكانت مصر في ذلك الوقت خاضعة للدولة الأيوبية، فقد توفي السلطان صلاح الدين بن أيوب ﷺ في عام ٥٨٩هـ، فخلفه ابنه العزيز ثم الأفضل ثم عمهما العادل ثم الملك الكامل بن محمد

---

(١) انظر: دولة الاسلام في الأندلس، محمد عنان، ج٤/ ١٦،١٨،٢٣،٤٢، ١٧٣، ١٤٠، ١٨١، ١٨٥.

(٢) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ج١/٢٣٥.

(٣) انظر: انبعاث الإسلام بالأندلس، علي الكتاني، ج١/٣٤.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج٢٣/٦٧.

العادل وذلك في عام ٦٣٣هـ[١]، وهو من كانت له اليد البيضاء في رد ثغر دمياط إلى المسلمين من أيدي الفرنج وذلك بعد أن رابطهم أربع سنين حتى استنقذه منهم[٢].

ثم حكم بعد وفاته الملك الصالح أيوب، وذلك سنة ٦٣٥هـ، ثم تولى ابنه توران شاه لكنه لم يلبث في الحكم إلا يسيرًا فقد قتله المماليك وبلك انتهت الدولة الأيوبية، وقامت دولة المماليك والذين كان لهم الدور الكبير في القضاء على التتار وذلك على يد المظفر قطز في معركة عين جالوت، في عام ٦٥٨هـ أي بعد وفاة الإمام القرطبي بعامين[٣].

٢. الحالة العلمية:

نشأ الإمام القرطبي في بيئة علمية مزدهرة رغم الفتن والحروب التي تعرض لها العالم الإسلامي، فكما أسلفنا أن الإمام القرطبي نشأ وترعرع في الأندلس ثمَّ انتقل للعيش في مصر بعد استيلاء الفرنج على قرطبة، وفي كلاهما بيئة علمية كما سنوضح ذلك.

أ- الحالة العلمية في الأندلس:

كانت الأندلس بلد العلم والعلماء، وقد اعتنى أغلب العلماء بذلك، فنرى في العهد الأموي الثاني الخليفة المستنصر بالله يُنشئ مكتبة ضخمة يضع فيها شتى أنواع الكتب، يقول ابن خلدون عنه: " وكان محبا للعلوم مكرّما لأهلها جمّاعة للكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله، قال ابن حزم: أخبرني بكيّة الخصيّ وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان، أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة وأربعون فهرسة، في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلّا ذكر أسماء الدواوين لا غير، فأقام للعلم والعلماء سلطانًا نفقت فيها بضائعه من كل قطر"[٤].

ولم يكن هذا مقتصرًا على الدولة الأموية بل كان أغلب الحكام مهتمين بالعلم والعلماء، سواءً في دولة الموحدين أم المرابطين، فيقول المراكشي عن يوسف بن تاشفين: " فانقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم"[٥].

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري، ج٦/ ٢٩٣، ٢٩٩

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري، ج١٣/ ١٢، ١٧٤،٢٠٦،

(٣) انظر: المرجع السابق، ج١٣/٢٥٥

(٤) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ج٤/١٨٧.

(٥) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ج١/١٢٣.

وأما عن يوسف بن عبد المؤمن في دولة الموحدين، فيقول: " ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب"(١).

وفي نهاية القرن السادس ٥٨١هـ ذاعت كتب ابن رشد الفلسفية والطبية وكتب كثيرًا من كتبه الفلسفية، ومعظمها في تلخيص كتب أرسطو وشروحها، وكَتَبَ كذلك كثيراً من الكتب الطبية، ومعظمها تلخيص وشروح لكتب جالينوس. ومنها "شرح لأرجوزة" الشيخ الرئيس ابن سيناء في الطب، وكتب كذلك كتابه "الكليات"، ليتناول فيه أبواب الطب الكلية أو الرئيسية، وهذا كله عدا ما كتبه في الأصول والفقه وعلم الكلام والحكمة والمنطق، وقد بلغت تصانيف ابن رشد في مختلف العلوم أكثر من سبعين كتابًا ورسالة اشتهرت كلها في المشرق والمغرب، وترجم الكثير منها فيما بعد إلى اللاتينية، ولاسيما شروحه لفلسفة أرسطو، وهي التي جعلت لابن رشد أعظم مكانة في ميدان التفكير الأوربي(٢).

وتعد بلاد الأندلس من أعظم البلاد التي تهتم بالعلم، وبالعلماء، يقول المقري: "وهي أكثر بلاد الأندلس كتبًا، وأشدّ الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب"(٣).

ب- الحالة العلمية في مصر:

بعد سقوط قرطبة بيد النَّصارى انتقل عدد كبير من العلماء إلى مصر وبالتالي انتقل النشاط العلمي إلى مصر، ومنهم الإمام القرطبي، وتلميذه أبو عبد الله القرطبي، يقول المقريزي عن الملك الكامل: "وَكَانَ يحب أهل الْعلم ويؤثر مجالستهم وشغف بِسَمَاع الحَدِيث النَّبَوِيّ"(٤)، وبشكل عام فقد ازدهر الوضع العلمي بشكل عام بمصر ودلالة ذلك كثرة العلماء الذين برز نجمهم في ذلك الوقت.

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ج١/١٧٦.

(٢) دولة الاسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، ج٤/٢٢٣

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، ج١/٤٦٢.

(٤) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج١/٣٨٠.

ثانيا: اسمه ونسبه ومكانته العلمية

١. اسمه ونسبه

"هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر، الشيخ العالم أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي"[١]. وقد "وُلِد الإمام القرطبي بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة"[٢].

ولم يُتَرجَم للإمام القرطبي في كتب التراجم إلا يسيرًا، فذكرت أنه كان يُعرَف بابن المُزَيِّن[٣] نسبة لأبيه، وقد كان من أعيان فقهاء المالكية[٤].

وقد ضنت علينا الكتب فيما يتعلق بأسرته كما ضنت علينا فيما يتعلق بالمعلومات حوله، فممَّا ذكرته: أنه ابن الشيخ الفقيه أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ[٥]، رغم عدم ترجمة كتب الرجال للشيخ أبي حفص والد الإمام القرطبي، لكن ذُكِر كونه فقيهًا في مقدمة كتاب الإمام القرطبي "المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم" فربما كان ذلك من إخبار بعض تلاميذ الإمام القرطبي.

وكذلك لم يكن وحيد والديه بل كان له أخ آخر يُدعَى أبو القاسم، كما يذكر ذلك تلميذ الإمام القرطبي، أبو عبد الله القرطبي المفسِّر فيقول في كتابه التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: "ولقد أخبرني صاحبنا أبو القاسم ﵀ أخو شيخنا أبو العباس أحمد ابن عمر ﵀: أنه ربط نحوًا من خمسين امرأة واحدة بعد أخرى في حبل واحد مخافة سبي العدو حتى خرجوا من قرطبة أعادها الله"[٦]، فيظهر من خلال هذا النص أن أبا القاسم هو أخ أصغر للإمام القرطبي وهذا يظهر من قول أبو عبد الله القرطبي "صاحبنا" وكأنه قرين له، ومعلوم أن القرطبي أبو عبد الله هو من تلامذة الإمام القرطبي[٧]، هذا إلى جانب إطلاقه لفظ "شيخنا" على الإمام أبي العباس القرطبي.

---

(١) البداية والنهاية، بن كثير، تحقيق: علي شيري، ج١٣/٢٤٧.

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ج٧/٤٧٣.

(٣) المُزَيِّن: بضم الميم وفتح الزاي وكسر الياء المشددة، وهو اسم يطلق على من يحلق الشعر، فالمزين هو الحلاق، انظر: الأنساب، السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ج١٢/ ٢٣٢.

(٤) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ابن فرحون، تحقيق: د. محمد الأحمدي، ج١/٢٤٠.

(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ص١.

(٦) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ص١٢٤٠.

(٧) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: محمد أبو النور، ج٢/٣٠٩.

وأما زواجه فقد تحدث الإمام القرطبي في كتابه المفهم عن ذلك فقال: "أني تزوجت امرأة، وقبل الدخول بها حُدِّثت عن صفتها ما أوقع في قلبي نفرة، فأريتها في النوم على الصفة التي كانت عليها في بيتها، ثمَّ إنِّي لمَّا اجتمعت بها وجدتها هي التي أريتها في النوم"(١)، فهذه الرؤيا التي رآها الإمام القرطبي كانت قبل زواجه عندما حُدِّث عنها ممَّا جعله ينفر منها، لكنه رآها في منامه على حقيقتها وعند اجتماعه بها فإذا بها كما رآها في منامه، وهذا دليل على دخوله بها وزواجه منها.

وأما إنجابه وأولاده فلم تتحدث الكتب عن ذلك، حسب تقدير الباحثة.

٢. طلبه للعلم ومكانته العلمية:

أ- طلبه للعلم:

نشأ الإمام القرطبي في بيئة علمية فوالده كان فقيهًا، وسَمِعَ الإمام القرطبي من خلق كثير من أهل قرطبة(٢)، فذكر ابن فرحون أنَّ الإمام القرطبي قد سافر مع والده وهو صغير لطلب العلم فقصد كثيرًا من البلاد منها: مكة والمدينة والقدس ومصر والإسكندرية وغيرها من البلاد(٣).

كما أسلفنا أن الإمام القرطبي قد خرج لطلب العلم صغيرًا مع والده، ورحل كذلك في رجولته إلى العديد من المدن المجاورة للمغرب كفاس، وتلمسان، وسبتة.

فقال ابن فرحون: " وسمع الحديث من مشايخ المغرب فلقي بفاس أبا القاسم: عبد الرحمن بن عيسى بن الملجوم الأزدي وسمِع بتلمسان من أبي عبد الله: محمد بن عبد الرحمن التجيبي ومن قاضيها أبي محمد: عبد الله بن سليمان بن حوط الله، وبسبته من عبد الحق بن محمد بن عبد الحق الخزرجي وغيرهم وروى عن أبي الأصبغ بن الدباغ"(٤).

وقد رحل الإمام القرطبي إلى مصر، وذكر هذه الرحلة في كتابه "المفهم" فقال: " أنِّي لمَّا وصلت إلى تونس قاصدًا إلى الحجِّ سمعت أخبارًا سيئة عن البلاد المصرية من جهة العدو الذي غلب على دمياط، فعزمت على المقام بتونس إلى أن ينجلي أمر العدو، فأريت في النوم

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، ج١٨/١٣٠.

(٢) انظر: ذيل مرآة الزمان، اليونيي، ج١/٩٥.

(٣) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: د. محمد الأحمدي، ج١/٢٤١.

(٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: محمد الاحمدي أبو النور ج١/٢٤١.

كأني في مسجد النبي ﷺ وأنا جالس قريبًا من منبره ، وأناس يسلمون على النبي ﷺ فجاءني بعض من سلَّم عليه ، فانتهرني وقال: قم فسلِّم على النبي ﷺ فقمت فشرعت في السلام على النبي ﷺ فاستيقظت وأنا أسلم عليه ، فجدد الله تعالى لي عزمًا، ويسَّر علي فيما كان قد صعب من أسبابي، وأزال عني ما كنت أتخوفه من أمر العدو، وسافرت إلى أن وصلت إلى الإسكندرية عن مدة مقدارها ثلاثون يومًا في كنف السلامة، فوجدتها والديار المصرية على أشد خوف، وأعظم كرب، والعدو قد استفحل أمره، وعظمت شوكته، فلم أكمل في الإسكندرية عشرة أيام حتى كسر الله العدو ، ومكَّنَّ منه من غير صنع أحد من المخلوقين ، بل : بلطف أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين . ثمَّ: إنَّ الله تعالى كمل عليَّ إحسانه، وإنعامه، وأوصلني بعد حج بيته إلى قبر نبيه ومسجده، فرأيته والله في اليقظة على النحو الذي رأيته في المنام من غير زيادة ولا نقصان"[1].

من خلال هذه الرؤيا التي رآها الإمام القرطبي نستطيع أن نحدد متى كان وصول الإمام القرطبي لأرض مصر، فالفرنجة قد استلموا دمياط بعد حصارها في السابع والعشرين من شعبان لسنة ستمائة وخمسة عشر، وكان قد استفحل أمرهم حتى شاء الله أن تُحرر في التاسع من رجب لعام ستمائة وثمانية عشر[2]، وبهذا يتبين أنَّ وصول القرطبي إلى أرض مصر كان قبل بداية الأسبوع الأول من شهر رجب بيوم أي كان في اليوم الآخر لشهر جمادي الآخر لعام ستمائة وثمانية عشر.

ويرى بعض الباحثين أن هذا الخروج للإمام القرطبي هو الخروج الأول له من قرطبة وذلك بناءً على هذه الرؤيا التي رآها فهو رأى المسجد الحرام لأول مرة في حياته وهذا يعني أنه لم يسبق له القدوم للحجِّ فهو يقول أنَّه رآه في اليقظة على النحو الذي رآه في المنام من غير زيادة أو نقصان، وكأنَّه لم يره قبل هذه المرَّة، ومعلوم أن أهل المغرب عند خروجهم من بلادهم أول شيء يفعلونه هو زيارة البيت الحرام وهذا يعني أن الإمام القرطبي لم يخرج من بلده مسبقًا قبل هذه المرَّة[3]، هذا رأي بعض الباحثين، وترى الباحثة والله أعلم أنه لا مانع من خروج الإمام القرطبي في صغره مع والده فوالده كان فقيهًا كما أسلفنا وربما صحِبه ابنه في بعض رحلاته من

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج١٨/١٣٠.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج١٠/ ٣٠٢. ٣١١.

(٣) انظر: القدوري، رحلات أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي في المغرب والمشرق ومؤلفاته العلمية (موقع إلكتروني).

باب الحرص على تعليمه، وربما هذه الزيارة هي الأولى له بعد البلوغ، ولم يكن يذكر حينها مسجد رسول الله ﷺ وبالتالي يكون الإمام القرطبي قد خرج مرتين مرة في طفولته بصحبة والده، ومرة أخرى بعد سن الأربعين وهي الأولى بعد بلوغه.

ب- مكانته العلمية:

كان الإمام القرطبي إمامًا عالمًا جامعًا لكثير من العلوم والتي منها: الفقه لاسيما الفقه المالكي، وكان عالمًا باللغة العربية، وعارفًا بالحديث فقد اختصر صحيحي البخاري ومسلم، وشرح صحيح مسلم في كتابه "المفهم"، واشتغل في بداية حياته بالمعقول[(١)]، وكان عنده القدرة على توجيه المعاني بالاحتمال، فقد أخذ نفسه بعلم الكلام وتغلغل فيه[(٢)]، وقد ظهر أثر علم الكلام في كتاب "الإعلام" كما سنرى بإذن الله تعالى.

ومما يدلل على علو قدره ورسوخ قدمه وعظم مكانته العلمية ما قاله ابن فرحون: "كان يشار إليه بالبلاغة والعلم والتقدم في علم الحديث والفضل التام، وأخذ عنه الناس من أهل المشرق والمغرب"[(٣)].

وقال عنه الإمام الذهبي: "وعالم الإسكندرية أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي"[(٤)].

ووصفه ابن مخلوف بالإمام العمدة الفقيه المتقن، فقال عنه: "الإمام العمدة العلامة الفقيه المتفنن الفهَّامة"[(٥)].

وبهذا يظهر أن الإمام القرطبي كان بحرًا من بحور العلم، إمامًا علّامة في قرطبة وفي مصر أيضًا، جامعًا لكثير من العلوم، محدِّثًا، فقيهًا، فكان من جهابذة العلماء.

٣. شيوخه وتلاميذه:

---

(١) أي أنه اشتغل بعلم الكلام وأصول الفقه وعلم الجدل والمناظرة.

(٢) انظر: ذيل مرآة الزمان، اليونيني، ج١/ ٩٦ . وانظر: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، يوسف بن تغري، تحقيق: د. محمد أمين، ج٢/٤٥

(٣) الديباج المذهب، ابن فرحون، تحقيق: محمد الاحمدي، ج١/ ١٤٢

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٦/ ٤٦٤.

(٥) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ابن مخلوف، ج١/ ٢٧٨.

أ- **شيوخه:**

سَمِعَ الإمام القرطبي من عدد من المشايخ والعلماء، ومن هؤلاء العلماء:

١) علي بن محمد بن حفص اليحصبي[١]، قال الإمام الذهبي: سمع منه الإمام القرطبي بقرطبة وقال لا أعرفه، وسمع منه الموطأ بروايته ومن القاضي أبو محمد بن حوط الله كلاهما عن ابن بشكوال بسنده[٢]، ولم تترجم له كتب التراجم.

٢) محمد بن عبد الرحمن التجيبي[٣]، قال الإمام الذهبي: "هو الحافظ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليمان المرسي، محدِّث تلمسان أَخَذَ القراءات عن عدد من المشايخ منهم أبي أحمد بن معطي، وأخذوا عنه بسبتة في حياة شيوخه سنة أربع وسبعين، ثم استوطن تلمسان وخرج وصنَّف وعمل معجم شيوخه في مجلد ورحل إليه المحدثون مات في جمادى الأولى سنة عشر وستمائة عن سبعين سنة"[٤]، وقد أخذ عنه الإمام القرطبي بتلمسان[٥].

٣) القاضي أبو محمد بن حوط الله، هو الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري المالقي[٦]، وهو من صدور القضاة وأعلام الفقهاء، كان إمامًا في العلوم وعارفًا بالأحكام وعالمًا بالحديث وما يتعلق به من التأريخ والأنساب وأسماء الرجال، وكان أديبًا ومعتنيًا بالرواية زاهدًا فاضلًا[٧]، قال عنه ابن الخطيب: "الفقيه الأجل العالم العدل، المحدِّث الأكمل، المتفنن، الخطيب" [٨] أخذ عن المقرئ الأندلسي عبد الصمد بن محمد الغساني[٩]، وعن المقرئ المجوِّد سليمان بن أحمد أبو الحسين اللخمي

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، ج١٤/٧٩٥.

(٢) انظر: ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، أبو الطيب المكي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ج١/٣٦١.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، ج١٤/٧٩٥.

(٤) تذكرة الحفاظ، الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، ج٤/١٢٦.

(٥) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ج١٤/ ٧٩٥.

(٦) المالقي: بفتح الميم وكسر اللام وفي آخرها القاف، هذه النسبة إلى مالقة، وهي بلدة من بلاد الأندلس بالمغرب، ومن المتقدمين منها عزيز بن محمد اللخمي الأندلسي المالقي وسليمان بن سليمان المعافري المالقي، انظر: الأنساب، السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى اليماني وغيره، ج١٢/٤٦.

(٧) انظر: تاريخ قضاة الأندلس، المالقي، ص١١٢.

(٨) الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، ج٢/٢١٤.

(٩) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، ج١/٣٩١.

الإشبيلي[١]، ولّي القضاء في بكور كثيرة من الأندلس منها: إشبيلية، ومرسية، وقرطبة، وميورقة، وسبتة، وسلا. توفي في غرناطة في ربيع الأول سنة ٦١٢هـ، وقد أخذ عنه عالم كثير[٢].

٤) عبد الحق بن محمد الخزرجي: هو عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بن أحمد المُقرئ أبو محمد الخزرجي القرطبي، وُلِد في حدود الخمس وعشرين وخمسمائة، أخذ القراءات عن ابن عم أبيه أبي زيد عبد الرحمن بن عليّ الخزرجي المقرئ وعبد الرحيم بن قاسم، أخذ العربية عن أبي القاسم بن سمجون، وتصدَّر للإقراء بقرطبة، وكان عارفًا بالقراءات ضابطًا لها، حدَّث عنه جماعة، وسَمِع منه أبو العباس القرطبي أكثر الموطأ سنة ستمائة بروايته عن أبيه، وكان قد عُمِّر وأسنّ، توفي في عام ستمائة وأربعة وكان قد قارب الثمانين[٣].

٥) أبو محمد قاسم بن فيرة: هو قاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الضرير المقرئ، وُلِد بشاطبة[٤]، في آخر سنة خمسمائة وثمان وثلاثين، أخذ القراءات ببلده عن جماعة من العلماء منهم أبو عبد الله بن اللاية الضرير وغيره، رحل لأداء فريضة الحج فسمع بالإسكندرية من أبي طاهر السلفي وتصدر للإقراء فيها وعظم شأنه وانتهت إليه الرياسة في الإقراء هناك، وله القصيدة اللامية الطويلة "حرز الأماني ووجه التهاني" توفي بمصر بعد صلاة العصر من يوم الأحد الثامن والعشرين من جمادي الآخرة سنة تسعين وخمسمائة[٥].

ومن شيوخ الإمام القرطبي أيضا:

---

(١) انظر: المرجع السابق ج١/٣١٢.

(٢) انظر: تاريخ قضاة الأندلس، المالقي، ص١١٢.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، ج١٧/٩٦ . وانظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، ج١/٣٥٩.

(٤) شاطبة: تقع شرق الأندلس وشرق قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة، خرج منها خلق من الفضلاء، وممن ينسب إليها: عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة أبو محمد السعدي الاندلسي الشاطبي، ومنها أحمد بن محمد بن خلف أبو العباس المالكي الأندلسي الشاطبي المقري، انظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، ج٣/ ٣٠٩.

(٥) انظر: التكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: عبد السلام الهراس، ج٤/٧٣.٧٤.

- أبو إبراهيم تقي الدين عوض بن محمود الحميري[1]،أبو الحسين مرتضي بن العفيف حاتم بن المسلم الحارثي المصري[2]،
- أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المصري الشافعي[3]، أبو الفضل أحمد بن عبد العزيز بن الحسين بن الجباب التميمي السعدي المالكي[4]، ومن الشيوخ الذين لم تعثر الباحثة لهم على ترجمة في كتب التراجم أبو القاسم عبد الرحمن بن عيسى بن ملجوم الأزدي، حيث سمع منه الحديث بفاس، وأبو الأصبغ بن الدباغ[5]، وجمال الدين المالكي[6].

ب- تلاميذه:

بَرَزَ عدة تلاميذ للإمام القرطبي لهم عظيم قدر وسعة علم ووفور عقل، وما عِلْمُهم إلا دليل على سعة عِلْم شيخهم وتأثرهم به، ولم تذكر المصادر إلا قليلًا منهم، ومن هؤلاء التلاميذ:

١) أبو عبد الله بن فرْح القرطبي:

هو الإمام العلَّامة محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح، الأنصاري، الخزرجي، القرطبي. إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه[7]، من هذه المصنفات[8]:

- كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن، وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعًا.
- كتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى.
- كتاب التذكار في أفضل الأذكار.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج١/٢٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ج١/٢٥.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج١١/١٠٢. ١٢/٢٩، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٢/ ٢٩، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، : ابن خلكان، تحقيق: إحسان إلهي ظهير، ج١/١٠٦.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ٢٥/١، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٦/٤١٣.

(٥) الديباج المذَّهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، ج١/٢٤١.

(٦) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ج ١٤/ ٧٩٥.

(٧) انظر: المرجع السابق، ١٥/ ٢٢٩.

(٨) انظر: الديباج المذَّهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: الأحمدي، ج٢/ ٣٠٩.

- التذكرة بأمور الآخرة.
- كتاب شرح التقصي.
- كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتاب والشفاعة.
- وله أرجوزة جمع فيها أسماء النبي ﷺ.

٢) شرف الدين الدمياطي:

هو عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى التوني الحافظ شرف الدين الدمياطي، من أهل التونة وهي قرية من عمل دمياط، ولد في سنة ثلاث عشرة وستمائة، كان الحافظ زمانه وأستاذ الأستاذين في معرفة الأنساب وإمام أهل الحديث المجمع على جلالته الجامع بين الدراية والرواية بالسند العالي للقدر الكثير، وله المعرفة بالفقه، وكان يلقب بشرف الدين، وله كنيتان: أبو محمد وأبو أحمد، وسمع من الجمّ الغفير والعدد الكثير بالإسكندرية، ودمشق، وحلب، ولازم بها الحافظ أبا الحجاج يوسف بن خليل، وسمع بمكة والمدينة وبغداد وماردين وحماة وغيرها، قال عنه الحافظ أبو الحجاج المزِّي: "ما رأيت أحفظ منه"، توفي فجأة في الخامس عشر من ذي القعدة سنة خمس وسبعمائة ودفن بمقابر باب النصر من القاهرة[١].

٣) محمد بن سليمان الزواوي:

هو محمد بن سليمان بن سومر الزواوي المالكي قاضي دمشق جمال الدين أبو عبد الله، حدَّث عن العلّامة شرف الدين المرسي بصحيح مسلم، والموطأ لمالك رواية يحيى بن يحيى، والشفا للقاضي عياض، وعن الشيخ عز الدين بن عبد السلام بأربعين من حديثه، مات سنة سبع عشرة وسبعمائة عن سبع وثمانين سنة بدمشق[٢].

ومن تلاميذه أيضا الحافظ أبو الحسن بن يحيى القرشي، وابن الآبار أخذ عنه بالإجازة[٣].

٤. عقيدته:

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تحقيق: د. محمود الطناحي، الحلو، ج١٠/ ١٠٢– ١٠٤.

(٢) انظر: ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، علي أبو الطيب المكي، تحقيق: كمال الحوت، ج١٥/ ٢٢٩.

(٣) انظر: الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي ج١/٢٤١.

على الرغم من سعة علم الإمام القرطبي وكثرة اطلاعه إلا أنَّنا نجد أنَّ الإمام القرطبي قد تأثَّر بمنهج المتكلمين، وسار على طريقة الأشاعرة في التأويل، ولا نشك أن هذا التأويل لاسيما في صفات الله وأفعاله جاء ضمن جهوده في خدمة الإسلام وضمن الظروف التي عاش بها، بخلاف أهل البدع الذين خالفوا لأجل الخلاف والابتداع، وكان الإمام القرطبي في بدايته قد أخذ نفسه بعلم الكلام وقد توجه للعلوم العقلية والأخذ بأقوال المتكلمين ومن المعلوم أن من خاض في هذه العلوم لا يمكن أن ينجو منها نجاة تامة بل لا بد أن يتأثر بشيء منها حتى بعد تركها، وعند النظر إلى مؤلفات القرطبي وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة نجد أنه يسلك مسلك الأشاعرة في صفات الله تعالى ومن ذلك:

أ. صفة الإتيان: فعند تأويله للإتيان في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ** ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ذَكَرَ أنَّ كل ذلك خطابات مستعارة جارية على المتعارف عليه من توسعات العرب، فهم يسمُّون الشيء باسم الشيء إذا جاوره أو قاربه[١]، وقال في "الإعلام": " وَلَيْسَ معنى الْإِتْيَان فِي هَذِه الْآيَة إِلَّا كالمجيء فِي الْآيَة الْمُتَقَدّمَة وَكِلَاهُمَا لَيْسَ المُرَاد بِهِ الْمَجِيء الَّذِي هُوَ نقل الْأَقْدَام بل الْمَجِيء والإتيان لَهما معَان أخر يعرفهَا الْعَرَب الْمُؤمنُونَ وَهَذِه الْآيَة فِيهَا مَحْذُوف تفسره آيَة أُخْرَى تَقْدِيره هَل ينظرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيهم أَمر الله كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَة أُخْرَى ﴿هَل ينظرُونَ إِلَّا أَن تأتيهم الْمَلَائِكَة أَو يَأْتِي أَمر رَبك﴾ فقد ذكر فِي هَذِه الْآيَة مَا حذف هُنَالك وَهَذَا على الْمَعْرُوف فِي لِسَان الْعَرَب من حذف الْمُضَاف وَإِقَامَة الْمُضَاف إِلَيْهِ مقَامه وَكَذَلِكَ الْكَلَام على الْآيَة الأولى وَهَذَا لَا خَفَاء بِهِ عِنْد الْبَصِير بِلِسَان الْعَرَب فَإِنَّهَا تسْتَعْمل الْحَذف والإضمار وَالْمجَاز والاختصار"[٢].

وجعْل هذه الصفات استعارات مخالف لمنهج السلف ﷺ قال الإمام الذهبي: قال ابن سُريج بعد حديثه عن آيات الصفات: " قَالَ اعتقادنا فِيهِ وَفِي الْآي الْمُتَشَابه فِي الْقُرْآن أَن نقبلها وَلَا نردها وَلَا نتأولها بِتَأْوِيل الْمُخَالفين وَلَا نحملها على تَشْبِيه المشبهين"[٣] فمنهج السلف رضوان الله عليهم إثبات صفة الإتيان لله يوم القيامة حقيقة ليس كإتيان المخلوقات، على الوجه اللائق به سبحانه.

---

(١) انظر المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج٣/ ٤١.

(٢) الإعلام، القرطبي، ص ص ١٢٥– ١٢٦.

(٣) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، الذهبي، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، ص٢٠٨.

ب. صفة الإصبع: وعند تفسيره لقول النبي ﷺ: "**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن**"(١)، قال: إذا جاء من يقول أنَّ لله إصبع وجب علينا أن نأوله، أو نتوقف فيه إلى أن يتبين، مع القطع باستحالة ظاهره، وقد يكن المراد به القدرة على الشيء(٢)، ولكنَّ الإصبع معلوم بحديث النبي ﷺ وكيفيته مجهولة وكذلك القول في جميع الصفات ويترك الخوض في تأويلها(٣).

ت. صفة الاستواء: أيضًا سَلَكَ الإمام القرطبي في تفسير للاستواء مسلكًا يخالف تفسير السلف للاستواء، فقد فسَّر الاستواء بالاستيلاء فقال: "لأننا نريد بقولنا هو على العرش مستوٍ واستوى على العرش أن العرش مسخر تحت قبضته ومسخر بقدرته، والاستواء عليه بمعنى الاستيلاء على ما يعرفه العرب من كلامها فإنها تقول:

قد استوى بشر على العراق ... بغير سيف أم دم مهراق"(٤)

وهذا تأويل مخالف لمنهج السلف بل فيه وقوع في التشبيه، فأيُّ تشبيه أكبر من تشبيه استواء الله تعالى على عرشه باستيلاء بِشْر على العراق، وصفة الاستيلاء من أوغل الصفات في التشبه بصفات المخلوقين، ويتوجه السؤال للمؤولين أيهما أحقُّ بالتنزيه عن مشابهة الخلق: الاستواء الذي مدح الله به نفسه؟ أم الاستيلاء الذي جئتم به من عند أنفسكم؟(٥) والسلف لا يؤولون المعنى فهو معلوم بمعنى العلو والارتفاع ولكنهم يؤولون الكيفية فقد "سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل: يا أبا عبد الله ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بالرجل فأخرج"(٦).

ث. أنه قال: بأنه لا يتوجه إلى الله بصيغ المطالب ما، أين، لم، كيف، متى، أين، وغيرها(٧).

ج. قول الإمام القرطبي: "ولا علة لصنعه"(١).

---

(١) [صحيح مسلم، مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله القلوب كيف يشاء، ٢٠٤٥/٤: رقم الحديث ٢٦٥٤].

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج٤٦/٢٤.

(٣) انظر: الأشاعرة في ميزان أهل السنة، فيصل الجاسم، ج١٣٦/١.

(٤) الإعلام، القرطبي، ص١٣٢.

(٥) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، الشنقيطي، ج١٢٢/١.

(٦) لمعة الاعتقاد، ابن قدامة المقدسي، ص١٤.

(٧) انظر: الإعلام، القرطبي، ص١٠٧.

ح. قوله: إن الله متكلم، ولكن بغير صوت ولا حرف[٢].

هذه بعض تأويلات الإمام القرطبي لآيات أو أحاديث الصفات، ومعلوم أن هذا التأويل مخالف لمنهج السلف رضوان الله عليهم، فهم يثبتون الصفات على قاعدة "ليس كمثله شيء" فالله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله[٣]، فهم يثبتون الإتيان لله تعالى يوم القيامة حقيقة بكيف مجهول، ويثبتون لله تعالى أصابع مخالفة بالحقيقة للمعهود، وكذلك يثبتون الاستواء بمعنى العلو والارتفاع، كما قال الإمام مالك عندما سُئِل عن كيفية استواء الله على عرشه فقال: "الاستواء معلوم والكيف مجهول"[٤].

وبالتالي يتبين لنا أن الإمام القرطبي أشعري المذهب، وقد سار على منهج الأشاعرة فخالف السلف في تأويله لصفات الله تعالى، رحم الله الإمام القرطبي وغفر له.

٥. مؤلفاته:

للإمام القرطبي العديد من المؤلفات منها ما وصل إلينا ومنها لم يصل إلينا ولكن علمنا تأليف الإمام القرطبي له من خلال الإحالات في كتبه أو نص علماء آخرين على ذلك في كتبهم، ومن هذه المؤلفات:

أ- تلخيص كتاب مسلم، ويمثل هذا الكتاب جهدًا عظيمًا، من أدق وأجل المختصرات لصحيح مسلم، بحيث يُقدم الكتاب للناس كافة، لينتفع منع العامي، لاختصاره وسهولة تناوله، وكذلك المتخصص، خاصة أنه يقدم مادة مختصرة بغير إخلال بها، وقد أحاط علمًا في هذا المختصر بكل ما أورده مسلم في صحيحه، وقد جمع الأحاديث المكررة في صحيح مسلم في أكثر من موضع ووضعها في موضع واحد يكون سهل الوصول دون تكرار، بالإضافة إلى محافظته إلى حد كبير على ترتيب الكتب والأبواب في صحيح مسلم[٥].

ب- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ويعد هذا الكتاب شرحًا لكتاب تلخيص صحيح مسلم، وقد تحدث عنه الإمام القرطبي في مقدمة الكتاب فقال: إنَّ هذا الكتاب يشمل شرح

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٠٧.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص ص١٠٨-١١٢.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص٩٨

(٤) المرجع السابق، ص٢٨١.

(٥) انظر: مقدمة تحقيق كتاب تلخيص صحيح الإمام مسلم، القرطبي، تحقيق: رفعت فوزي عبد الغني، أحمد محمود إبراهيم الخولي، ص ص٨ - ١٠.

الغريب لكتاب التلخيص ويحوي نكتًا إعرابية إضافة لجمعه حسن الترتيب، ومحاولة الإمام التسهيل والاختصار فيه[1]، فهو كتاب قيِّم جليل.

ت- كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، وهو كتاب يتحدث عن حكم الغناء واستعمال آلات الموسيقى، ذكر فيه حجج القائلين بجواز الغناء والقائلين بتحريمه، وتحدث في هذا الكتاب أيضًا عن حكم قراءة القرءان الكريم بالألحان، وحكم سماع غناء المرأة، واستعمال آلات اللهو والطرب، خاتمًا هذا الكتاب العظيم بالتحذير من أهل البدع وبيان أحوال السلف وسماعهم[2].

ث- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، سنفصل القول فيه بإذن الله تعالى في المطلب الثالث من هذا التمهيد.

وهناك كتب أخرى قد أحال إليها الإمام القرطبي في كتبه، أو أحال إليها علماء آخرون، منها:

أ- إظهار إدبار من أجاز الوطء بالأدبار، وقد أحال عليه في المفهم، فقال الإمام القرطبي: "وقد حكينا نص ما نقل عن مالك من ذلك في جزء كتبناه في هذه المسألة سمَّيناه: "إظهار إدبار من أجاز الوطء في الأدبار"، وذكرنا فيه غاية أدلة الفريقين، ومتمسكاتهم من الكتاب والسنة على طريقة التحقيق، والتحرير، والنقل، والتحبير. ومن وقف على ذلك قضى منه العجب العجاب، وعلم أنه لم يكتب مثله في هذا الباب"[3] .

ب- الجامع لمقاصد الأصول، وقد أحال عليه الإمام القرطبي في كتابه المفهم فقال: "وقد ذكرنا حجج الفريقين في كتابنا: الجامع لمقاصد علم الأصول" [4].

ت- الجدل، وقد ذكر اسم هذا الكتاب الإمام الزركشي عند حديثه عن المسلك السادس: مسلك السبر والتقسيم، فقال: " وَنَازَعَ فيه جَمَاعَةٌ من الْمُتَأَخِّرِينَ منهم أبو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ في جَدَلِهِ"[5]، فهذا يقتضي أنَّ الإمام القرطبي قد أَلَّف كتابًا اسمه الجدل ذَكَرَ فيه هذه المسألة.

ث- جزء في صلاة الآبق والسكران، وهذا الجزء قد أشار إليه أيضا في كتابه المفهم وذلك عند شرحه لحديث النبي ﷺ: " **إن شارب الخمر لا تقبل له صلاة أربعين يوما**"[1]، فقال بعد ذكره

---

(١) انظر: مقدمة كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، ج١/٣.

(٢) انظر: كتاب كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، القرطبي.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج١٣/٢١.

(٤) المرجع السابق، ج١/٢٨.

(٥) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، تحقيق: د. محمد محمد تامر، ج٤/٢٠٢.

الحديث: " وقد كنَّا كتبنا في ذلك الحديث جزءًا حسنًا"[٢]، أي أنَّه قد خصَّص الحديث عن صلاة الآبق والسكران بجزء مستقل.

ج- جزء في طلاق الثلاث، وعند حديثه في هذا الباب قال: "وإيقاع الطلاق ثلاثًا يقال عليه طلاق بالاتفاق فتلزم تلك الأحكام. وقد أشبعنا القول في هذا في جزء كتبناه في هذه المسألة سؤالًا وجوابًا"[٣]، أيضًا كلامه يقتضي أنَّه كَتَبَ جزءًا مستقلًا في هذه المسألة.

ح- جزء في كراء الأرض، وذلك عند حديثه عن كراء الأرض قال: " وقد كتبنا في هذه المسألة جزءًا حسنًا"[٤].

خ- شرح التلقين، ولم يكن هذا الكتاب كاملًا عند حديثه عنه فقد قال: " وقد طولنا النفس في هذه المسألة في كتابنا في "شرح التلقين" أعان الله على تمامه"[٥] ، فلا يُعلَم هل أتمه أم لا؟

د- مختصر الجامع لصحيح البخاري، وهو كتاب مختصر لصحيح البخاري أشار إليه إسماعيل باشا في كتابه[٦].

٦. وفاته:

بعد عمر حافل بالعطاء جاهد فيه النَّصارى بكتبه، واشتغل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، تُوفي الإمام العلاَّمة المحدِّث الكبير في الإسكندرية سنة ست وخمسين وستمائة[٧]، وقد تجاوز السبعين من عمره، وقد حق فيه قول الشاعر:

وما كان قيس هلكه هلك واحد *** ولكنه بنيان قوم تهدما[٨]

رحم الله الإمام القرطبي وجعله من الذين أنعم الله عليهم.

---

(١) [السنن الصغرى النسائي، النسائي، كتاب الأشربة/ باب ذكر الرواية المبينة عن صلوات شارب الخمر، ٣١٤/٨: رقم الحديث ٥٦٦٤]، بلفظ: "لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي فَيَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا"، حكم الألباني: صحيح.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، ج٢/٢١.

(٣) المرجع السابق، ج١٣/ ٧٧.

(٤) المرجع نفسه، ج١٤/٤٨.

(٥) المرجع نفسه، ج٣/١٢٤

(٦) انظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، البغدادي، ج١/٩٦.

(٧) انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص٤٥٧.

(٨) ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، ج١/٦٢.

ثالثا: كتاب "الإعلام" ونسبته إلى مؤلفه

١. التعريف بالكتاب وسبب تأليفه:

أ. اسمه:

"الإعلام بما في دين النَّصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة نبينا محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام"(١).

ب. محتويات الكتاب:

اشتمل هذا الكتاب على أربعة أبواب وكل باب مقَسَّم إلى عدة فصول، وقد تقَدَّم هذه الأبواب صدر للكتاب، اشتمل هذا الصدر على ردِّ الإمام القرطبي على صاحب كتاب "تثليث الوحدانية" معترِضًا على اسم الكتاب مبينًا فساده من الناحية اللفظية ومن الناحية المعنوية، مؤكدًا ركاكة أسلوبه ومخالفته لمن سبقه من النَّصارى أمثال زعيم القسيسين أغشتين(٢)، وأمَّا أبواب الكتاب فهي على النحو التالي:

١) **الباب الأول**(٣): تكلم فيه الإمام القرطبي على مذاهب النَّصارى في الأقانيم(٤) وأَبْطل أقوالهم فيها، وقد شَمِل هذا الباب على خمسة فصول:

الفصل الأول: ذَكَرَ فيه كون الأقانيم أسماء وأفعال.

---

(١) هكذا أُثبت اسم الكتاب في المخطوطة ، انظر مقدمة كتاب الإعلام، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ص٥، وصورة الصفحة الأولى من المخطوط قد أثبتها المحقق صفحة (٣٩) تثبت اسم الكتاب كاملًا.

(٢) أغشتين: (٣٥٤. ٤٣٠) م، حاول أن يصل بعقله إلى الحقيقة العليا، فبدأ بالمانوية ثم سلك مذهب الشك، ثم الأفلاطونية الجديدة، ثم انتهى إلى المسيحية، ويرى أغسطين أن الإرادة الحرة هي مصدر الشر، انظر: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، إتين جلسون، ترجمة وتعليق: أ. د. إمام عبد الفتاح إمام، ص٥٠، ص١٥٩، وانظر: فجر الإسلام، أحمد أمين، ص١٢٦.

(٣) انظر: الإعلام، القرطبي، ج١/٥٥–٨٨.

(٤) الأقانيم: "أقنوم" تعريب للكلمة السريانية "قنوما – Qnoma"، وبالإنجليزية هي Hypostasis وجمعها "أقانيم". وكلمة "أقنوم" تفيد المعاني التالية: شخص – ذات – عين – حقيقة – جوهر – أصل – ماهية – طبيعة مفردة – كائن حي قائم بذاته (أي أنه يستمد أعماله من ذاته وليس من آخر). واختصت الكلمة بأقانيم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، وهى في اليونانية ὑπόστασiς (هيبوستاسيس)، قاموس الكتاب المقدس_ دائرة المعارف الكتابية، http://cutt.us/wwYqK، وعرفها الإمام الباقلاني فقال: هي صفات الجوهر، وقيل هي أشخاص، وقيل المراد بها خواص فقط، انظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ص ص١٠٦– ١٠٧.

الفصل الثاني: تحدَّث عن أقانيم الصفات وهي القدرة والعلم والحياة، وناقشهم في أقوالهم وأبطلها. الفصل الثالث: فتحدَّث فيه عن التثليث وتعليل النَّصارى له.

الفصل الرابع: ذَكَر أدلتهم على التثليث.

الفصل الخامس: تكلم الإمام القرطبي في مذاهب النَّصارى في الأقانيم واختلافهم في حقيقة الأقانيم.

٢) **الباب الثاني**[١]: بيَّن مذاهبهم في الاتحاد والحلول وأبْطَل أقوالهم فيهما وقد شَمِل هذا الباب ستة فصول وهي كالآتي:

الفصل الأول: تحدث فيه عن اتحاد الكلمة، وقد ألزمهم إلزامات كثيرة تُبطِل ما ذهبوا إليه.

الفصل الثاني: تَكَلَّم عن معنى الاتحاد وردَّ على قولهم أنَّ الحادِث صار إلهًا قديمًا، وردَّ على قولهم أيضًا في علة الاتحاد.

الفصل الثالث: تكَلَّم عن قولهم بوجود الواسطة بين الله تعالى وبين موسى عليه السلام وأَثْبَتَ أن الكلام كان صفة لله تعالى وأمَّا سَمْع موسى عليه السلام له كان بخلق الإدراك له.

الفصل الرابع: ذكَرَ قولهم بتجسد الواسطة وأَبْطَل قولهم في ذلك.

الفصل الخامس: ذَكَرَ بعض مذاهب النَّصارى المتقدمين في الاتحاد والحلول كالآريوسية[٢]، واليعقوبية[٣]، والنسطورية[٤]، وأورد العديد من الإلزامات عليهم.

الفصل السادس: ذكر فيه مذهب زعيم القسيسين "أغشتين"، مُبطِلًا أقواله قولًا بعد قول.

٣) **الباب الثالث**[١]: تكلم فيه الإمام القرطبي عن النُّبوات وذَكَرَ كلامهم فيها وقد قسَّم هذا الباب الباب إلى قسمين، **القسم الأول** شمل سبعة فصول:

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ج١/٨٩-١٥٧.

(٢) الآريوسية: وهم أتباع آريوس، قالوا أن المسيح عليه السلام رسول كسائر الرسل ومربوب وليس ربا أو إلها، انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، تحقيق: محمد أحمد الحاج، ج٢/٥٣٦.

(٣) اليعقوبية: هي فرقة من فرق النصارى قالت أن المسيح هو الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وأنه هو من قتل ومات على الصليب، وبقي العالم بلا مدبر لثلاثة أيام، انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج١/٤٨.

(٤) النسطورية: هي فرقة من فرق النصارى قالت أن للمسيح جوهران أقنومان محدث وقديم، وأن مشيئتهما واحدة وإن كانوا جوهرين، انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، ج٤/٨٢.

الفصل الأول ذكر فيه قول مؤلف "تثليث الوحدانية" من أنَّ الأمم متكافئة في ادِّعاء الإيمان لنفسها وحاكمة لغيرها بالكفر وقد بيَّن الإمام القرطبي فساد هذا القول.

الفصل الثاني: تكلم فيه عن المسيح المنتظر وأدلتهم عليه.

الفصل الثالث: ذَكَرَ كلام النصراني واستدلاله أنَّ المقصود من كلام الأنبياء هو المسيح عليه السلام.

الفصل الرابع: بيَّن فيه ما طَرَأ في التوراة من الخلل وأنها لم تُنقل نقلًا متواترًا، فلم تسلم من الخطأ والزلل، فذكر الأدلة التاريخية لتحريف التوراة ثم أثبت التناقضات ووجود المطاعن في الذات الإلهية وفي الأنبياء.

الفصل الخامس: بيَّن فيه أن الإنجيل ليس بمتواتر وأبطل نقل الحواريين للإنجيل لأسباب ذكرها، إضافة لوجود التناقضات الكثيرة حيث ذكر العديد من الأمثلة على ذلك.

الفصل السادس: ذَكَرَ مجموعة من الشبهات والطُّعون أوردها صاحب كتاب "تثليث الوحدانية" تطعن في أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وزوجه هاجر، وفي خاتم الأنبياء محمَّد ﷺ، ردَّها جميعًا ذاكرًا بعدها أدلة على صدق هذا الدين منها: إظهار الله تعالى له.

وأما **القسم الثاني** من هذا الجزء فقد أورد فيه مقدمتين:

المقدمة الأولى: ذَكَرَ فيها معنى النُّبوة والرسالة والفرق بين الرسول والنَّبي، وبين معنى المعجزة وحقيقتها ووجه دلالتها.

وأما المقدمة الثانية: أراد أن يُثبت من خلالها كيفية تحريف دين المسيح على يد بولس، ثمَّ ذَكَرَ ما فعله قسطنطين، وأكد من خلال هذه المقدمة أن المعجزات التي جاء بها المسيح عليه السلام إنما كانت لإثبات نبوته وليس ألوهيته.

- أنواع القسم الثاني: ذكر أربعة أنواع من الأدلة لإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ منها:

النوع الأول: إخبار الأنبياء السابقين قبله وتبشيرهم به مثل: موسى وإبراهيم عليهما السلام، وما جاء على لسان الأنبياء أشعيا وحزقيال ودانيال وحبقوق.

النوع الثاني: الاستدلال بقرائن أحواله، ومن ذلك ما ظهر لأُمه وأبيه من إرهاصات قبل ولادته، والبركات التي نَزَلت على مرضعته، وقد استدل بهذه القرائن علماء أهل الكتاب

---

(١) الإعلام، القرطبي، ج١/١٥٩-٣٨٧.

كالراهب ورقة بن نوفل، والحبر ابن الهيبان وغيرهما، إضافة لكون النَّبي ﷺ خُصَّ بالكمال الظاهر والباطن وكمال الأخلاق.

والنوع الثالث: الاستدلال بنبوته بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو أعظم المعجزات وأظهرها، وذَكَرَ ثلاثة وجوه من وجوه الإعجاز في القرءان الكريم.

وأما النوع الرابع: الاستدلال بنبوته بجملة من الآيات الخارقة للعادة وقسمها على ثلاثة عشر فصلًا، منها انشقاق القمر وانحباس الشمس وتكثير الطعام وإحياء الموتى وغيرها.

٤) **الباب الرابع**(١) والأخير من هذا الكتاب بين فيه أنَّ النَّصارى متحكمون في أديانهم وأنه لا مستَنَد لهم في أحكامهم إلا محض أهوائهم وقد شمِل هذا الجزء على فصلين:

الفصل الأول: بيَّن أنَّ النَّصارى ليسوا على شيء وأن مستَنَد أحكامهم إمَّا المنامات كما فعل بولس أو الخرافات أو الجهل والهوى.

الفصل الثاني: بيَّن فيه خروج النَّصارى عن تعاليم التوراة والإنجيل وتأويلهم لكثير من أحكامهما وقد ألزمهم في هذا الفصل العديد من الإلزامات لإبطال ما ذهبوا إليه.

ثمَّ ذَكَرَ بعد ذلك فنين:

الفن الأول: تحدَّث عن عدد من شعائر النصارى وطقوسهم منها: المعمودية، وتركهم الختان، وصيامهم، وتقديس دورهم بالملح.

وأمَّا الفن الثاني: ذَكَرَ فيه محاسن دين الإسلام، مبينًا اعتقاد المسلمين في الألوهية والنبوات واليوم الآخر، وبيَّن أنَّ كل قاعدة من هذه القواعد يعضدها دليل سمعي وعقلي، ثمَّ ردَّ على صاحب كتاب "الحروف" الذي تواقَحَ على الإسلام وختم هذا الكتاب بدعاء مأثور عن النبي ﷺ.

ت. وأما سبب تأليفه:

فقد بيَّن الإمام القرطبي سبب تأليفه للكتاب فقال: "فقد وقفت على كتاب كتب به بعض المنتحلين لدين الملة النَّصرانية سماه كتاب تثليث الوحدانية بعث به من طُليطلة(٢) أعادها الله إلى مدينة قرطبة حرسها الله متعرضا فيه لدين المسلمين ... فاستخرت الله تعالى في جواب

---

(١) الإعلام، القرطبي، ج١/٣٨٩-٤٥٨.

(٢) طليطلة: وهي مدينة منيعة جليلة ليس في الجزيرة مدينة أمنع منها وأهلها يخالفون على بني أمية، وهم أخلاط من العرب والبربر والموالي ولها نهر عظيم يقال له دوير، انظر: البلدان، اليعقوبي، ج١٠/١٩٤.

معانيه، وتثبيج[1] خطابه بعد أن أقول له اعلم يا هذا إن البغاة بأرضنا لا تستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقصة متيسر، وها أنا إن شاء الله تعالى أجاوبك على ما كتبت حرفًا حرفًا وأبين فساده الذي لا يكاد يخفى"[2].

فتأليف هذا الكتاب كان ردًا على كتاب ألَّفه بعض النَّصارى سمَّاه "تثليث الوحدانية" معترضا فيه هذا النَّصراني لدين الإسلام مؤكدًا لعقيدة التثليث، مثبتًا للأقانيم، نافيًا لنبوة محمد ﷺ، فتعقب الإمامُ القرطبي كلامه كلمة كلمة مبيِّنا جهله وفساد قوله.

٢. مكانة كتاب "الإعلام":

يعد كتاب الإعلام من أعظم الكتب التي دُوِّنت في مقارنة الأديان، وقد حوَى في طياته الرد على كثير من مذاهب النصارى في الأندلس وما حولها، وكذلك رد على كثير من الكتب والرسائل منها: كتاب المسائل، كتاب تثليث الوحدانية –وهو السبب الرئيس لتأليفه–، ومصحف العالم الكائن للقديس أغسطين، ورسالة الأسقف ليون، وقوانين أساقفة الأندلس للرعية ...الخ[3].

ونلاحظ أيضًا اعتماد عدد من علماء الأديان المعاصرين على هذا الكتاب واعتباره أساسًا في مؤلفاتهم ومن هؤلاء العلماء:

الشيخ رحمت الله الهندي[4]، الذي نقل عنه في كتابه إظهار الحق في أكثر من موضع[5]، ويشهد على مكانة كتاب الإعلام ما جاء في آخر النسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة القصر الملكي على لسان خادم حديث رسول الله ﷺ محمد بن أحمد بن موسى بن يوسف ابن إبراهيم

---

(١) الثبج: أعلى الظهر من كل شيء، والتثبيج: التخليط من كل شيء، ومنه كتاب مثبج، العين، الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ج٦/ ٩٩-١٠٠.

(٢) الإعلام، القرطبي، ص ص٤٣-٤٤.

(٣) انظر: مقدمة كتاب الإعلام، السقا، ج٩.

(٤) هو: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكَيْرانَوي العثماني الهندي الحنفي، نزيل الحرمين: باحث، عالم بالدين والمناظرة، ولد في كَيْرانة في الهند ١٨١٨ م، أسس مدرسة شرعية في كَيْرانه ، تخرج منها كبار المدرسين والمؤلفين ومؤسسي المدارس في أرجاء الهند ، وللشيخ كتب كثيرة منها: (إظهار الحق) وهو من أفضل الكتب في موضوعه، ومنها (التنبيهات، في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر والميقات) وغيرها، توفي الشيخ رحمت الله الهندي بمكة ليلة الجمعة ٢٢ من شهر رمضان المبارك عام ١٣٠٨ هـ ودفن في المعلاة (مقبرة مكة المكرمة) ، عن عمر يقارب خمسا وسبعين سنة، رحمه الله تعالى. انظر: موقع المكتبة الشاملة رحمت الله الهندي، (موقع إلكتروني).

(٥) انظر: إظهار الحق، محمد بن رحمت الله الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، ج٢/٣٩٥، ج٤/١١١١، ج٤/١١١٣، ج٤/١١٣٦.

ابن عبد الله بن مغيرة بن شرحبيل: " طالعته من أوله إلى آخره، فاستطعت طلعه في موارده ومصادره، وإن وجدناه بحرًا للمعارف زاخرًا، وفجرًا للحقائق باهرًا، فيا له من تأليف! ما أبدع اختراعه، وأبدع مأخذه وأنواعه، وتتفرق القلوب عن نظمه، جلا نوره ظلام الشكوك..."(١).
فالإعلام كتاب عظيم الفائدة قد شَمِل غالب موضوعات الدين النصراني ناقدًا لها، مؤكدًا على نبوة محمد ﷺ، ذاكرًا محاسن دين الإسلام، رغم عدم اشتهاره كاشتهار كتاب الفصل لابن حزم، ولا يدرك قيمة هذا الكتاب إلا من طالعة وعلم محتواه.

٣. نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

نُسب كتاب الإعلام في كثير من التحقيقات إلى غير مؤلفه، فقد نُسب لأبي عبد الله القرطبي في أكثر من تحقيق، حيث لم ينجح جلُّ المحققين في نسبة الكتاب إلى مؤلفه، وذلك بسبب اعتمادهم على ما حكاه كارل بروكلمان، وإسماعيل البغدادي(٢)، من نسبة الكتاب لأبي عبد الله القرطبي المفسِّر، فهل صاحب الكتاب هو أبو عبد الله المفسِّر أم أبو العباس المحدِّث؟

وستقوم الباحثة بتحقيق هذه المسألة بإذن الله تعالى حتى نستطيع الوقوف على حقيقة مؤلف الكتاب(٣):

أ. هوية المؤلف: لا شك أن المؤلف قرطبي، من قرطبة يؤكد ذلك ما جاء في مقدمة كتابه أنه من أعلام قرطبة(٤)، إضافة إلى أن المخطوط أثبت أنه للإمام القرطبي رحمه الله(٥).

ب. زمن تأليف الكتاب: عند النظر إلى زمن تأليف الكتاب نجد أنه أُلِّف قبل سقوط قرطبة بمدة ليست باليسيرة، فيقول الإمام القرطبي في كتابه "الإعلام" :" فقد وقفت وفقك الله على كتاب كتب بِهِ بعض المنتحلين لدين الْملَّة النَّصْرَانِيَّة سَمَّاهُ كتاب تثليث الوحدانية بعث بِهِ من

---

(١) هذا النص مأخوذ من كتاب إثبات نبوة محمد عليه السلام، وهو الجزء الأخير من هذا الكتاب "الإعلام" وهو عبارة عن رسالة دكتوراه تم فيها تحقيق هذا الجزء من الكتاب، تأليف: المحقق: د. أحمد آيت بلعيد، ١٦، نقلًا عن نص مخطوطة النسخة رقم ٨٣، بمكتبة القصر الملكي (الخزانة الحسنية) بالرباط (المملكة المغربية).

(٢) انظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، البغدادي، ج١٢٩/٢.

(٣) انظر: أبو الخيل، هل القرطبي المفسر هو مؤلف كتاب الإعلام بما في دين النَّصارى من الأوهام (موقع إلكتروني).

(٤) انظر: كتاب الإعلام، القرطبي، ص٤٥.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص٣٩.

طليطلة أَعَادَهَا الله إِلَى مَدِينَة قرطبة حرسها الله"[١]، فهذا يؤكد أن الكتاب أُلِّف قبل عام ٦٣٣هـ وهو العام الذي سقطت فيه قرطبة في يد الصليبيين[٢]، فقوله "حرسها الله" يؤكد أنها ما زالت في يد المسلمين بخلاف قوله عن طليطلة "أعادها الله" والذي يؤكد أنها سقطت في يد الصليبيين، إضافة لذلك نستطيع القول أن تأليف الإمام القرطبي لهذا الكتاب كان قبل سقوط قرطبة بفترة ليست باليسيرة يؤكد على ذلك قول الإمام القرطبي :" وهذا دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم له ست مائة ونيِّف من الأعوام، وهو باقٍ إلى آخر الأيام"[٣] فهو يتكلم عن ظهور الإسلام وغلبته وبالتالي هو يتكلم عن فترة ليست باليسيرة قبل سقوط قرطبة.

وأما بالنسبة للنيِّف فقد قيل هو من الواحد إلى الثلاثة، وقيل غير ذلك[٤]، فهي تفيد الزيادة القليلة على العدد، وهذا يقتضي أن الكتاب تم تأليفه في بداية القرن السابع لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم، هذه الفترة التي كان الإمام أبو عبد الله المفسِّر صغيرًا فقد ذُكِر أنه وُلد في بداية القرن السابع للهجرة عام ٦٠٠هـ فكيف يستطيع أن يؤلف كتابًا كهذا[٥].

ت. مكانة المؤلف: وأما مكانة المؤلف فيظهر من خلال الكتاب أن المؤلف رجل عالم بمعنى الكلمة غزير الثقافة واسع المعرفة، عالم بأصول المحاججة والمناظرة، يعلم دقائق دين النصارى ومذاهبهم، وأيضًا يظهر من خلال الكتاب أنه من أعلام قرطبة وليس رجلًا عاديًا فقد تعين جواب النَّصراني عليه[٦]، وعند النظر إلى أحوال أبي عبد الله القرطبي يتبين لنا أن هذه الأوصاف لم تتوافر فيه في ذلك الوقت، فهو لا يعدو أن يكون طالب علم في ذلك الوقت، ويؤكد ذلك أن الإمام القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩]، تردد بين أكثر من شيخ وذلك بعد قَتْل والده على يد النَّصارى في عام ٦٢٧هـ، فاستفتى هل يُغَسَّل ويُكَفَّن أم لا؟ وقد دار في هذه المسألة بين ثلاثة شيوخ[٧].

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٤٣

(٢) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، عنان، ج٤/٤٢٠

(٣) الإعلام، القرطبي، ص ٢٧٧

(٤) انظر: شرح درة الغواص في أوهام الخواص، الخفاجي، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، ص٦١٧.

(٥) انظر: الموسوعة العربية العالمية، تأليف: مجموعة من العلماء والباحثين، ج١٨/١٦٣.

(٦) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٤٥.

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرءان، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم إطفيش، ج٤/ ٢٧٢.

ويظهر من خلال هذا الأمر أن الإمام أبي عبد الله القرطبي ما زال صغيرًا كما أسلفنا، يقرأ العلم على مشايخ قرطبة، فهو لم يستطع أن يجزم في هذه المسألة وتردد بين أكثر من شيخ، فهو لم يكن في مستوى علمي يتيح له أن يقضي فيها(١)، وبالتالي إذا كان الإمام أبو عبد الله القرطبي ما زال صغيرًا لا يستطيع أن يجزم في مسألة صغيرة فمن باب أولى ألا يستطيع أن يؤلف كتابًا عظيمًا في علم مقارنة الأديان في هذا الوقت، وقد أسلفنا أن مؤلف هذا الكتاب صاحب علم وفير ومُطَّلِع وعالم بدقائق الأمور وخفاياها، عالم بنصوص الكتاب المقدس، وبطوائف اليهود والنَّصارى، مُطَّلع على كتب من سبقه في هذا العلم.

والإمام أبو العباس القرطبي شيخ للإمام أبي عبد الله القرطبي، وهو عالم مطَّلِع وقد كانت بداية حياته الاشتغال بالمعقول وهذا يوافق أسلوب كتاب الإعلام.

ث. الإحالات وموافقاتها:

نلاحظ أن الإمام أبو عبد الله القرطبي لم يُحِلْ في أي موضع من مؤلفاته إلى الكتاب المذكور "الإعلام"، بينما نُلاحظ أن الإمام أبو العباس القرطبي قد أحال إلى هذا الكتاب في أكثر من موضع من كتابه "المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم"، ومن هذه الإحالات:

١) عند حديثه عن ظهور بركة النَّبي ﷺ لمن باشره أو لمسه قال: " وقد ذكرنا من ذلك جملة صالحة في كتاب "الإعلام بمعجزات النبي عليه الصلاة والسلام"(٢).

ذكر الإمام القرطبي ما يوافق الموضع الأول من الإحالات وذلك في باب ذكر بركة النَّبي ﷺ، فقال: "ومن ذلك بركة يده فيما لمس أو غرس"(٣).

٢) وكذلك عند الحديث عن نبع الماء بين أصابعه الشريفة ﷺ قال: " كما قد ذكرنا جملة ذلك في كتاب "الإعلام"(٤).

وفي الإعلام يتكلم عن معجزات النَّبي ﷺ الحسِّية لاسيما نبع الماء بين أصابعه الشريفة فيذكر باب: "نبع الماء وتكثيره معجزة له ﷺ"(٥).

---

(١) انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، سلمان، ص١٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج١٥/٢٨.

(٣) الإعلام، القرطبي، ص٣٧١.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج١٩/٤.

(٥) الإعلام، القرطبي، ص٣٥١.

٣) وعند حديثه عن معجزات الأنبياء وأن النَّبي ﷺ قد أُعطي هذه المعجزات جميعا فقال: "كما قد أوضحناه في كتابنا المسمَّى بـ" الإعلام بصحة نبوة محمد عليه أفضل الصَّلاة والسلام"[١].

٤) وعند حديثه عن دلائل نبوة النبي ﷺ من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل قال: " وقد ذكرنا منه مواضع كثيرة جاءت في كتب أنبياء بني إسرائيل في كتاب "الأعلام"[٢].

٥) وعند حديثه عن قول النَّصارى أن الحواريين كانوا أنبياء قال: " وهو قول أكثر النَّصارى، كما ذكرناه في كتاب "الإعلام"[٣].

٦) وعند حديثه عن مجموعة من معجزات النبي ﷺ قال: " كما قد نقلنا ذلك في كتابنا المسمى: بكتاب "الإعلام بما في دين النَّصارى من الفساد والأوهام " وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام"[٤].

ونلاحظ من الإحالات السابقة أن الإمام القرطبي قد أحال إلى كتاب ألَّفَه، وسمَّاه "الإعلام"، تارة يذكره باسم "الإعلام"، وتارة باسم " الإعلام بصحة نبينا محمَّد عليه الصلاة والسلام"، وتارة باسم "الإعلام بمعجزات نبينا محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام"، ولكن الإحالة الأخيرة كانت أكثر تفصيلا فقد ذكرت اسم الكتاب كاملًا.

ويلاحظ أيضا من الإحالات مدى التوافق بين هذه الإحالات وبين ما جاء ذكره في كتاب الإعلام، وبعد عرض هذه المقارنة اليسيرة المتعلقة بالإحالات يتبين أن الإحالات التي أحال إليها الإمام القرطبي في كتابه "المفهم" هي نفس المواضع الموجودة في كتاب "الإعلام" وبالتالي يتبين لنا أن كاتب الكتابين واحد وهو الإمام القرطبي رحمه الله تعالى.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج١٩/٢.

(٢) المرجع السابق، ج٦٨/١٩.

(٣) المرجع نفسه، ج١٩/ ٩١.

(٤) المرجع نفسه، ٢٤،ج٥٧.

الفصل الأول

منهج الإمام القُرطُبي في تصنيف الكتاب، والرد على النصارى

المبحث الأول
طريقة الإمام القرطبي في تصنيف الكتاب

استخدم الإمام القرطبي رحمه الله منهجًا علميًا في تصنيف الكتاب، حتى أصبح الكتاب من أفضل الكتب في علم مقارنة الأديان، فباء مرجعًا لكثير من العلماء القدامى والمعاصرين ينهلون منه الدلائل والحجج والأساليب القوية للردِّ على النَّصارى، ويمكن بيان طريقة الإمام القرطبي في تصنيفه لكتاب الإعلام من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: التبويب الموضوعي

أولًا: معنى التبويب الموضوعي لغة واصطلاحًا

١. التبويب الموضوعي لغةً:

أ- التبويب لغة: (بَوَّبَ) الْبَاءُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ قَوْلُكَ تَبَوَّبْتُ بَوَّابًا، أَيِ اتَّخَذْتَ بَوَّابًا[١]، والفعل منه التبويب[٢]، وفي الصحاح: أبواب مبوَّبة أي أصناف مصنَّفة[٣]، ومنه بوب الكتاب: أي جعله أبوابًا يندرج تحت كل منها فصول[٤]، فالتبويب بمعنى التصنيف والتقسيم إلى أبواب.

ب- الموضوعي لغة: (وَضَعَ) الْوَاوُ وَالضَّادُ وَالْعَيْنُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْخَفْضِ لِلشَّيْءِ وَحَطِّهِ. وَوَضَعْتُهُ بِالْأَرْضِ وَضْعًا، وَوَضَعَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا. وَوُضِعَ فِي تِجَارَتِهِ يُوضَعُ: خَسِرَ[٥]، والموضوعي مشتقة من الموضوع ويعرف الموضوع بأنه: المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه[٦]، وعليه فإن لفظ الموضوعي لغة يُراد به المادة ذات الأصل الواحد والموضوع الواحد، التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج١/٣١٤.

(٢) انظر: العين، الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ج٨/٤١٥.

(٣) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج١/٩٠.

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، وفريق عمل، ج١/٢٥٩.

(٥) العين، الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ج٦/١١٧. ١١٨.

(٦) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج٢/١٠٤٠.

٢. التبويب الموضوعي اصطلاحًا:

فهو بحسب تقدير الباحثة: ترتيب وتقسيم الأفكار والمعلومات، وإبرازها حسب موضوعاتها وذلك من خلال تصنيفها إلى أبواب كل باب مندرج تحت عنوان معين، داخل المصنفات.

ثانيًا: طريقة الإمام القرطبي في التبويب الموضوعي

صنَّف الإمام القرطبي كتابه على طريقة التبويب الموضوعي، فقام بتبويب الموضوعات الرئيسة التي تحدث عنها تحت أبواب، بحيث يمثل كل باب موضوعًا مستقلًا من الموضوعات، فقد حصر المسائل المتعلقة بموضوع معين في مكان معين، مما سهَّل الوصول إليها، وسهولة قراءتها لدى القارئ، فاشتمل الكتاب على أربعة موضوعات رئيسة مندرِجة تحت أربعة أبواب وهي:

الأقانيم . الاتحاد . النبوات . بيان أن النصارى متحكمون بدينهم.

وقسَّم هذه الموضوعات الرئيسة إلى أربعة أبواب رئيسة وتفصيلها على النحو التالي:

الباب الأول: تكَّلم فيه الإمام القرطبي على مذاهب النَّصارى في الأقانيم وأَبْطل أقوالهم فيها، وقد شَمِل هذا الباب خمسة فصول، وهي:

الفصل الأول: ذَكَر فيه كون الأقانيم أسماء وأفعال وقد وضع عنوانًا لهذا الفصل فقال: "الأقانيم أسماء وأفعال".

الفصل الثاني: تحدث عن أقانيم الصفات وهي القدرة والعلم والحياة، وناقشهم في أقوالهم وأبطلها، ولكنه لم يضع عنوانًا لهذا الفصل بل بدأه بحكاية كلام السائل.

الفصل الثالث: تحدَّث فيه عن التثليث وتعليل النَّصارى له، ولم يعنْون أيضًا لهذا الفصل بل ذَكَر كلام السائل وتعليله للتثليث ثمَّ ردَّ عليه كما فعل في الفصل السابق له.

الفصل الرابع: ذَكَرَ أدلتهم على التثليث، ولم يضع عنوانا لهذا الفصل وإنما سار على منهج ذكْرِه لكلام السائل والردِّ عليه.

الفصل الخامس: تكلم الإمام القرطبي في مذاهب النَّصارى في الأقانيم واختلافهم في حقيقة الأقانيم، وقد عنوْن لهذا الفصل فقال: "في بيان اختلافهم في الأقانيم".

الباب الثاني قد بيَّن مذاهبهم في الاتحاد والحلول وأبْطَل أقوالهم فيهما وقد شَمِل هذا الباب ستة فصول وهي:

الفصل الأول: تحدث فيه عن اتحاد الكلمة، وقد ألزمهم الزامات كثيرةِ تُبطِل ما ذهبوا إليه ولم يعنوْن لهذا الفصل.

الفصل الثاني: تَكَلَّم عن معنى الاتحاد وردَّ على قولهم أنَّ الحادِث صار إلهًا قديمًا، وردَّ على قولهم أيضًا في علة الاتحاد، وأيضًا لم يعنون لهذا الفصل.

الفصل الثالث: تكَلَّم عن قولهم بوجود الواسطة بين الله تعالى وبين موسى عليه السلام وأَثْبَتَ أن الكلام كان صفة لله تعالى وأمَّا سَمْع موسى عليه السلام له كان بخلق الإدراك له، ولم يضع عنوانًا لهذا الفصل.

الفصل الرابع: ذكَرَ قولهم بتجسد الواسطة وأَبْطَل قولهم في ذلك، ولم يضع عنوانًا لهذا الفصل.

الفصل الخامس: ذَكَرَ بعض مذاهب النَّصارى المتقدمين في الاتحاد والحلول كالآريوسية، واليعقوبية، والنسطورية، وأورد العديد من الإلزامات عليهم، وقد وضع عنوانًا لهذا الفصل فقال: "في حكاية كلام المتقدمين".

الفصل سادس: ذَكَر فيه مذهب زعيم القسيسين "أغشتين"، مُبطِلًا أقواله قولًا بعد قول، وقد عنوْن لهذا الفصل فقال: "في حكاية مذهب أغشتين إذ هو زعيم القسيسين".

الباب الثالث تكلم فيه الإمام القرطبي عن النُّبوات وذَكَرَ كلامهم فيها وقد قسَّم هذا الباب إلى قسمين، فلم يقسمه على النهج السابق وهو تقسيم الأبواب إلى فصول، بل قسَّم هذا الباب إلى قسْمين ثم قسَّم هذه الأقسام إلى فصول وهذه الأقسام: القسم الأول شمل سبعة فصول وهي: الفصل الأول: ذكر فيه قول مؤلف "تثليث الوحدانية" من أنَّ الأمم متكافئة في ادِّعاء الإيمان لنفسها وحاكمة لغيرها بالكفر وقد بيَّن الإمام القرطبي فساد هذا القول، ولكنه لم يضع عنوانًا.

الفصل الثاني: تكَّلم فيه عن المسيح المنتظر وأدلتهم عليه، وكذلك لم يضع عنوانًا.

وفي الفصل الثالث: تكَّلم عن المسيح عيسى عليه السلام، كذلك بدون عنوان.

الفصل الرابع: بيَّن فيه ما طَرَأ في التوراة من الخلل وأنَّها لم تُنقل نقلًا متواترًا، فلم تسلم من الخطأ والزلل، وذَكَرَ الأدلة التاريخية لتحريف التوراة ثمَّ أثبت التناقضات ووجود المطاعن

في الذات الإلهية وفي الأنبياء، وقد عنوْن لهذا الفصل فقال: "في بيان بعض ما طرأ في التوراة من الخلل وأنها لم تنقل نقلًا متواترًا فتسلم لجله من الخطأ والزلل".

الفصل الخامس: بيَّن فيه أن الإنجيل ليس بمتواتر وأبطل نقل الحواريين للإنجيل لأسباب ذكرها، إضافة لوجود التناقضات الكثيرة وذَكَر العديد من الأمثلة على ذلك، وقد عنوْن لهذا الفصل فقال: "فصل في بيان أن الإنجيل ليس بمتواتر وبيان بعض ما وقع فيه من الخلل".

الفصل السادس: ذَكَرَ مجموعة من الشُّبهات والطُّعون أوردها صاحب كتاب "تثليث الوحدانية" تطعن في أبا الأنبياء إبراهيم ﷺ وزوجه هاجر، وفي خاتم الأنبياء محمَّد ﷺ، ردَّها جميعًا ذاكرًا بعدها أدلة على صدق هذا الدين منها: إظهار الله تعالى له، وهذا الفصل لم يضع له عنوانًا.

وأمَّا القسم الثاني من هذا الجزء فقد أورد فيه مقدمتين، المقدمة الأولى: ذَكَرَ فيها معنى النُّبوة والرسالة والفرق بين الرسول والنَّبي، وبيَّن معنى المعجزة وحقيقتها ووجه دلالتها.

وأمَّا المقدمة الثانية: أراد أن يُثبت من خلالها كيفية تحريف دين المسيح على يد بولس، ثمَّ ذَكَرَ ما فعله قسطنطين، وأكدَّ من خلال هذه المقدمة أنَّ المعجزات التي جاء بها المسيح ﷺ إنما كانت لإثبات نبوته وليس ألوهيته، ولم يذكر تحت هذا القِسْم فصولًا.

وقد أتْبَع القِسْم الثاني ذِكْر الأدلة لإثبات نبوة نبينا محمَّد ﷺ، فذكر أربعة أنواع وهي:

النوع الأول: إخبار الأنبياء السابقين قبله وتبشيرهم به مثل: موسى وإبراهيم عليهما السلام، وما جاء على لسان الأنبياء أشعيا وحزقيال ودانيال وحبقوق.

النوع الثاني: الاستدلال بقرائن أحواله، ومن ذلك ما ظهر لأُمه وأبيه من إرهاصات قبل ولادته، والبركات التي نَزَلت على مرضعته، وقد استدل بهذه القرائن علماء أهل الكتاب كالراهب ورقة بن نوفل، والحبر ابن الهيبان وغيرهما، إضافة لكون النَّبي ﷺ خُصَّ بالكمال الظاهر والباطن وكمال الأخلاق.

والنوع الثالث: الاستدلال بنبوته بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو أعظم المعجزات وأظهرها، وذكر ثلاثة وجوه من وجوه الإعجاز في القرءان الكريم.

وأما النوع الرابع: الاستدلال بنبوته بجملة من الآيات الخارقة للعادة وقسَّمها على ثلاثة عشر فصلًا، منها انشقاق القمر وانحباس الشمس وتكثير الطعام وإحياء الموتى وغيرها.

الباب الرابع: بين فيه أنَّ النَّصارى متحكمون في أديانهم وأنه لا مستَنَد لهم في أحكامهم إلا محض أهوائهم وقد شمِل هذا الجزء على فصلين:

الفصل الأول بين أن النصارى ليسوا على شيء وأن مستَنَد أحكامهم إما المنامات كما فعل بولس أو الخرافات أو الجهل والهوى.

وأما الفصل الثاني فبيَّن فيه خروج النَّصارى عن تعاليم التوراة والإنجيل، وتأويلهم لكثير من أحكامهما، وقد ألزمهم في هذا الفصل العديد من الإلزامات لإبطال ما ذهبوا إليه.

ثم ذكر بعد ذلك فنين:

الفن الأول: تحدَّث عن عدد من شعائر النصارى وطقوسهم منها: المعمودية، وتركهم الختان، وصيامهم، وتقديس دورهم بالملح.

وأما الفن الثاني: ذَكَرَ فيه محاسن دين الإسلام، مبيِّنًا اعتقاد المسلمين في الألوهية والنبوات واليوم الآخر، وبيَّن أن كل قاعدة من هذه القواعد يعضدها دليل سمعي وعقلي، ثمَّ ردَّ على صاحب كتاب "الحروف" الذي تواقَحَ على الإسلام وختم هذا الكتاب بدعاء مأثور عن النَّبي ﷺ.

ويلاحظ مما سبق:

أنَّ الإمام القرطبي قد صنَّف كتابه تصنيفًا متميزًا، شمِل موضوعات الدين النَّصراني الأساسية، ثم قسَّمه لأربعة أبواب، وعنوْن للأبواب الأربعة الرئيسية، بالإضافة لوضعه عناوين لبعض الفصول المندرجة تحت الأبواب، إلَّا أنه لم يلتزم بهذا التقسيم في جميع الأبواب كما لاحظنا في عرض الأبواب السابق، فكان يُقسِّم الباب إلى فصول، فكان رحمه الله غير ملتزم بمنهجية موحدة في التقسيم فأحيانًا يقسم الباب إلى فصول كما في الباب الأول والثاني والرابع، وأحيانًا يقسِّمه إلى أنواع كما في الباب الثالث، ولم يضع عناوين لجميع الفصول بل عنون لبعضها، ولم يعنون للبعض الآخر بل اكتفى بحكاية كلام السائل، وبالرغم من ذلك ظهر كتاب "الإعلام" بصورة جيدة ورائعة ولو التزم التقسيم العلمي لكان أجود وأروع.

ثالثًا: مزايا التبويب الموضوعي للكتاب

١. الإحاطة بموضع الدراسة في مكان واحد.

٢. يعين على الفهم الصحيح للموضوع، بحيث تجتمع جميع جوانب الموضوع في مكان واحد.

٣. يساعد على تسلسل الأفكار وترتيبها.

٤. يسهل على القارئ والباحث مواصلة القراءة ومتابعتها.

المطلب الثاني: اعتماده على مصادر متنوعة:

كان الإمام القرطبي رحمه الله بحرًا من بحور العلم زاخرًا، متبحرًا في العقيدة والفقه والأديان لاسيما النَّصرانية، رغم أنَّ ما وصل إلينا من مؤلفاته ليس كثيرًا في العدد، لكنَّه عظيم في الفائدة، وتُخبرنا هذه المؤلفات عن سعة علم صاحبها ووفور عقله، فكان ينهل من القرءان الكريم، ومن كتب الشعر واللغة، ومن الكتاب المقدس، وكان يتكلم بمذاهب النصارى وكأنَّه أحاط بها جميعًا، بل وكان مطَّلعًا على كتابات المسلمين الذين كتبوا في الملل والنحل، ويُلاحظ في كتابه "الإعلام" أنَّه رحمه الله كان يعتمد على عدة مصادر في إثبات المعلومات التي يريدها، منها مصادر عامة، ومنها مصادر خاصة[1].

أولًا: المصادر العامة ونقصد بها القرءان الكريم، والسُّنة النَّبوية والكتاب المقدَّس.

ثانيًا: المصادر الخاصة منها مصادر مباشرة، ومنها مصادر غير مباشرة.

١. المصادر المباشرة: الكتب (منها كتب الأديان أو التفسير أو كتب نصارى مشهورة، أو كتب سيرة ومغازي، أو كتب فلسفة)، والرسائل والوثائق.

٢. المصادر غير المباشرة: ككتب التاريخ، والأدب، واللغة.

أولًا: اعتماد الإمام القرطبي على المصادر العامة

والتي منها القرءان الكريم والسنة النبوية والكتاب المقدس

١. **القرءان الكريم:** لم يتجاهل الإمام القرطبي الاستدلال بالمنقول في كتابه، فكان يستدل بآيات القرءان الكريم في كثير من المواضع منها:

أ- عند إبطاله للتثليث عقَّبَ بقوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ المائدة:٧٣[2].

ب- وعند الحديث عن محاسبة الله تعالى للخلق، ذَكَرَ وجهًا من وجوه محاسبة الله تعالى للخلق، فقال: أنَّ العَبْد يُوقف فِي مَوضِع الْفَصْل وَالْقَضَاء ويعطى كتاب أعماله وَيُقَال لَهُ ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيْبَاً**﴾ [الإسراء:١٤]، فَإِن كَانَ سعيدًا قَالَ: ﴿**هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ***

(١) استفادت الباحثة في هذا التقسيم كتاب "منهج أهل السنة في الرد على النصارى دراسة علمية من خلال جهود شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى"، للمؤلف: عبد الراضي بن محمد عبد المحسن، ص٣٩.

(٢) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٦٠.

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة:٢٠]، فَعِنْدَ ذَلِك يُقَال لَهُم: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُم فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [الحاقة: ٢٤]، وَإِن كَانَ شقيًا فَيَقُول: ﴿ **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩]، عِنْد ذَلِك يُقَال للْمَلَائِكَة: ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ** ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢]، فجعل هذا وَجهًا من وُجُوه المحاسبة وهُنَالك وُجُوهًا أخرى مُمكنَة فِي المحاسبة لم يذكرها في هذا الموضع، ثمَّ يقول له: فَكَأَنِّي وَالله بك إِن مت على مَا أَنْت عَلَيْهِ يُؤْخَذ بناصيتك وقدمك وتحيط بك مَلَائِكَة رَبك ﴿ **مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم: ٦]، فتنادى فَتَقول يَا عِيسَى يَا سَيِّدي يَا إلهى يَا ولد الله فَيَقُول لَك كذبت مَا اتخذ الله من صَاحِبَة وَلَا ولد وَلست بإله وَلم أقل لَك كَذَلِك وَلَا أبلغتك ذَلِك وَإِنَّمَا بلغتك أَن لَا إِلَه إِلَّا هُوَ وَحده لَا شريك لَهُ.[1] فيًلاحظ أن الإمام القرطبي يستدل بالآيات القرآنية في حديثه عن الحساب والجزاء، وفي العديد من المواضع كذلك.

ت- وعند تأكيده لمسألة التوحيد استدل بسورة الإخلاص فقال: " فسبحان الله عَمَّا يَقُول الجاهلون وَتَعَالَى عَمَّا ينْسبهُ إِلَيْهِ المبطلون بل هُوَ الله الْوَاحِد الْأَحَد الْفَرد الصَّمد الَّذِي ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾"[2] [الإخلاص: ٤].

ث- عند وصْفه حال النَّصراني قال له: "علم من حالك أَنَّك على الله وَرُسُله كذبت وافتريت ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [الزمر: ٦٠] وكقوله له أيضا: تعين على الْيَهُود وَالنَّصَارَى أَن يشتوروا فِي أَمرك ويأتمروا فِي حرقك أَو نحرك ﴿ **وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ** ﴾ [الرعد: ٣٤] "[3]، فهذه أمثلة يسيرة تبين احتجاج الإمام القرطبي بكتاب الله تعالى مما يبين سعة علمه ومعرفته بكتاب الله تعالى حتى أنَّه يستدل بالآيات في وصف حال النَّصراني كما في المثال الثاني.

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص١٢٢-١٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٢.

(٣) المرجع نفسه، ص١١٨

٢. **الكتاب المقدَّس بعهْديه القديم والجديد**، فكان الإمام القرطبي عالمًا بلغة العهد القديم العبرية[١]، فإذا أراد الاستدلال على مسألة معينة كإثبات نبوة محمَّد ﷺ، أو نسْفه لعقيدة من عقائد النَّصارى فإنَّه يرجع لنصوص الكتاب المقدَّس، وكان يّنْقُل من الكتاب بعهديه، ومن ذلك:

أ- استدلاله على بشرية عيسى عليه السلام[٢]، من ذلك قوله: " وَفِي إنجيل ماركوش أَنه قَالَ فِي هَذَا الْمقَام سيلقى ابْن الْإِنْسَان مَا كتب لَهُ، ثمَّ قَالَ بعد ذَلِك يَا أبتاه إِنَّك قَادر على جَمِيع الْأَشْيَاء فرج عني هَذِه الكأس"[٣].

ب- وكذلك عند حديثه عما نُسب للأنبياء من مخازي كما نَسَبت التوراة ليعقوب وموسى وداود وسليمان عليهم السلام[٤]، فذكر قصة دينة بنت يعقوب عندما عشقها شخيم بن حمورا الزناتي وواقعها ثمَّ ذهب ليخطبها، فعلم والدها يعقوب، فدَّبر مكيدة مع أبنائه حتى قتلا كل ذكر من قبيلة حمورا[٥]، فهي مثال على الغدر والكيد والإرهاب الموجود عند نبي الله يعقوب وحشاه أن يقع منه ذلك، وذَكَرَ في سفر صموئيل الثاني أنَّ داود قد رأى امرأة كانت تستحم وكانت زوجة أوريا الذي في الجيش أخذها لنفسه وكانت قد حملت منه فدبَّر مكيدة لقتل زوجها، حتى قُتل فضمَّها لبيته[٦]، وحاشا الأنبياء أن يفعلوا هذه المخازي التي نسبتها التوراة إليهم، ولكنَّه التحريف الذي طال هذه الكتب.

ت- واستدلاله على نبوة محمَّد ﷺ[٧]، وبيانه بطلان التوراة والإنجيل[٨]، فكان ينقل النُّصوص جميعها من الكتاب المقدَّس وليس من كُتُب ناقلة عنه، بالإضافة لبيانه أنه عالم بلغة الكتاب المقدس العبرية[٩]، فيقول: "وَلَو كنتَ تعرف لِسَان الْقَوْم الَّذين ترجمت التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل بلغتهم لذكرت لَك من هَذَا أَمْثِلَة كَثِيرَة وَفِي الْقَلِيل المبصر

(١) انظر: الإعلام، ص١٨١_ ١٨٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٣٤-١٣٦.

(٣) النص في الإنجيل : "إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ"، إنجيل مارقس: ١٤/ ٢١.

(٤) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص١٩٨-٢٠٠.

(٥) انظر: سفر التكوين: ٣٤ / ١-٣١.

(٦) انظر: سفر صموئيل الثاني: ١١/ ٢-٢٧.

(٧) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص١٦٣-٢٨٠.

(٨) انظر: المرجع السابق ، ص١١١.

(٩) انظر: المرجع نفسه، ص ٢٠٧.

غنية عَن الْكثير"[١]، واستدلال الإمام القرطبي بنصوص الكتاب المقدس منهج مميز في الدعوة تتابع عليه العديد من أهل العلم كالإمام ابن تيمية، والإمام ابن حزم، وها هو الإمام القرطبي يستعمل لسان القوم الذين يخاطبهم، فهو يخاطبهم بكتابهم الذي يؤمنون به، أي الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وهذا دلالة على سعة علم الإمام وقدرته على المناظرة والمجادلة.

ثانيا: المصادر الخاصة:

١. المباشرة:

أ- كتب السيرة: وكان ينقل من كتب السيرة رحمه الله، وإن لم يصرِّح بذلك لكنَّه صَرَّح أنه ينْقل على أَلْسِنة النَّقلة الأَثْبات الثقات العدول[٢]، ومن ذلك:

عند حديثه عن دلالات نبوة النبي ﷺ من خلال قرائن أحواله تكلم عن: قصة حمله من بدايتها، وما رأته أمه في منامها قبل ولادته من نور قد ملأ أركان البيت، وتحدَّث عن البركة التي حلَّت على حليمة عند إرضاعها للنبي ﷺ، وحادثة شق الصدر، وقصة بحيرا الراهب، وحفظ الله تعالى له في شبابه، وذكر قصة زواجه، ثم تكلم عن صفاته الخَلقية منها: كمال خلقته وجمال صورته، فقد كان أزهر اللون أدعج العينين أشكل، أهدب الأشفار، أزج أقنى مدور الوجه واسع الجبين، كما تكلم عن صفاته الخُلقية والتي منها: أنه كان متواضعًا، عادلًا، صادقًا، أمينًا، جوادًا، كريمًا...الخ[٣] ، ومن المعلوم أن الإمام القرطبي من علماء القرن السابع أي أنه لم يلتق بالنبي ﷺ، وبالتالي من البدهي أن هذا الوصف للنبي ﷺ هو نقلًا من كتب السير والشمائل.

ب- كُتُب مذاهب اليهود والنَّصارى ومذاهب الفلاسفة والدهرية وأهل الطبيعة: فعند ردِّه على صاحب "تثليث الوحدانية" في موضوع الأقانيم[٤]،، وسماع الواسطة، كانت بعض الردود من كتاب كبير القديسين أغشتين "مصحف العالم الكائن" وذلك عند رده على موضوع الأقانيم وبيَّن أنَّ أغشتين قد خالف بعض القسيسين[٥]، ثم أفرد فصلًا كاملًا للحديث عن

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص ١١١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٨١.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص ص٢٨١- ٣١٤.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص٥٨.

(٥) انظر: المرجع نفسه، ص١١٠.

مذهب أغشتين زعيم القسيسين في عدة أبواب منها مسألة كلام الله تعالى لموسى عليه السلام[1]، وكان يستدل على النَّصراني كذلك بأقوال حفص بن عبد البر وأنَّ هذا النَّصراني إنَّما هو مقلد له[2]، وكان ينقل من عدة كتب من كتبهم منها: كتاب المسائل السبع وخمسين[3]، ومن كتاب الحروف[4]، ومن كتاب المسائل[5]، فكان يرجع إلى كتبهم وأصولهم.

ت- كتب الملل والنحل: استفاد الإمام القرطبي ممن سبقه من علماء الملل والنحل، وهذا يظهر جليًا في كتابه الإعلام، فاستفاد الإمام القرطبي من عدة رسائل وكتب منها: كتاب مقامع الصلبان للخزرجي، وكتاب إفحام اليهود للسموأل المغربي وسنفصل ذلك في المطلب القادم بإذن الله تعالى.

٢. **المصادر غير المباشرة:** استفاد الإمام القرطبي من العديد من المصادر غير المباشرة، سواء في اللغة أو الفقه أو الشعر.

أ- **في مجال اللغة:**

كان يرجع إلى كتب اللغة كلمًا لزمه الأمر وإن لم يصرح بالمصادر التي نَقَل منها، ومن أمثلة رجوعه لقواميس اللغة عند تفسيره لمعنى الإتيان في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ** ﴾ [البقرة: ٢١٠] فذكر أن المراد بالإتيان هنا ليس إتيان الله تعالي بل مجيء أمره [6] فقال: "... وَهَذَا على الْمَعْرُوف فِي لِسَان الْعَرَب من حذف الْمُضَاف وَإِقَامَة الْمُضَاف إِلَيْهِ مقَامه وَكَذَلِكَ الْكَلَام على الْآيَة الأولى وَهَذَا لَا خَفَاء بِهِ عِنْد الْبَصِير بِلِسَان الْعَرَب فَإِنَّهَا تسْتَعْمل الْحَذف والإضمار وَالْمجَاز والاختصار"[7].

ومنها: عند تطرقه للفظ النبي قال: "فَنَقُول لفظ النَّبِي والنبوة وَمَا تصرف مِنْهُ رَاجع إِلَى النبأ وَهُوَ الْخَبَر تَقول نبأت وأنبأت بِمَعْنى أخْبرت وخبرت وَهَذَا مَعَ لفظ نبئ بَين وَكَذَلِكَ هُوَ مَعَ تسهيله على أصح الْأَقْوَال فَإِنَّهُ قد يكون أصل شَيْء من الْأَلْفَاظ الْهَمْز ثمَّ يُخَفف الاسم مِنْهُ كَمَا

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص١٤٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٥٨.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص٦١.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص ص٧٥-٨٠.

(٥) انظر: المرجع نفسه، ص ص٨٠-٨١، ص ١٢٨.

(٦) بينَّا سابقًا أن هذا التأويل مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة في تفسير صفات الله تعالى، انظر: صفحة (٢٣) من هذه الرسالة.

(٧) الإعلام، القرطبي، ص ص١٢٥- ١٢٦.

قَالُوا خابية وَهُوَ من خبأت هَذَا أصح مَا قيل فِي اشتقاق هَذَا اللَّفْظ، فَإِذا تقرر هَذَا فنبئ على أصل الْوَضع وَزنه فعيل وفعيل يَأْتِي فِي الْكَلَام بمعنيين أَحدهمَا فعيل بِمَعْنى فَاعل كَمَا قيل رَحِيم بِمَعْنى رَاحِم وَسميع بِمَعْنى سامع، وَالثَّانِي فعيل بِمَعْنى مفعول كَمَا قيل رجيم بِمَعْنى مرجوم وخضيب بِمَعْنى مخضوب، فعلى هَذَا يَصح فِي نَبِي أَن يكون بِمَعْنى مخبر وَبِمَعْنى مخبر، فعلى أصل الاشتقاق وَوضع الْعَرَب كل من أخبر بِشَيْء أَو أخبر بِشَيْء فَهُوَ نَبِي"[1]

ويظهر من خلال هذا النص مدى استفادته من كتب المعاجم اللغوية، ومعرفته بقواعد اللغة العربية، واشتقاق الكلمات[2].

ومنها أيضا: عند حديثه على لفظ "الرَّب" ذَكَرَ أن له أكثر من معنى في كلام العرب فقال: "وَأَمَّا الربوبية فَلفظ مُشْتَقّ من لفظ الرَّب، والرَّب فِي مُسْتَعْمل كَلَام الْعَرَب لَهُ مَعْنيانِ مستعملان أَحدهمَا السَّيِّد وَالثَّانِي الْمَالِك"[3]، والأمثلة في ذلك كثيرة، فكان إمامًا عالمًا بلغة العرب يستدل بما جاء في قواميس اللغة، إما لتعريف كلمة أو مصطلح، أو لإثبات عقيدة وإن كانت مخالفة لمنهج السلف كما في صفة "الإتيان".

ب- استفادته من كتب الشعر:

كان الإمام القرطبي رحمه الله تعالى يستفيد من كتب الشعر إما لتأييد عقيدة أو لإظهار فساد عقيدة ما، أو لضرب مثال، أو لبيان حالة، ومن ذلك: تأكيده كون عيسى عليه السلام نبي من أنبياء الله تعالى فمن الاستحالة حلول الإله فيه أو أنَّ عيسى ادِّعى ذلك، وقال: لو أن عيسى قال ذلك فإنه يحتمل أنه قاله تعبيرًا عن شده محبته حتى لا يرى المحِّب شيئًا سوى محبوبه، فذكر في ذلك مثلًا لإحدى الشطحات الصوفية وهي قول الحلاج:

أنا من أهوى *** ومن أهوى أنا[4]

---

(١) الإعلام، القرطبي ، ص٢٣٧.

(٢) وهو ما أكدته كتب اللغة، انظر: تهذيب اللغة، الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج١٥/٣٤٨- ٣٤٩، وانظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج١/٧٤، وانظر: لسان العرب، ابن منظور، ج١/١٦٢.

(٣) الإعلام، القرطبي، ص٥٣، وانظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، وآخرون، ج٤/٢٣٣٣.

(٤) انظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله تعالى الحسنى، أبو حامد الغزالي ، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ص١٢٨.

هذا البيت من الشطحات الصوفية التي أراد أصحابها إثبات عقيدة الحلول والاتحاد كما بيَّن ذلك الإمام ابن تيمية ﷺ[1].

ومن الأمثلة التي تبين رجوعه لكتب الشعر:

وَمَا ضرنا أَنا قَلِيل وجارنا عَزِيز *** وجار الْأَكْثَرين ذليل [2]

بالإضافة إلى العديد من الموضع التي تبين تبحر الإمام القرطبي في كتب اللغة والشعر والأمثال وغيرها، فهو يبرز المعاني بصور مميزة، ويوضحها.

المطلب الثالث: عرض الشبهة كاملة ثمَّ تفصيل الردِّ عليها

من منهج الإمام القرطبي أنَّه كان يعرِض شبهة خصمه كاملة دون زيادة أو نقصان، ثمَّ يردُّ عليها ردًا مفصلًا، وهذا ما بينه الإمام القرطبي في مقدمة الكتاب فقال: "فأذكر كَلَام هَذَا السَّائِل كَمَا بَلغنِي وَأبين من خطئه وتناقضه مَا شَاءَ الله أَن يفهمني فأناقشه فِي لَفظه وَأظْهر سوء نَقله وَحفظه فَتَارَة أسأله وَأُخْرَى أجاوبه... ثمَّ من بعد الْفَرَاغ من تتبع كَلَامه أعطف بالمناظرة على أقسته ورهبانه فأحكى مذاهبهم كَمَا دونوها فِي كتبهمْ وعَلى مَا تلقفوها من أساقفتهم ثمَّ أسبرها على محك الْعرض وَأبين بعض ما فيها من الْفساد والنقض وَمَا توفيقي إِلَّا بِاللَّه وَهُوَ حسبي وَنعم الْوَكِيل"[3].

وهذا منهج الإمام القرطبي رحمه الله في سائر الكتاب كما أسلفنا، إلا أنَّه أحيانًا قد يختصر كلام خصمه فيما لا تدعو الضرورة إلى ذكره، من غير إخلال بلفظه أو تغيير معناه فيقول عند حديثه عن مذهب أغشتين: "نذْكر إِن شَاءَ الله تَعَالَى فِي هَذَا الْفَصْل كَلَام هَذَا الْمَذْكُور الْوَاقِع لَهُ فِي مصحف الْعَالم الْكَائِن ونحكي أَلْفَاظه من غير زِيَادَة وَلَا نُقْصَان إِلَّا أَنِّي اختصر من كَلَامه مَالا تَدْعُو ضَرُورَة سِيَاق الْكَلَام إِلَيْهِ من غير إخلال بِلَفْظِهِ وَلَا تَقْصِير فِي مَعْنَاهُ وَرُبمَا قدمت وأخرت"[4]، ولكنَّه في غالب الكتاب التزم منهج عرض الشبهة كاملة كما هي

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج٢/٣٧٧.

(٢) ديوان الحماسة، أبو تمام، ج١/٢٨.

(٣) الإعلام، القرطبي، ص٤٦.

(٤) المرجع السابق، ص١٤٣.

عند أصحابها، بدون زيادة أو نقصان، ثمَّ يرد بعدها بما لا يطول بذكره الكلام مع تركيزه على الشبهات الرئيسية.

ومن منهجه أنَّه يركز في الردِّ على الأهم فالمهم، كي لا يضيع وقته ولا يصاب القارئ بالملل، فيقول رحمه الله: " وَبعد هَذَا فلتعلم أَنِّي تجاوزت عَنْك فِي هَذَا الْفَصْل وَلم أؤاخذك بِكُل مَا فِيهِ من خطل القَوْل خشيَة طول الْكَلَام وتبدد الْمطلب وَبعد المرام وَأول ذَلِك أَنَّك لحنت وصحفت فِي ثَمَانِيَة مَوَاضِع تتبين للناشئين بل المراضع"[١]، فيتبين من خلال هذا النَّص أنَّ الإمام القرطبي قد وَضَعَ لنفسه منهجًا علميًا وسار عليه في غالب الكتاب، ويتضح ذلك عند النَّظر في كتابه، حيث يعرِض كل ما عند خصمه من شبهات واعتقادات فاسدة بالإضافة إلى أنَّه يَذكر أدلتهم التي يُورِدونها كاملة ثمَّ ينْقُضها وهذا من باب الإنصاف مع الخصم، والكتاب مليء بالأمثلة على ذلك، ومنها:

أولا: شبهة اسم كتاب النصراني المسمَّى: "تثليث الوحدانية" ومقدمته والرد عليها

١. **الشبهة:** يقول النَّصراني في مقدمة كتابه: "قَالَ كتاب تثليث الوحدانية فِي معرفَة الله ثمَّ قَالَ الْحَمد لله بَالغ القوى الَّتِي فطرنا عَلَيْهَا وأمرنا بِحَمْدِهِ فَنحْن نحمده ونشكره ونعظمه بِمثل تعارفنا فِي الْحَمد وَالشُّكْر والتعظيم لملوكنا وَأهل الرهبة من ذَوي السُّلْطَان منا فرضا لَهُ شاكرين حامدين معظمين غير واقفين على ذَاته وَلَا مدركين لشَيْء مِنْهُ وَإِنَّمَا نقع على أَسمَاء أَفعاله فِي خليقته وتدبيره فِي ربوبيته".[٢]

٢. **الرد على الشبهة:** فقال: "الْجَواب عَن تَرْجَمته **أما قَوْله** تثليث الوحدانية فَكَلَام متناقض لفظًا وفاسد معنى، بَيَان ذَلِك أَن قَوْله تثليث الوحدانية كَلَام مركب من مُضَاف ومضاف إِلَيْهِ، وَلَا يفهم الْمُضَاف مَا لم يفهم الْمُضَاف إِلَيْهِ، فَأَقُول: لفظ الوحدانية مَأْخُوذ من الْوحدَة ....، **وَأما قَوْله** فِي معرفَة الله فَقَوْل لم يحط بِمَعْنَاهُ وَلَا فهم مُسَمَّاهُ وَإِلَّا فَمَا حد الْمعرفَة؟ وَكم أقسامها؟ وَهل يَصح أَن تكون مكتسبة لنا؟ وَهل يجوز عقلًا أَن يكلفنا بهَا الْأَنْبِيَاء؟ وَإِن جَازَ ذَلِك فَمَا طَرِيق تَحْصِيلهَا....، **أما قَوْله** الْحَمد لله فَكَلَام حق ومقال صدق عِنْد من عرف مَعْنَاهُ وَفهم فحواه، وَأما عنْدك فَكَلَام سمعته وَمَا وعيته وَكَيف تعيه أَو تطمع فِي أَنَّك تدريه وَأَنت بمعزل عَن اللِّسَان عرى عَن تَحْصِيل شَرَائِط الْبُرْهَان...، **وَأما قَوْلك** بَالغ القوى

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٧٠.

(٢) المرجع السابق، ص٤٧.

فَكَلَام مختل صدر عَمَّن لم يحصل تَنْزِيل مَفْهُومه على فَائِدَة لِأَن الْمُتَكَلّم بِهِ عمل بَالغ مَوضِع مبلغ ثمَّ ذهب..."[1].

ردود الإمام القرطبي على هذه الشبهة:

بين الإمام القرطبي فساد هذا القول، وبدأ بمناقشة هذه الشبه والعقائد الفاسدة، ابتداءً باسم الكتاب، الذي يحمل في طياته التناقض، ثم ينتقل بعد ذلك لما بعده، وذلك على النحو التالي:

أ- التناقض في عنوان الكتاب: فقد جعل عنوان كتابه "تثليث الوحدانية في معرفة الله" فهذا كلام متناقض وفاسد من جهة اللفظ والمعنى، فقوله "تثليث الوحدانية" كلام فاسد وهو مركب من مضاف ومضاف إليه، والمضاف لا يفهم حتى يفهم المضاف إليه، فلفظ الوحدانية مأخوذ من الوحدة التي هي ضد الكثرة، وأما التثليث فيراد به الكثرة والتعدد، وهو من أسماء السلوب فإذا ما وصفنا به موجودًا فكأننا نقول: تكثير مالا يتكثر وهو كلام باطل بالضرورة، وأمَّا قوله "في معرفة الله" فيُردُّ عليه بعدة أسئلة وهي: ماذا تقصد بالمعرفة؟ وما حدُّها؟ وما طرق تحصيلها؟ ...الخ ثمَّ يقال له: ما هو الرابط بين هذه الجملة والتي سبقتها؟ فهل يصح أن يقال: تكثير مالا يتكثر في معرفة الله!

فيتبن أنَّ النصراني قد تناقض في عنوان كتابه، كما يظهر أيضًا أنه لا يعرف حقيقة معرفة الله تعالى، وإذا كان عنوان الكتاب يحمل التناقض فما بال باقي الكتاب.

ب- فساد مفهوم معرفة الله عند المؤلف: فقوله "الحمد لله بالغ القوى" حمْد الله يقتضي معرفته معرفة حقَّة، فالحمد كلمة حق عند من عرف معناها، وأمَّا النَّصراني فهل عرف الله! من الواضح أنه لم يعرف ربه، بدليل جعله إياه ثلاثة آلهة، ثمَّ أنَّه ألحن فقال "بالغ" ووضعها موضع "مبلغ" وأراد منها "خالق"، وهذا كلام مخالف للغة العربية، فالعرب لا تضع الإبلاغ مكان الخلق، فالخلق: اختراع ما لم يكن.

ت- وقوله "التي فطرنا عليها" لا فائدة لهذا اللفظ فمعلوم أنَّ في الثيران والأباعير والحمير من هو أقوى منه وأشد.

---

(١)الإعلام، القرطبي، ص ص٤٧-٤٩.

ث- وقوله "أمرنا بحمده" فكلام لا بد من معرفة حقيقته وسلوك طريقه، فله أن يسأل النَّصراني هل الله آمرًا أم لا؟ وإن كان آمرًا فما حقيقة أمره؟ وإلى ماذا يرجع؟ وهل هو قديم أم حادث؟ ...الخ من الأسئلة التي تُوجَّه له ولا جواب عنده.

ج- قوله "فنحن نحمده ونشكره ونعظمه بمثل تعارفنا في الحمد والشكر" فأي حمد يحمده النَّصارى وأي شكر يشكرونه وقد نسبوا له ما يكرهون لأنفسهم، فهم لا يرضون لرهبانهم الزوجة والولد ثمَّ ينسبونهما لله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا واتخذوا عيسى إلهًا وعيسى يقول في الإنجيل للعالِم الذي سأله عن أول العهود فقال: "أن السيد إلهك إله واحد"(١)، ثمَّ وضع كلمة "تعارف" بدل "معرفة" فأخل بالمعنى وخالف اللغة، وإن أراد بهذه الكلمة ما تعارفه مخاطبوه فيما بينهم فيما بينهم من معنى الحمد لكان أيضًا كلامهم متناقضًا.

ح- وقوله "التعظيم لملوكنا وأهل الرهبنة من ذوي السلطان" وكان الأولى أن يُقال التعظيم للمسيح وللرهبان، والأولى أن يكون الاقتداء بورع المسيح لا بسلطان الملوك، فهذا يدل على عدم زهده بالدنيا وعدم اقتدائه بورع المسيح.

خ- قوله "غير واقفين على ذاته ولا مدركين لشيء منه" كلام يتناقض مع عنوان كتابه "تثليث الوحدانية في معرفة الله" فكيف يكون هذا الكتاب موصلا لمعرفة مالا يمكن إدراكه؟ ثمَّ يُقال كيف يمكن معرفة الله بدون معرفة ذاته أو معرفة شيء من صفاته؟ وهل ذات الله تعالى إلا عبارة عن وجوده، فمن لم يعرف ذات الله لم يعرف وجوده ومن لم يعرف وجوده إما شاك وإما جاهل.

د- قوله "وإنما نقع على أسماء أفعاله في خليقته وتدبيره في ربوبيته" فقوله "نقع" أراد به "نعرف" وإلا يختل الكلام وهذا من سوء التعبير وقلة الفصاحة، فوقع حقيقتها أن يسقط الشيء من أعلى لأسفل وليس لهذا الكلام دخل بما بعده، ثمَّ يوجَّه إليه عدة أسئلة منها: ما هو حد الاسم وحقيقته؟ وما حد المسمَّى؟ وهل ينقسم الاسم بالإضافة إلى المسمَّى أم لا ينقسم؟ ...الخ، وقد أضاف الأسماء إلى أفعال الله ومعلوم أن هذا خطأ فالأفعال هي المخلوقات، وإبدال لفظ المخلوقات بالأفعال قليل العائدة والفائدة، وأسماء الأفعال هي الألفاظ الدالة على مخلوقاته فمن عرف هذه الألفاظ فأي شيء عرف عن الله تعالى!! وأما تدبيره في ربوبيته

---

(١) النص في الإنجيل: "فجاء واحد من الكتبة و سمعهم يتحاورون فلما رأى انه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد" إنجيل مرقس: ١٢/ ٢٨- ٢٩.

فالمتبادر إلى الذهن من هذا اللفظ التفكير النفسي والتقدير الذهني، وهذا لا يصدر إلا في حق من جهل شيئًا فأراد ان يستخدم فكره في تحصيل العلم به، فالتدبير بمعنى الفكر محال في حق الله، وقوله "في ربوبيته" فلفظ الرب له معنيان:

١) السيد.

٢) المالك.

فإن أراد الأول الراجع إلى السؤدد والشرف فهو خطأ فسؤدده واجب له فلا يحتاج في تحصيله إلى سبب من تدبير، ولا مقتضى من تفكير، ويكون مقتضى كلامه: أنه دبر في ربوبيته وأوجدها عن تدبير لنفسه، وهذا جهل بالله وكفر به، وإن أراد المعنى الثاني فلا يستقيم المعنى معه أيضا فيكون: دبر في ملكه وأوجده عن التدبير الذي هو روية التفكير وينزه الله تعالى عن ذلك.

يتضح من خلال هذا المثال أنَّ الإمام القرطبي يعرِض الشبهة كاملة كما أوْردها النَّصراني، ثمَّ يضعها على محكِّ العرض والنقد، فبعد ذكره لعنوان الكتاب الذي أوْرده النَّصراني ذَكَرَ مقدمته كاملة كما هي رغم طولها وهذا ظاهر من خلال النظر إلى طول اقتباسه النَّصي من كتاب تثليث الوحدانية، ثمَّ نقده أقوال المخالف مظهِرًا مخالفتها للعقل والنَّقل واللغة.

ثانيًا: شبهة وجود واسطة بين الله ﷻ وموسى ﵇ والرد عليها:

١. الشبهة:

بين النصراني أن سماع موسى لصوت الله الذي يثبته أهل الملل الثلاث إنما كان عن طريق وجود واسطة تجسدت، وهذه الواسطة هي من قال لموسى أنا الله، وعليها رد موسى وأقر لها بالربوبية، فموسى لم يدرك كلام الله إلا بعد تجسد الواسطة له وهذه الواسطة قامت مقام الخالق فسماها إلهًا.

قال النصراني: "ثمَّ نقُول لمن ناظرني من بَاقِيَة الْمُسلمين إن كتابكُمْ يَقُول إِن مُوسَى سمع الله وَكَلمه تكليمًا فَكيف كَانَ ذَلِك، وَأَنْتُم قد أعجزتم جَمِيع الحاسات من إِدْرَاكه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، لِأَنَّهُ لَا مفطور وَلَا مشبه بِشَيْء مِمَّا يتَصَوَّر فِي الأوهام، فَإِن قُلْتُمْ: إِنَّه كَلمه بِذَاتِهِ فقد أوجبتم لَهُ جارحة النُّطْق ووقعتم فِيمَا أنكرتموه من الْجِسْم، وَإِن قُلْتُمْ إِن الله خلق لَهُ كلَامًا، فقد أثبتم كلَامًا مخلوقًا قَائِمًا بخلقه جوهرًا فِي نَفسه إِذْ لم يكن عرضًا فِي الله قَالَ لمُوسَى ﴿ **أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾ [طه: ١٤] وأثبتم أَن الْكَلَام وَاسِطَة بَين الله وَبَين

مُوسَى وَأَن مُوسَى أقرّ بالربوبية لقَوْله ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾[الأعراف: ١٤٣] وَقَول الصدى الَّذِي هُوَ الْمُتَكَلّم لَهُ ﴿لَا إِلَه إِلَّا أَنا فاعبدني﴾، فَإِن قلت أَن الصدى لم يقل لَهُ أَنا الله وَلكنه فِي مسامع مُوسَى أَنا الله، قلت لَك أَن الصدى هُوَ الْعَامِل فِي مسامع مُوسَى وَهُوَ المحرك لَهُ وَعَلِيهِ رد وإياه أجَاب..."[1].

٢. الرد على الشبهة:

أ- لا يحق للنصراني الاحتجاج بما هو منكر أصله أي القرءان الكريم، بخلاف المسلم الذي يستطيع الاحتجاج بالتوراة والإنجيل لأنه يُسَّلم أنهما وحي من الله تعالى وذلك قبل تحريفهما، فهو يحتج عليهم ليس على سبيل انتزاع الأحكام وإنما لإقامة الحجة عليهم.

ب- إنَّ الكلام الذي كلَّم الله به موسى فهو صفته وقد خلق الله الإدراك لموسى كي يستطيع سماع هذا الصوت.

ت- لا يجوز السؤال بكيف في صفات الله تعالى ولا ب "ما" ولا ب "أي" إذ لا جنس له ولا ب "أين" إذ هو خالق المكان، ونلاحظ أن السؤال بأين وارد في السنة فقد سأل النبي ﷺ الجارية فقال لها: "**أين الله" قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ**: «**مَنْ أَنَا؟**» **قَالَتْ**: **أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ**: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[2]، فكيف لا يصح أن يقال أين الله بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله للجارية: أين الله؟ وقد قال الإمام الذهبي رحمه الله: "أما قَول الْإِنْسَان أَيْن الله فَهُوَ حق قد سَأَلَ النَّبِي ﷺ الْجَارِيَة أَيْن الله فَقَالَت فِي السَّمَاء فَحكم بِأَنَّهَا مُؤمنَة"[3]، ثمَّ يقول الإمام القرطبي أنَّ السؤال بكيف غير جائز لأن صفات الخالق وأوصافه تختلف عن أوصافنا، وكما لا يقال كيف يسمع الله الخلق؟ فإنه لا يقال كيف يسمع الخلق الله؟

ث- قول النصراني إنَّ إثبات الكلام بذاته يستلزم جارحة فكلام غير صحيح، لأنه يكون صحيحًا إذا قلنا أنه كلمه بصوت وحرف يخرج من لهوات ويقطعه لسان والمسلمون لا يقولون بذلك، بل هو كلام الله تعالى الذي هو صفة له، ويرى الإمام القرطبي أن كلام الله تعالى ليس بصوت ولا حرف.

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص ص١٠٥-١٠٦.

(٢) [صحيح مسلم، مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، ١/٣٨١-٥٣٧]

(٣) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ج١/١٢٥.

ويُلاحظ أنَّ الإمام القرطبي قد خالف منهج أهل السنة وسار على طريقة الأشاعرة في التأويل فأول لفظ الصوت الوارد في التوراة، فقال: لفظ الصوت الوارد[١]:

أ- إمَّا أن يُراد به أنَّ الله خلق صوت يسمى الخشخشة أو الهمس في بعض طرق الجنة تشبه صوت الماشي فلما سمعه آدم تنبه لمخاطبة الله له فالمراد بأن الصوت يتمشى لا الله، إذ يستحيل ظاهر المشي على الله.

ب- أو أن المراد بالصوت الكلام القائم بذاته وإن لم يكن صوتًا فيجوز أن يسمَّى صوتًا لأنه يمكن أن يدل عليه بالصوت.

والمعنى أن موسى أدركه وفهمه.

وهذا يخالف منهج أهل السنة والجماعة، يقول الإمام ابن تيمية ﵀: " قال وأمَّا نحن فنقول كلام الله حرف وصوت بحكم النص، قال وليس ذلك عن جارحة ولا آلة وكلامنا حروف وأصوات لا يوجد ذلك منا لا بآلة، والله سبحانه وتعالى يتكلم بما شاء لا يشغله شيء عن شيء، والمتكلم منا لا يتأتى منه أداء حرفين إلا بأن يفرغ من أحدهما ويبتدئ في الآخر "[٢].

ومن الأدلة التي تثبت أن الله تعالى متكلم بصوت: ﴿**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوْسَى**﴾ [الشعراء:١٠]، يقول الإمام ابن تيمية: إن العرب لا تعرف النداء إلا بصوت فإن أنكروا الظاهر كفروا، وإن قالوا بغير صوت فقد خالفوا لغة العرب، ثمَّ أي فضيلة لموسى ﵇ إن لم يكلمه الله ولماذا سُمي كليم الله؟[٣] وبما أنَّ الإمام القرطبي قد ذَكَرَ أنَّه لا يُسأل عن صفات الله تعالى بالكيف لأنها لا تشبه صفات المخلوقين، فلماذا لا يكون الصوت داخل هذه القاعدة فلا نقول كيف صوت الله؟ وفي كلام النبي ﷺ ما يثبت أن الله يتكلم بصوت فيقول النَّبِيُّ ﷺ: " **يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ** "[٤]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص١١٠-١١١.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، ج٢/٩٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ج٢/٩٤.

(٤) [صحيح البخاري، الإمام البخاري ، كتاب التوحيد/ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**﴾ [سبأ: ٢٣]، " وَلَمْ يَقُلْ: "مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ" ٩/١٤١: رقم الحديث ٧٤٨٣].

ﷺ يقُولُ: " **يَحْشُرُ اللَّهُ العِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**"[1]، فهذه الآيات والاحاديث النبوية تثبت لله تعالى صوتًا مخالفًا لأصوات الحوادث كما قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١].

ج- القول بأن الصوت غير الله يقتضي أن موسى عليه السلام قد اعترف بربوبية الصوت وله قال الصوت أنا الله، وله قال اعبدني وهذا كلام من أبطل الباطل.

ح- وأما قول النصراني: "وَإِن قُلْتُمْ إِن الله خلق لَهُ كلَامًا فقد أثبتم كلَامًا مخلوقًا قَائِمًا بخلقه جوهرًا فِي نَفسه" بين الإمام القرطبي أنه لَا يلْزم من تَقْدِير صَوت الله تَعَالَى عَن ذَلِك مَخْلُوق أَن يكون الصَّوْت قَائِمًا بِنَفسِهِ جوهرًا، فحقيقة الصوت أَنه صفة لموصوف، وَعرض فِي مَحل، وَالْعرض لَا يَنْقَلِب جوهرًا، فَإِن قال النصراني: يلزم أَن يكون عرضًا، أُجيب: وَمَا الَّذِي يلْزم مِنْهُ إِن كَانَ عرضًا، فَإِن قال النصراني: يلْزم مِنْهُ أَن يكون الْعرض هُوَ الَّذِي قَالَ لمُوسَى ﴿أَنا الله لَا إِلَه إِلَّا أَنا فاعبدني﴾ وَالصَّوْت لَا يتَكَلَّم وَإِنَّمَا يتَكَلَّم، بِهِ قال لَه: جوابك أَن الصَّوْت لَا يتَكَلَّم عَن نَفسه وَإِنَّمَا يتَكَلَّم بِهِ كَمَا قلت أَنْت، ثمَّ يلزمه إِن جعله جوهرًا غير الله تَعَالَى أَن يكون هُوَ الَّذِي قَالَ عَن نَفسه ﴿أَنا الله لَا إِلَه إِلَّا أَنا﴾ وَله اعْترف مُوسَى بالربوبية لَا الله وَله سجد لَا الله، وَإِذا انْتهى إِنْسَان إِلَى هَذِه المخازي فقد كفر بمُوسَى وبإله مُوسَى، نَعُوذ بِاللَّه من أنظار تقود فِي الدُّنْيَا إِلَى الفضيحة والعار وَفِي الْآخِرَة إِلَى الخلود فِي عَذَاب النَّار.

وعَلى هَذَا الْكفْر الصَّرِيح يدل قَوْل النصراني: إِن مُوسَى أقرّ بالربوبية للواسطة.

وَإِذا أقرّ لَهَا بالربوبية وَلم يعرف قطّ من مُوسَى عليه السلام أَنه أقرّ بالربوبية لإلهين فقد اعْترف بربوبية الْوَاسِطَة، وَأنكر ربوبية الله وَكَذَلِكَ يفعل الله بِكُل مُسْرِف مرتاب، أعاذنا الله من الاختلال المفضي بِصَاحِبِهِ إِلَى الضلال، ثمَّ هَذِه الْمخَارِق يلزم مِنْهَا قلب الْحَقَائِق، فَإِن الصَّوْت لَا يقوم بِنَفسِهِ وَلَا بخلقه وَالْقَائِل بذلك يشْهد الْعُقَلَاء بحمقه، فَإِن حَقِيقَته صفة لموصوف يستدعى وجودهَا محلًا كَمَا سَائِر الصِّفَات إِذْ لا يعقل قيام صفة بِنَفسِهَا بل بغَيْرهَا وَهَذَا ضَرُورِيّ.

---

(١) [صحيح البخاري، الإمام البخاري ، كتاب التوحيد/ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**﴾ [سبأ: ٢٣]، " وَلَمْ يَقُلْ: "مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ" ٩/١٤١: رقم الحديث ٧٤٨٣].

خ- وَأما قَوْل النصراني "إنَّ الصدى لم يقل لَهُ أَنا الله وَلكنه كَانَ فِي مسامع مُوسَى أَنا الله"، يقال له: فالصدى كان الْعَامِل فِي مسامع مُوسَى وَهُوَ المحرك لَهُ وَقد ردَّ عليه وإياه أجَاب، ويلزم من هذا أَن يكون مُوسَى رَسُول الصدى لَا رَسُول الله وهذا ما يدل عليه كلام النصراني وحينما قال موسى لفرعون: أَنا رَسُول الله، كَانَ يريد بزعمه رَسُول الصدى، فَإِذا كَانَ الصدى يَقُول أَنا الله ويعترف لَهُ مُوسَى بالربوبية وَيَأْمُر لمُوسَى بتبليغ رسَالَته فَلنا أن نقول للنصارى أَن يقولوا أَنَّ الصدى إِلَه ويضيفوه إِلَى آلِهَتهم الْمُتَقَدّمَة، فَيكون عَددهمْ خَمْسَة وَذَلِكَ أَن الأقانيم الثَّلَاثَة عنْدهمْ آلِهَة وَعِيسَى إِلَه رَابِع والصدى إِلَه خَامِس، ومنهم طائفة تدَّعى أَن مَرْيَم إِلَه[1] فَتكون الْآلهَة عِنْد هَذِه الطَّائِفَة سِتَّة.

فهذه طريقة الإمام القرطبي في هذا الفصل، عرض شبهة خصمه كاملة كما أوردها الخصم، بحيث يوردها بدون تغير بالألفاظ كما هي، ثم ينقد هذا الكلام كلمة كلمة، ولكنه كما بينا سابقًا أنه يتطرق للأهم فالمهم حتى لا يضيع وقته ووقت القارئ وكي لا يصاب القارئ بالملل.

وهذا أسلوب ومنهج الإمام القرطبي وقد تميز به في هذا الكتاب، حيث يجاوب النصراني حرفًا حرفًا، وربما يفعل ذلك لأن سبب تأليف للكتاب أنه يرد على كتاب آخر.

المطلب الرابع: عدم التصريح بالنَّقل عمَّن سبقه

بيَّنا سابقًا أنَّ الإمام القرطبي قد استفاد من عدة كُتُب ولكنَّه لم يُحِل إلى تلك الكتب إلا نادرًا، فاستفاد من كُتُب مَن سَبَقَه في كثير من موضوعات الكتاب، والتي من أبرزها:

- موضوع الردِّ على عقائد النَّصارى الأساسية.
- الآيات الدالة على نبوة نبينا محمَّد ﷺ.

ويعد هذا المنهج مِن منهج العلماء السابقين، ولم يكن يعدّ سرقة علمية، فقد اعتاد بعض العلماء القدامى على النَّقل من الكتب السابقة لهم دون الإحالة إليها.

(١) وتسمى هذه الطائفة المريمية، وتعتقد أن المسيح وأمه إلهين، انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، ج٤/٢٢٠

ومن الكتب التي استفاد منها الإمام القرطبي:[1] كتاب "مَقامِع الصُلْبان" لأبي عبيدة الخزرجي[2] وكتاب "الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض[3] وكتاب "بذل المجهود في إفحام اليهود" للسموأل بن يحيى[4].

ويمكن بيان مدى استفادة الإمام القرطبي ممَّن سبقه من العلماء ورجوعه واقتباسه من كتبهم في النقاط التالية:

أولًا: استفادته من كتاب "مقامع الصُّلبان" في عدة موضوعات

استفاد الإمام القرطبي من كتاب "مقامع الصُّلبان" الذي ألفه الإمام الخزرجي، ويُعد كتاب مقامع الصلبان من كتب الجدل الديني التي ردت على النصارى، رغم أن الكتاب لم يحظ بعناية العلماء، إلا أن الإمام القرطبي قد استفاد ممَّا ضمنه الإمام الخزرجي في كتابه، في العديد من المواضع منها:

١. يقول الإمام الخزرجي في كتابه "مقامع الصَّلبان": "فصل في تقديم الاعتذار عن النزول في مجاوبتك والاعتذار عن ذلك بالاعتراف أنَّ ما في دينكم يخل بعقل الإنسان ودينه كما

---

(١) انظر: مقدمة محقق كتاب "الإعلام"، القرطبي، تحقيق: د. فايز سعيد عزام، ص ص٩-١٠.

(٢) هو: أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن عبيد الأنصاري الخزرجي القرطبي، روى عن ابن العربي وابن ورد وجماعة، وروى عنه أبو سليمان وأبو محمد ابنا حوط الله وجماعة، له العديد من المصنفات منها: آفاق الشموس في الأقضية النبوية، نفس الصباح في غريب القرآن، وناسخه ومنسوخه، مقام المدرك في إحجام المشرك، مقامع هامات الصلبان، انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ج١/ ٢٢٦.

(٣) هو: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، هو إمام علامة سبتي الميلاد، أندلسي الأصل، كان عالمًا بالتفسير وعلومه، وكان عالمًا باللغة والنحو وكلام العرب، والأنساب، وكان فقيهًا أصوليًا، شاعرًا، لع العديد من التصانيف منها: إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، الإعلام بحدود قواعد الإسلام، الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وغيرها، وُلد بسبتة عام أربعمائة وست وتسعين، وتوفي بمراكش عام خمسمائة وأربع وأربعين رحمه الله تعالى، انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ج٢/٥١.

(٤) هو: السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، أصله من بلاد المغرب، سكن مدة في بغداد ثم انتقل إلى بلاد العجم وبقي فيها حتى مات، كان عالمًا بصناعة الطب وأصله، وكان حاد الذهن جدًا، بلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى، أسلم وحسن إسلامه وألف كتابه إفحام اليهود لإظهار دعاويهم وفضحهم، توفي قريبًا من سنة سبعين وخمسمائة، وله العديد من المؤلفات في الجبر والرياضيات والطب، انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، تحقيق: د. نزار رضا، ص٤٧١.

وصف أحد ملوك الهند وقد ذُكرت له الثلاث ملل فقال: أمَّا النَّصارى فإن كان مناصبوهم من أهل الملل يجاهدونهم بحكم شرعي فلقد أرى ذلك بحكم عقلي وإن كنا لم نر بحكم عقولنا قتالًا، ولكن استثنى هؤلاء القوم من جميع العوالم فإنهم قصدوا مضادة العقل وناصبوه العداوة وتحلوا ببث الاستحالات ..."[١].

بعد هذا الوصف الذي وصفه الإمام الخزرجي لسفاهة عقول النَّصارى، نلاحظ أن الإمام القرطبي في "الإعلام" يصف وصفًا مشابهًا لسفاهة عقول النَّصارى فيقول الإمام القرطبي في "الإعلام": "وَلَقَد حكى أَن بعض حكماء الْهِنْد وَكَانَ من الْمُلُوك الَّذين يحكمون بالسياسية الدِّينِيَّة الَّذين لم يتقلدوا اتباع مِلَّة دينية ذكرت لَهُ الْملَل الثَّلَاث فَقَالَ أما النَّصَارَى وَإِن كَانَ مناصبوهم من أهل الْملَل يجاهدونهم بِحكم شَرْعِي فقد أدَّت آراؤهم إِلَى أَن لَا نرى بِحكم عقولنا لَهُم عقولًا فاستثنى هَؤُلَاءِ الْقَوْم يُرِيد النَّصَارَى من جَمِيع العوالم فَإِنَّهُم قصدُوا مضادة الْعقل وناصبوه الْعَدَاوَة وتحلوا ببث الاستحالات مَعَ أَنهم حادوا عَن المسلك الَّذِي انتهجه غَيرهم من أهل الشَّرَائِع..."[٢]، فنلاحظ بعد هذا العرض لكلا النَّصين أنَّ أحدهما قد تأثر بالآخر ومعلوم أن الإمام الخزرجي قد توفي سنة ٥٨٢هـ[٣]، والإمام القرطبي توفي سنة ٦٥٦هـ، فلا بد للاحق أن يكون هو المتأثر بالسابق، فيكون الإمام القرطبي قد استفاد ونقل عن الإمام الخزرجي.

٢. وفي موضع آخر يقول الإمام الخزرجي بعد عرضه التناقض في نسب المسيح: "كيف يقع مثل هذا الاختلاف في كتاب الله تبارك وتعالى، وقد كان أحد ملوك العجم غير المتنصرة اطَّلع من أناجيلكم على هذا التناقض في نسب عيسى فعابه عليكم، شافه أربابكم فيه فلم يكن فيهم من يعتذر عن ذلك وسقط ما بأيديهم، ثمَّ إن أحد الأساقفة سمِع بذلك على بعد، فخاطب الملك بعذر تحيل فيه، وهو أن النسبين المتناقضين أحدهما نسب طبيعي نسب التنسيل والتوليد، والآخر نسب الولاية والكفالة، فاستحسن جمهوركم هذا العذر وعمل عليه"[٤]، وبعد ذكره لحُجَّة النصارى في التناقض في نسب المسيح، ذَكَرَ ما يدلل على تناقضهم وضرْب الإنجيل بعضه بعضًا، فالمسيح نهاهم عن التجارة في بيت المقدس

(١) مقامع الصلبان، الخزرجي، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، ص٤٠.

(٢) الإعلام، القرطبي، ص١٦٧.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ج١٢/٧٤٥.

(٤) مقامع الصلبان، الخزرجي، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، ص٦٢

فطلبوا منه علامة، فقال لهم: تهدمون هذا البيت ويبنيه لهم في ثلاثة أيام، ثمَّ يقول الإنجيل بعد ذلك أنَّ الشهود الذين نقلوا هذا الكلام عن المسيح هم شاهديْ زور[1].

وفي "الإعلام" يقول الإمام القرطبي بعد ذِكْرِه التناقض في نسب المسيح: "فيا ليت شعري كيف يجوز مثل هذا على الله أو كيف ينقل هذا في كتاب معلون عن الله، وقد أراد بعض أساقفتهم أن يرقع هذا الخرق المتسع بأن قال أحد النسبين طبيعي نسب التوليد والآخر نسب شرعي نسب الولاء والكفالة والتناقض باقٍ عليه بعد اختراع هذا الهذيان"[2]، ثمَّ ذَكَرَ بعد هذا: التناقض في نهي المسيح اليهود البيع في بيت المقدس فطلبوا آية فقال أنه سيعيد بناءه في ثلاثة أيام، مع نص آخر يفيد أنَّ الشهود الذين نقلوا هذا الكلام عن المسيح هم شاهديْ زور، فكيف يجوز أن يُقال ذلك؟ وبعد عرضنا لكلا النَّصين يتبين لنا مدى التشابه الكبير بين نصوص كتاب "الإعلام" للإمام القرطبي وبين نصوص كتاب "مقامع الصُّلبان" للإمام الخزرجي رغم الاختلاف اليسير في العبارات، بالإضافة إلى ترتيب النُّصوص في "الإعلام" موافق إلى درجة كبيرة لترتيب النصوص في "مقامع الصلبان"، فلاحظنا في النص السابق بعد ذكر الإمام الخزرجي لحجج النَّصارى انتقل بعدها لذكر تناقضات الأناجيل، وهو يوافق تمامًا ما فعله الإمام القرطبي بعد ذِكره لهذيان النصارى في نسب المسيح انتقل للحديث عن تناقضات الأناجيل، ذاكرًا أولها التناقض في قول المسيح أنه سيبني بيت المقدس في ثلاثة أيام، مع تسميتهم من جاء بها بشاهديْ زور.

٣. وهذا المثال يوضح بشكل أكبر التشابه الكبير بل ومدى استفادة الإمام القرطبي من الإمام الخزرجي، فنلاحظ ممَّا جاء في كتاب "مقامع الصُّلبان" حينما تحدَّث الإمام الخزرجي عن دلائل نبوة محمد ﷺ في الكتب السابقة قال: "فمن ذلك في المصحف الخامس من التوراة التي بأيديكم إلى اليوم قال الله لموسى ابن عمران: إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبيًّا مثلك أجعل كلامي على فيه فمن عصاه انتقمت منه، فإن قلت: فإن ذلك إنما هو يوشع بن نون، فقد قال الله تعالى في آخر التوراة: إنه لا يخلف من بني إسرائيل نبي مثل موسى، فلا محالة أن الذي بشرت به التوراة لا يكون من بني إسرائيل لكن من إخوة بني إسرائيل، ولا محالة أنهم العرب والروم، فأما الروم فلم يكن منهم نبيء سوى أيوب، وكان قبل موسى بزمان، فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة فلم يبق إلا العرب، فهو إذًا محمد ﷺ، وقد قال الله في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب: إنه يضع فسطاطه في وسط

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، الخزرجي، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، ص٦٢.

(٢) الإعلام، القرطبي، ص ٢٠٧.

بلاد إخوته، فكنى عن بني إسرائيل بإخوة إسماعيل كما كنى بإخوة بني إسرائيل في قوله: سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبيئًا مثلك"[١]. والإمام القرطبي في الإعلام يقول: " فَمن ذَلِك مَا جَاءَ فِي التَّوْرَاة أَن الله قَالَ لمُوسَى بن عمرَان إنِّي أقيم لبني إسْرَائِيل من إخْوَتهم نَبِي مثلك أجعَل كَلَامي على فِيهِ فَمن عَصَاهُ انتقمت مِنْهُ فَإِن قلت: إِن ذَلِك إِنَّمَا هُوَ يشوع بن نون، قُلْنَا: لَا، فقد قَالَ فِي آخر التَّوْرَاة لَا يخلف من بني إسْرَائِيل نَبِي مثل مُوسَى، فَلَا محَالة أَن ذَلِك الَّذِي بشرت بِهِ التَّوْرَاة لَا يكون من بني إِسْرَائِيل لَكِن من إخْوَة بني إِسْرَائِيل، فلننظر من هم إخْوَة بني إِسْرَائِيل فَلَا محَالة أَنهم الْعَرَب أَو الرّوم، فَأَما الرّوم فَلم يكن مِنْهُم نَبِي سوى أَيُّوب، وَكَانَ قبل مُوسَى بِزَمَان، فَلَا يجوز أَن يكون هُوَ الَّذِي بشرت بِهِ التَّوْرَاة فَلم يبْق إِلَّا الْعَرَب فَهُوَ إِذن مُحَمَّد عَلَيْهِ السَّلَام، وَقد قَالَ فِي التَّوْرَاة حِين ذكر إِسْمَاعِيل جد الْعَرَب أَنه يضع فسطاطه فِي وسط بِلَاد إخْوَته، فكنى عَن بني إسْرَائِيل بإخوة إِسْمَاعِيل كَمَا كنى عَن الْعَرَب بإخوة بني إِسْرَائِيل فِي قَوْله: إِنِّي أقيم لبني إسْرَائِيل من إِخْوَتهم نَبِي مثلك"[٢]. فالذي يقرأ كلا النصين يدرك مدى التشابه الكبير بين الألفاظ وهذا التشابه لم يقتصر على تشابه الألفاظ وحده كما أسلفنا بل حتى في ترتيب دلائل النبوة، ونبين ذلك من خلال هذه المقارنة للآيات التي ذكرها الإمام الخزرجي مرتبة كما في الكتاب، يقابلها ما ذكره الإمام القرطبي في "الإعلام":

أ- **ما جاء في كتاب "مقامع الصلبان":**

١) "جاء الله من سيناء وأشرق ما ساعير واستعلن من جبال فاران ..."[٣]

٢) الفقرة التالية: "أن الله قال لإبراهيم حين دعاه في ابنه إسماعيل قد أجبتك في إسماعيل..."[٤]

---

(١) مقامع الصلبان، الخزرجي، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، ص١١٩

(٢) الإعلام، القرطبي، ١/٢٦٣-٢٦٤.

(٣) مقامع الصلبان، الخزرجي، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، ص٢٢٣. والنص في التوراة: "جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ" سفر التثنية: ٣٣/ ٢.

(٤) المرجع السابق، ص١٢٣. والنص في التوراة: "وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً" سفر التكوين:١٧/ ٢٠.

٣) ثم قال بعده: "وقال في التوراة أيضا لهاجر أم إسماعيل وستكون يده فوق يد الجميع..."[١]

٤) ثم ذكر في الفقرة التالية لهذه الفقرة: "سبحوا الرب تسبيحًا جديدًا..."[٢]

٥) والفقرة التي تليها: "ويحوز من البحر إلى البحر ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار..."[٣]

٦) ثمَّ قال بعدها: "أن الله أظهر من صهيون إكليلًا محمودًا..."[٤]

٧) ثمَّ يقول: "تقلد أيها الجبار السيف ..."[٥]

ب- ما جاء في كتاب "الإعلام":

١) "فقال جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ..."[٦].

٢) الفقرة التالية في الإعلام: "أن الله قال لإبراهيم قد استجبتك في إسماعيل..."[٧].

٣) ثم قال بعده: "أيضًا أن ملاك الرب قال لهاجر ستلدين ابنًا وتدعين اسمه إسماعيل يده على كل..."[٨].

٤) "أنه قال سبحوا الرب تسبيحًا حديثًا ..."[٩].

---

(١) مقامع الصلبان، الخزرجي، ص١٢٣، والنص في التوراة: "١٢وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ" سفر التكوين:١٦/ ١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٤، والنص في التوراة: "سَبِّحُوا الرَّبَّ يَا كُلَّ الأُمَمِ. حَمِّدُوهُ يَا كُلَّ الشُّعُوبِ"، سفر المزامير:١/١١٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٢٥، والنص في التوراة: "وَيَمْلِكُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ"، سفر المزامير: ٨/٧٢.

(٤) المرجع السابق ، ص١٢٥، والنص في التوراة: "مِنْ صِهْيَوْنَ، كَمَالِ الْجَمَالِ، اللهُ أَشْرَقَ" سفر المزامير: ٢/٥٠.

(٥) المرجع السابق ، ص١٢٦، والنص في التوراة: "تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ" سفر المزامير:٣/٤٥.

(٦) الإعلام، القرطبي، ص٢٦٤

(٧) المرجع السابق، ص٢٦٥

(٨) المرجع نفسه، ص ٢٦٦

(٩) المرجع نفسه ، ص٢٦٦

٥) وفي الفقرة التي تليها: "فقال ويجوز من البحر إلى البحر ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار..."[١].

٦) ثمَّ قال بعدها: "أن الله تعالى أظهر من صهيون إكليلًا محمودًا..."[٢].

٧) ثمَّ يقول: "تقلد أيها الجبار سيفك..."[٣].

بعد هذا العرض السريع لدلائل النبوة في كتاب "مقامع الصلبان" وكتاب "الإعلام" نلاحظ: مدى التشابه الكبير بين الكتابين سواءً في الألفاظ أو في الترتيب، ونلاحظ أيضًا مدى استفادة الإمام القرطبي من كتاب الإمام الخزرجي، وعدم إشارته في أي موضع من كتابه "الإعلام" لهذه النقطة، وكما أسلفنا أن هذا المنهج أي عدم التصريح بالنَّقل والاستفادة من الكتب الأخرى هو من منهج العلماء القدامى وهو ليس طعنًا أو عيبًا في حقهم، بخلاف مناهج البحث المعاصرة التي تُحتِّم على الباحث التوثيق وإلا اعتُبِر ذلك سرقة علمية.

ثانيًا: استفادته من كتاب "الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض

كما لاحظنا فيما سبق أنَّ الإمام القرطبي قد استفاد من كتاب الإمام الخزرجي "مقامع الصلبان"، فنلاحظ أيضًا أن الإمام القرطبي قد استفاد كذلك من كتاب "الشفا" للقاضي عياض.

ومن أبرز ما استفاده الإمام القرطبي من القاضي عياض ما ذكره من الآيات الخارقة للعادات الدالة على نبوة محمد ﷺ، فذكر القاضي عياض العديد من هذه الآيات.

ستذكر الباحثة هذه الآيات إجمالًا ثم تُلحقها بذكر ما جاء في كتاب الإعلام ليتبين للقارئ مدى استفادة الإمام القرطبي من كتاب "الشفا" دون إشارته لذلك.

١. ما جاء في كتاب "الشِّفا" للقاضي عياض:

أ- "فصل انشقاق القمر وحبس الشمس"[٤].

ب- "فصل فِي نبع الماء من بين أصابعه وتكثير ببركته"[٥].

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٢٦٧

(٢) المرجع السابق، ص٢٦٧

(٣) المرجع نفسه، ص٢٦٧

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، القاضي، ج١/٢٨٠

(٥) المرجع السابق، ج١/٢٨٥

ت- "فصل وَمِمَّا يُشْبِهُ هَذَا من مُعْجِزَاتِه تَفْجِيرُ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ وَابْتعاثِهِ بِمسّهِ وَدَعْوَتِهِ"[١].

ث- "فصل وَمِنْ معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه"[٢].

ج- "في كلام الشجر وشهادتها لَهُ بالنبوة وإجابتهَا دعوته"[٣].

ح- "فصل فِي قِصَّةِ حنين الجذع"[٤].

خ- "فصل ومثل هَذَا فِي سائر الجمادات"[٥].

د- "فصل فِي الآيات فِي ضروب الحيوانات"[٦].

ذ- "فصل فِي إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم لَهُ بالنبوة ﷺ"[٧].

ر- "فصل فِي إبراء المرضى وذوي العاهات"[٨].

بعد عرضنا للآيات التي ذكرها القاضي عياض في كتابه، نذكر الآن الآيات التي ذكرها الإمام القرطبي ليتبين لنا التشابه الكبير بينهما.

٢. ما جاء في كتاب الإعلام:

أ- "الْفَصْل الأول فِي انشقاق الْقَمَر"[٩].

ب- "الْفَصْل الثَّانِي فِي حبس الشَّمْس آيَة لَهُ ﷺ"[١٠].

ت- "الْفَصْل الثَّالِث نبع المَاء وتكثيره معْجزَة لَهُ ﷺ"[١١].

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، القاضي، ج١ /٢٨٧

(٢) المرجع السابق، ج١/٢٩١

(٣) المرجع نفسه، ج١/٢٩٨

(٤) المرجع نفسه، ص٣٠٣

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٠٦

(٦) المرجع نفسه، ص٣٠٩

(٧) المرجع نفسه، ص٣١٦

(٨) المرجع نفسه، ص٣٢١

(٩) الإعلام، الإمام القرطبي، ص٣٤٨.

(١٠) المرجع السابق، ص٣٥٠.

(١١) المرجع نفسه، ص٣٥١.

ث- "الْفَصْل الرَّابِع تَكْثِير الطَّعَام معْجزَة لَهُ ﷺ"[1].

ج- "الْفَصْل الْخَامِس فِي كَلَام الشّجر وَكثير من الجمادات وشهادتها لَهُ بِالنُّبُوَّةِ"[2].

ح- "الْفَصْل السَّادِس فِي كَلَام ضروب من الْحَيَوَان وتسخيرهم آيَة لَهُ ﷺ"[3].

خ- "الْفَصْل السَّابِع فِي إِحْيَاء الْمَوْتَى وَكَلَام الصّبيان والمراضع وشهادتهم لَهُ بِالنُّبُوَّةِ"[4].

د- "الْفَصْل الثَّامِن فِي إِبْرَاء النَّبِي ﷺ المرضى وَذَوي العاهات"[5].

ذ- "الْفَصْل التَّاسِع فِي إِجَابَة دُعَائِهِ ﷺ"[6].

ر- "الْفَصْل الْعَاشِر فِي ذكر جمل من بركاته ومعجزاته ﷺ"[7].

يُلاحظ مما سبق: أنَّ الإمام القرطبي تأثر بالقاضي عياض، في غالب الفصول السابقة، ففي غالب الموضوعات نلاحظ تشابهًا كبيرًا في فحوى الموضوعات، حتى في الافتراضات التي كان يضعها كلا الإمامين أمام المنكرين لوقوع المعجزات، كما في فصل انشقاق القمر، وفي الفصل الذي يليه نلحظ أنَّ كلاهما استدل بمعجزة حبس الشمس بما أخرجه الطحاوي من طريقين ثابتين، ونلحظ في فصل نبع الماء وتكثير الطعام توافقًا كثيرًا في الألفاظ والروايات التي استدل كلا الإمامين بها، ويزيد هذا التوافق والتشابه عندما نقرأ في فصل "كلام الشجر وكثير من الجمادات وشهادتها له بالنبوة" ففي هذا الفصل نُلاحظ استخدام الإمامين لغالب الروايات نفسها بالإضافة إلى التسلسل في ذِكرها، وهكذا في غالب الفصول السابقة.

بعد عرْضِنا لهذه النصوص يتبين لنا أن الإمام القرطبي رحمه الله كان قد اطلع على ما كتبه القاضي عياض الذي توفي ٥٤٤هـ[8]، أي قبل وفاة الإمام القرطبي بقرن ونيف، واستفاد منه أثناء رده على النصراني كما أسلفنا.

---

(١) الإعلام، الإمام القرطبي، ص٣٥٤.

(٢) المرجع السابق، ٣٥٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٥٩.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٦٣.

(٥) المرجع نفسه، ص٣٦٥.

(٦) المرجع نفسه، ص٣٦٧.

(٧) المرجع نفسه، ص٣٧٠.

(٨) انظر تاريخ الإسلام، الذهبي، ج١١/٨٦٠.

ثالثًا: استفادته من كتاب "بذل المجهود في إفحام اليهود" للسموأل المغربي

وهو من أحبار اليهود الذين هداهم الله تعالى إلى دين الحق، ألَّف كتابًا أسماه "بذل المجهود في إفحام اليهود" كَتَب فيه ما يفضح خبث اليهود ومكرهم[١] وقد قال عن هذا الكتاب: إنه كتاب بديع لم يعمل في الإسلام كتاب مثله في مناظرة اليهود[٢]، فلا ريب أنَّ الإمام القرطبي قد استفاد ممَّا فيه، حيث إننا نجد عند حديث الإمام القرطبي عن الآيات التوراتية التي تحدَّثت عن نبوة نبينا محمد ﷺ، وقد ذَكَرَ من ضمنها الإشارة إلى اسم النَّبي "محمد" في التوراة، وذلك عن طريق حساب الجمل[٣] الذي اشتُهر بين أحبار اليهود، فقال الإمام القرطبي في "الإعلام": "فَأَما قَوْله جدًا جدًا فَهُوَ بِتِلْكَ اللُّغَة بماد ماد وَعدد هَذِه الْحُرُوف اثنان وَتسْعُونَ وَذَلِكَ أَن الْبَاء عِنْدهم اثنان وَالْمِيم أَرْبَعُونَ وَالْألف وَاحِد وَالدَّال أَرْبَعَة وَالْمِيم الثَّانِيَة أَرْبَعُونَ وَالْألف وَاحِد وَالدَّال أَرْبَعُونَ وَكَذَلِكَ الْمِيم من مُحَمَّد أَرْبَعُونَ والحاء ثَمَانِيَة وَالْمِيم أَرْبَعُونَ وَالدَّال أَرْبَعَة، وَأما قَوْله لشعب عَظِيم فَهُوَ بِتِلْكَ اللُّغَة لغوي غدول، فَاللَّام عِنْدهم ثَلَاثُونَ والغين ثَلَاثَة وَهِي عِنْدهم مقَام الْجِيم إِذْ لَيْسَ فِي لغتهم جِيم وَلَا ضاد وَالْوَاو سِتَّة وَالْيَاء عشرَة والغين أَيْضًا ثَلَاثَة وَالدَّال أَرْبَعَة وَالْوَاو سِتَّة وَاللَّام ثَلَاثُونَ، فمجموع هَذِه أَيْضا اثنان وَتسْعُونَ وَهَذَا من رَشِيق الْفَهم وملح الْبَحْث وغرائب الْعلم"[٤]

فهذه بعض الأمثلة تدل على استفادة الإمام القرطبي ممن سبقه من علماء الأديان، وعلى سعة اطلاعه، ورسوخ قدمه في هذا العلم، رحم الله الإمام القرطبي.

---

(١) انظر: إفحام اليهود وقصة إسلام السموآل ورؤياه النبي ﷺ، السموأل المغربي، تحقيق: د. محمد عبد الله الشرقاوي، ص١١٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٧٢.

(٣) حساب الجمل: يجعل اليهود لكل حرف من الحروف مقابلًا من الأرقام على لغة: أبجد هوز فالألف تأخذ رقم١، والباء تأخذ رقم٢ وهكذا حتى نصل للحرف١١ أي حرف ك٢٠ وبعده ل٣٠ وهكذا حتى نصل للحرف١٩ ف فيعطى قيمة عددية١٠٠، ثم ص٢٠٠،...وهكذا، انظر: هل بشَّر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ؟، السقار، ج١/٣٣.

(٤) الإعلام، القرطبي، ص٢٦٦.

المبحث الثاني:

المنهج النقدي للإمام القرطبي في الرد على النصارى

مقدمة:

تنوعت المناهج العلمية في مقارنة الأديان سواء في الماضي أم الحاضر، كالمنهج النقدي، والمنهج الجدلي، والمنهج التاريخي، والوصفي التحليلي، وقد تميَّز كل عالم من علماء الأديان بمنهج من هذه المناهج، وهناك من جمع أكثر من منهج، ومن أبرز علماء مقارنة الأديان الإمام ابن حزم(١) الذي سلك المنهج النقدي في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، والشيخ رحمت الله الهندي الذي سلك المسلك الجدلي، في كتابه "إظهار الحق"، والإمام محمد بن طاهر التنير البيروتي(٢) الذي سلك مسلك المقارنة في كتابه "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية".

وقبل بيان منهج الإمام القرطبي لا بد من بيان معنى المنهج لغة واصطلاحًا، ومعنى المنهج النقدي.

---

(١) ابْن حزم: الإِمَام الْعَلامَة الْحَافِظ الْفَقِيه أَبُو مُحَمَّد عَليّ بن أَحْمد بن سعيد بن حزم الْفَارِسِي الأَصْل اليزيدي الْأمَوِي مَوْلَاهُم الْقُرْطُبِيّ الظَّاهِرِيّ، كَانَ أَولًا شافعياً ثمَّ تحول ظاهريا وَكَانَ صَاحب فنون وورع وزهد، أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الْإِسْلَام وأوسعهم مَعَ توسعه فِي عُلُوم اللِّسَان والبلاغة وَالشعر وَالسير وَالْأَخْبَار، من مؤلفاته: الْمحلى، والملل والنحل، وَغير ذَلِك، انظر: طبقات الحفاظ، السيوطي، ج١/٤٣٥.

(٢) هو: الأستاذ محمد بن طاهر بن عبد الوهاب بن سليم التنير البيروتي، باحث متكلم من أهل بيروت تعلم في الجامعة الأمريكية بها، وأصدر جريدة المصور... عمل في إدارة جريدة الشرق التي أمر بإنشائها جمال باشا الكبير... ترك آثارًا علمية كثيرة منها: الدر النضير، وكتاب الأسرار، وغيرها، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تأليف: محمد طاهر التنير البيروتي، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، ص٢٨.

المطلب الأول: تعريف المنهج النقدي لغة واصطلاحًا

أولًا: تعريف المنهج لغة واصطلاحًا

١. **المنهج لغة:** كلمة المنهج لها أصلان متباينان

الأصل الأول: بمعنى الطريق، يقال نهج لي الأمر: أي أوضحه، والجمع: مناهج، وفي لسان العرب: المنهج هو الطريق الواضح، ومنه أنهج الطريق أي وضح واستبان واصار نهجًا واضحًا بينًا[١] وهو المعني الذي يوافق معنى المنهج في الاصطلاح.

والأصل الثاني: بمعنى الانقطاع، ومنه أتانا فلان ينهج إذا أتى مبهورًا منقطع النفس، وضربت فلان حتى أنهج أي: سقط[٢].

٢. **المنهج اصطلاحًا:** هو "الطريق العلمي المؤدي أو الموصل لهدف البحث، وهو الخيط غير المرئي الذي يشد فقرات البحث بعضها إلى بعض"[٣]

فالمنهج هو طريق علمي يسلكه الباحث بناءً على أسس وقواعد علمية معينة حتى يصل لهدف البحث.

ثانيًا: تعريف النقد لغة واصطلاحًا

١. **النقد لغة:** : قال ابن فارس النون والقاف والدال لها أصل واحد يدل على إبراز شيء وبروزه، ومنه النقد في الحافر: وهو تقشره، ومنه نقْد الدِّرهم أي أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك[٤].

فالنقد في اللغة جاء بمعنى الفحص والتمييز فهو اختبار ليَتميز الجيد من الرديء وليتم إخراج الزيف.

٢. **النقد اصطلاحًا:** "هو عملية تقويم وتصحيح وترشيد، فهو ليس بمعنى النقض بل محاكمة إلى قواعد متفق عليها"[٥].

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٢/٣٨٣.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٥/٣٦١

(٣) طرق البحث العلمي أسس وتطبيقات، السماك، ص٦١

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ٥/ ٤٦٧

(٥) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، الأنصاري، ص٩٨

ثالثًا: تعريف المنهج النقدي:

"يعرف المنهج النقدي بأنه المنهج المبني على دراسة النَّص في ذاته ثمَّ مقارنته ببقية النصوص الأخرى"[1]، فالمنهج النقدي يقوم على أساس دراسة النُّصوص ونقدها، وتمييز صحيحها من سقيمها، ثمَّ مقارنة النصوص التي تم نقدها بالنصوص الأخرى لتأكيد بطلانها، فهو يتوجه بالنقد إلى النصارى من أجل إعادتهم إلى جادة الطريق وهذا هو منهج القرءان الكريم.

المطلب الثاني: منهج الإمام القرطبي النقدي "التثليث أنموذجًا تطبيقيًا"

كان الإمام القرطبي عالمًا بمناهج النقد والجدل عارفًا بأصول الحوار والمناظرة، ولولا ذلك لما توجه إليه جماعة من علماء قرطبة وأعيانهم ليكتب لهم جوابًا عما كتبه ذلك النصراني صاحب كتاب _تثليث الوحدانية_ فقد كتب لهم ردًا نَقَدَ فيه العقائد النصرانية وأظهر بطلانها.

والإمام القرطبي رحمه الله سلك في كتابه عدة مناهج إلَّا أنه كان له منهج متميز في كتابه الإعلام، وهو المنهج الذي يطغى على الكتاب ألا وهو المنهج النقدي، اعتمد فيه على النقد العقلي، والنقد النقلي، وكذلك النقد التاريخي، وذلك من خلال عودته للماضي ليدرس ما حصل ويناقش يحلل حتى يصل إلى بطلان هذه العقائد لاسيما في موضوع نشأة التثليث.

فقد كان الإمام القرطبي ناقدًا خبيرًا بصيرًا ولم يكن نقده لإثبات الحجة له أو ليقال أنه ظفر بخصمه، ولكنه كان يرجو الله تعالى بالهداية لهذا النصراني، فيقول: "فَالله يعلم أَنِّي أنظر إِلَيْك وَإِلَى كَافَّة خلق الله بِعَين الرَّحْمَة وأسأله هِدَايَة من ضل من هذه الْأمة وأتأسف على الأباطيل الَّتِي ينتحلون فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون"[2]، وكان رحمه الله عالمًا بأساليب النقد وقواعده، فقد كان يعرض القضايا التي يوردها النصراني بطريقة مميزة، ويقوم بدراسة هذه القضايا دراسة معمقة عن طريق تحليلها واستقصاء المعلومات حولها وعرض الحجج والبراهين التي تبطلها، ثمَّ يتبع ذلك بتقرير العقيدة الصحيحة.

وقد كان ينقد العقائد الباطلة عقلًا وأخرى نقلًا، وتارة ينقدها سندًا وأخرى متنًا، وتارة يلجأ إلى النقد التاريخي ليؤكد بطلان هذه العقيدة بأسلوب شامل.

---

(١) السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، د. الدبيسي، ص٤

(٢) الإعلام، القرطبي، ص١٠١.

وقد أبدع الإمام القرطبي وأجاد في القضايا التي تناولها وساعده في ذلك ثقافته الإسلامية الواسعة ومعرفته بكتب أهل الكتاب، فقد كان دقيق الملاحظة عالمًا بدقائق أهل الكتاب وتشريعاتهم وقوانينهم.

وقد تناول الإمام القرطبي العديد من الموضوعات التي قام بنقدها والتي من أبرزها موضوعات الحلول والاتحاد والتثليث، بالإضافة لدراسته لبشارات الكتاب المقدس، وقد نَقَدَ أقوالهم في هذه البشارات التي حاولوا صرفها لعيسى عليه السلام، فقد أثبت بالأدلة القاطعة أنها تنصرف أولًا وأخيرًا إلى النبي ﷺ، إضافة لنقده لما أحدثه النصارى في دينهم مبينًا أن كل ما أحدثوه هو محض اتباع الهوى وأنه خروج عن تعاليم التوراة والإنجيل.

وقد سلك الإمام القرطبي في نقده لتلك العقائد عدة مسالك منها: (مسلك النقد العقلي . مسلك النقد النقلي . مسلك النقد التاريخي).

ويغلب على الإمام القرطبي اتجاهه للنقد العقلي لاسيما موضوعات الحلول والاتحاد والتثليث، فقد غلب عليه استخدام منهج النقد العقلي أكثر من منهج النقد النقلي.

ومن الجديد بالذكر أن النقد والجدل عند المسلمين يعتمد على الأخلاق الإسلامية، إذ الغاية منه التقرب إلى الله تعالى وإظهار الحق وإبطال الباطل، ولا يقصد به المباهاة ولا طلب الجاه أو السلطان، قال تعالى: ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ [العنكبوت: ٤٦].

من أبرز العوامل التي ساعدت على بلورة مفهوم النقد عند الإمام القرطبي:

الأول: اطلاعه الواسع على كتب الأديان والفلسفة.

الثاني: معرفته في اللغة العربية.

الثالث: معرفته أصول الحوار والجدال.

الرابع: معرفته لكتب أهل الكتاب.

أولًا: تعريف التثليث ونشأته

١. التثليث لغة واصطلاحًا:

أ- التثليث لغة:

يقال: "ثَلَثْت القوم أَثْلِثهم ثَلْثًا إذا أخذت ثلث أموالهم"[١]، وثَلَثَ الاثنين يثْلثُهما ثلْثًا أي صار لهما ثالثًا[٢]، فالتثليث في اللغة جعل الواحد ثلاثة.

ب- التثليث اصطلاحًا:

جاء في قاموس الكتاب المقدس أنَّ التثليث قولهم: "نؤمن بإله واحد الآب، والابن، والروح القدس، إله واحد جوهر واحد متساوين في القدرة والمجد"[٣]

وقال د. بوست: "طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الله ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير"[٤]، فالتثليث عند النصارى هو أنَّ الإله ليس واحدًا ولكنه ثلاثة وهؤلاء الثلاثة مع ذلك ليسوا ثلاثة بل إله واحد، وقد بين الإمام ابن تيمية رحمه الله أنَّ النصارى بمقالتهم هذه قد جمعوا بين النقيضين وجمعوا بين النفي والإثبات[٥]، ويقول كذلك: "ولهذا قال طائفة من العقلاء إنَّ عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا بل تكلموا بجهل وجمعوا في كلامهم بين النقيضين، ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولًا، وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولًا وامرأته قولًا آخر وابنه قولًا ثالثًا"[٦]، فالتثليث مقالة لم يتمكن أصحابها من تصورها وحاولوا ضرب الأمثال لتقريبها للعقول، وبالرغم من ذلك تبقى عقيدة صعبة التفسير أساسها أن الإله ليس واحدًا بل ثلاثة، وهؤلاء الثلاثة هم إله واحد مع ذلك.

---

(١) تهذيب اللغة، الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج١٥/ ٤٥.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج١٢١/٢.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، شرح كلمة الثالوث الأقدس . التثليث، دائرة المعارف الكتابية المسيحية، (موقع إلكتروني)

(٤) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٠٠.

(٥) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، ج٢٩٩/٣.

(٦) المرجع السابق، ج٢٩٩/٣.

٢. نشأة التثليث:

كانت دعوة المسيح في أساسها دعوة سماوية قائمة على توحيد الله ﷻ، ونبوة عيسى عليه السلام، وكانت دعوة صافية نقية، إلا أنها لم تلبث قليلًا حتى انحرفت إلى العقائد الوثنية، فانحرفت للقول بالتثليث الذي كان موجودًا عند الأمم والشعوب الوثنية[١]، وقد قام التثليث على أساس القول بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس، وقد ساعد على تطور هذه الفكرة العديد من العوامل والتي من أبرزها كما ذكر الإمام القرطبي ولادة المسيح بغير أب، وظهور العديد من المعجزات على يديه، كإحياء الموتى وخلق الطير من الطين، وغيرها من المعجزات التي ظهرت على يديه، والدور الذي قام به قسطنطين[٢]، وبولس[٣] فيما بعد، لحرف هذه الديانة عن منهلها

---

(١) انظر: كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد بن طاهر التنير البيروتي، حيث أظهر فيه مدى التشابه الكبير بين العقائد النصرانية الأساسية، كالقول بالتثليث، وعقيدة الصلب والفداء، والاعتقاد بأن الابن هو الخالق، وغير ذلك من العقائد النصرانية، مع عقائد الشعوب والأمم الوثنية السابقة والتي قالت بمثل هذا العقائد، مما يُظهر مدى تأثر النصرانية بالعقائد الوثنية السابقة لها.

(٢) قسطنطين: الإمبراطور قسطنطين الكبير: ابن غير شرعي لضابط روماني اسمه: (قنسطنطيوس) من خادمة إحدى الحانات اسمها: (هيلانة) ، ولم ينل قسطنطين حظًا وافرًا من العلم، لأنه انحرط في الجندية مبكرًا، وبعد وفاة والده – الذي تقاسم الإمبراطورية الرومانية مع جليروس بعد اعتزال الإمبراطور دقلديانوس، لم يكتف الجند أن ينادوه قيصرًا، بل نادوا به أغسطسًا أي إمبراطورًا وذلك سنة ٣٠٦م، إلاّ أن القائد مكسنيوس نازعه عرش الإمبراطورية، وبعد معارك طاحنة استطاع قسطنطين القضاء على منافسه في معركة جسر ملفيان سنة ٣١٢م، بفضل دعم النصارى له بسبب تسامحه الديني الذي أظهره نحوهم، بعد ما رأى كثرة عددهم في إمبراطوريته، وليضمن تأييدهم فقد أدَّعى أنه رأى – قبل معركة – في حلمه صليبًا من نور في السماء وصوتًا يقول له: بأنه سينتصر بهذا الشعار، وبعد المعركة أصدر مرسوم ميلاد سنة ٣١٣م وفيه اعتبار النصرانية ديانة مرخصة، ثم في ٣٢٤م ادّعى قسطنطين اعتناقه النصرانية بدلاً عن الوثنية الرومانية، إلاّ أنه لم يعتمد ويعلن اعتناقه النصرانية رسميًا إلاّ وهو على فراش الموت سنة ٣٣٠م، انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، تقديم: د. محيي الدين صابر، ج١١/ ٣٨٢_٣٨٦.

(٣) بولس: ولد من عائلة يهودية، أقامت بمدينة طرطوس في سليقيا، وتزعم مجموعة أعمال الرسل أن بولس نشأ بالقدس، بجوار جماليل أي بمدرسة من ألمع مدارس اليهود في ذلك العصر، ويلقبه النصارى بالرسول على الرغم من أنه لم يكن من تلاميذ المسيح، ولم تثبت له رؤية المسيح عليه السلام في حياته، وقد كان بولس في بداية أمره من أشدّ الناس اضطهاداً وتعذيباً لأتباع المسيح عليه السلام، ثم زعم= = بولس وهو طريقه إلى دمشق بأن المسيح قد ظهر له يقظة في عمود من نور وذلك بعد رفع المسيح بسع سنين – وأمره باتباعه وتبليغ رسالته إلى الأمم – وبذلك أصبح بولس من أكبر الدعاة فأخذ يطوف البلاد وينشأ الكنائس ويلقي الخطب ويكتب الرسائل حتّى قتل في اضطهاد دنيرون سنة ٦٧ أو ٦٨م، وتنسب إليه (١٤) رسالة من أسفار العهد الجديد تعتبر مصدراً رئيساً للعقائد والتشريعات النصرانية المحرفة. انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ص ص٦٧-١١١.

الصافي، ولم تنتشر هذه الأفكار بسهولة بل كان هناك الموحدون بزعامة آريوس[١]، الذي قال ببشرية المسيح وأنه ليس إله ولا ابن للإله، ولم يلبث النصارى قليلًا حتى عُقدت عدة مجامع نصرانية كان من نتائجها بلورة مفهوم التثليث، ومحاربة الموحدين، وقد تكلم الإمام ابن القيم في كتابة هداية الحيارى عن هذه المجامع ابتداءً من مجمع أنطاكيا حتى المجمع العاشر وما تم تقريره في كل مجمع، وسنعرض سريعًا أبرز المجامع النصرانية التي ساهمت في بلورة مفهوم التثليث وكيفية تطور هذا المفهوم عبر هذه المجامع.

ويمكن إجمال أهم وأخطر المجامع التي لها صلة بعقيدة التثليث وهي أربعة مجامع:

أ- **مجمع نيقية:**[٢]

عُقد هذا المجمع في عام ٣٢٥م، وكان من أخطر المجالس في تاريخ الكنائس المسيحية[٣]، وقد عُقد هذا المجمع ليناقش قضية ألوهية المسيح، فقد كان الخلاف على أشده بين طوائف النصارى في حقيقة المسيح، فمنهم من يقول أن المسيح وأمه إلهان من دون الله، ومنهم من يقول أن المسيح من الآب بمنزلة شعلة النار من النار، تعلقت من شعلة نار فلم تنقص من الأولى لإيقاد الثانية منها، ومنهم من يرى أن مريم لم تحمل بالمسيح تسعة شهور، وإنما نور مر على بطنها كما يمر الماء في الميزاب، فدخلت كلمة الله في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد، ومنهم من يرى أن المسيح خَلِق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وإن ابتدأ وجوده من مريم، وأنه تم اصطفاؤه ليكون المخلص للجنس البشري، ويقولون أن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ولم يعترفوا بالروح القدس ولا بالكلمة، ومنهم من يقول إنهم ثلاثة آلهة لم يزل صالح وطالح وعدل بينهم، ومنهم من قال أن المسيح هو ربنا، هذا بعض أقوال المختلفين، فقرر الإمبراطور قسطنطين عقد مجمع ليتم حل هذه الخلافات، فدعا الأساقفة والقسسيسين في مجمعٍ

---

(١) آريوس: : كان قسيساً بالإسكندرية عاش بين (٢٥٦-٣٣٦م) وكان ليْبِي الأصل وكان فصيح اللسان، قادر على توصيل أفكاره للعامة والخاصة، يقول: إن الله واحد فرد غير مولود، لا يشاركه شيء في ذاته تعالى، وبأن المسيح مخلوق ومصنوع. فهو يدعو إلى التوحيد ونبوة المسيح عليه السلام، انظر: موقع إرسالية مار نرساي الكلدانية الكاثولكية. (موقع إلكتروني)

(٢) نيقية: هي مدينة من أعمال إسطنبول، على البر الشرقي، طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها إحدى وأربعون درجة، سكانها جفاة، وهي المدينة التي اجتمع فيها آباء الملة المسيحية ليعقدوا فيها أول مجامعهم، وهو مجمع نيقية، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٥/٣٣٣.

(٣) انظر: قصة الحضارة، وليام جيمس ديورانت، تقديم: د. محي الدين صابر، ج١١/١٤١، (ص٣٩٤).

عام، هو مجمع نيقية[١]، وكان أعداد الموجودين في ذلك المجمع كما يقول ابن البطريق: ثمانية وأربعون ألفًا ومئتان من الأساقفة[٢]، وكانوا مختلفين في الآراء والأفكار كما أسلفنا، ولكن الذين اتخذوا قرار الأمانة كانوا ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا، وكان قرار هذا المجمع كالآتي:

"نؤمن بالله الواحد الأبّ ضابط الكلّ، مالك كلّ شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرّبّ الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلّها، الذي وُلد من أبيه قبل العوالم كلّها، وليس بمصنوع، إله حقّ من إله حقّ من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كلّ شيء، الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس وصار إنساناً، وحُبِل به ووُلِد من مريم البتول، وأُوجع وصُلب أيام فيلاطس النبطي، ودفن وقام في اليوم الثّالث – كما هو مكتوب – وصعد إلى السّماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحقّ الذي يخرج من أبيه روح محبته وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية٣ وبقيامة أبداننا وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين"[٣] ويلاحظ على هذا النص ما يلي:

١) القرار لم يكن بأغلبية وإنما كان برأي الأقلية وهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا.

٢) هذا المجمع يعد البداية الحقيقة لعقيدة التثليث.

٣) نشأت عقيدة التثليث والتي تعد العقيدة الأساسية من خلال استفتاء بشري قام به القساوسة وليست من كتب سماوية.

٤) ترتب على هذا المجمع محاربة وطرد ولعن كل من يقول بعدم ألوهية المسيح عليه السلام.

وفي هذا المجمع لم يتم الحديث عن الروح القدس بشكل مفصل، مما أدى لحدوث خلاف كبير بعد ذلك إذ ذاعت مقالة أن روح القدس مخلوقة غير قديمة فأدى ذلك لعقد مجمع آخر هو مجمع القسطنطينية[٤].

---

(١) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، ج٢/٥٥٤– ٥٥٥.

(٢) انظر: أضواء على المسيحية، متولي يوسف شلبي، ص٩٧.

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي، تحقيق: عبد الرحمن قدح، ج٢/٥٠١– ٥٠٢.

(٤) انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، تحقيق: محمد أحمد الحاج، ج٢/٥٦٢.

ب- مجمع القسطنطينية:[١]

عقد هذا المجمع بعد ثمانٍ وخمسين سنة من المجمع الأول، وكان سبب انعقاده البحث في موضوع الروح القدس، هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ فاجتمع الوزراء والقواد إلى الملك، وقالوا له بأن الناس قد غَلبت عليهم مقالة آريوس ومقدونيوس، فأرسل الملك عاقدًا مجمعًا في القسطنطينية بحضور مائة وخمسين أسقفًا، ليناقشوا مقالة آريوس والتي كانت تنص على أن الروح القدس مصنوع ومخلوق وليس بإله، فقال الأساقفة المجتمعون بأن الروح القدس المراد بها روح الله، والقول بأنها مخلوقة يقتضي القول بأن روح الله مخلوقة، والقول بأنها مخلوقة يقتضي القول بأنه غير حي وهذا كفر صريح، ولذا تم الإقرار في هذا المجمع بألوهية الروح القدس، فزادوا في نص الأمانة "وَنُؤْمِنُ بِرُوحِ الْقُدُسِ الرَّبِّ الْمُحْيِي الَّذِي مِنَ الْأَبِ مُنْبَثِقٌ. الَّذِي مَعَ الْأَبِ وَالِابْنِ وَهُوَ مَسْجُودٌ لَهُ وَمُمَجَّدٌ"[٢].

وبهذا المجمع تكون صورة التثليث قد اكتملت وتم القول بألوهية الآب والابن والروح القدس، وبالرغم من ذلك ظهر خلاف جديد شأنها كشأن أي ديانة وضعية تضعها العقول البشرية، وكان هذا الخلاف يتعلق بأم المسيح، فظهر من يقول بأن مريم لا تدعى أم الإله بل أم الإنسان وقد انتشرت هذه المقولة بين كنائس النصارى وأحدثت نزاعًا شديدًا لأن صاحب هذه المقالة هو بطريرك كنيسة القسطنطينية نسطور[٣] فعقد مجمع آخر هو مجمع أفسس.

ت- مجمع أفسس:[٤]

---

(١) قسطنطينية: ويقال قسطنطينة بدون ياء النسبة، وهي مدينة بيزنطية، انتقل إليها قسطنطين الأكبر وبنى عليها سورًا وسماها بقسطنطينية، واسمها اليوم اصنبول، وهي دار ملك الروم، وبينها وبين المسلمين البحر المالح، وقد قال الناس الحكايات في حسنها وجمالها، انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، تحقيق: محمد أحمد الحاج، ج٤/٣٤٧.

(٢) المرجع السابق، ج٢/ ٥٦٢-٥٦٣.

(٣) نسطور: ولد نسطور في سوريا، بمدينة مرعش وتربى في أنطاكية، وهناك ترهب بدير أيروبيوس، كان قسيسًا في كتدرائية إنطاكيا، اشتهر بفصاحته، قال أن للمسيح أقنومان وشخصان وطبيعتان. انظر: نسطوريوس بطريرك القسطنطينية، نسطور المبتدع (موقع إلكتروني).

(٤) أفسس: تقع مدينة أفسس غرب الأناضول، وكانت من المدن الكبيرة والعظيمة، اشتهرت قبل المسيحية بعبادتها للإله أرطميس، ومع دخول المسيحية أصبحت تشتهر بإكرامها لمريم عليها السلام، وقد شيدت العديد من الكنائس في تلك المنطقة على اسم مريم، انظر: موقع موسوعة تاريخ أقباط مصر، كتبها: عزت أندراوس (موقع إلكتروني).

عُقد هذا المجمع بعد إحدى وخمسين سنة من المجمع السابق أي في عام ٤٣١م. وأما سبب انعقاده: فهو قول نسطور أن مريم ليست والدة الإله على الحقيقة، وأنَّه كان اثنان أحدهما الموجود مع الآب وهو الإله، والآخر الإنسان وهو الموجود مع مريم، وهو متوحد مع ابن الإله وهو ليس ابن الإله على الحقيقة بل نال ذلك بالموهبة، وقد انتشرت مقالة نسطور في سائر البلاد[١]. أهم قرارات المجلس:

١) لعن نسطور وتخطئته.

٢) أن مريم ولدت إلهًا وأن المسيح إله حق من إله حق، وهو إنسان له طبيعتان.

ولكن أسقف أنطاكية قد غضب لنسطور، وحدث تقاتل ومحاربة شديدة فأصلح بينهم الملك وكتب بينهم صحيفة ونصها: "إِنَّ مَرْيَمَ الْقِدِّيسَةَ وَلَدَتْ إِلَهًا، وَهُوَ رَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي هُوَ مَعَ اللَّهِ فِي الطَّبِيعَةِ وَمَعَ النَّاسِ فِي النَّاسُوتِ، وَأَقَرُّوا بِطَبِيعَتَيْنِ، وَبِوَجْهٍ وَاحِدٍ، وَأُقْنُومٍ وَاحِدٍ، وَأَنْفَذُوا لَعْنَ نَسْطُورِسَ"[٢].

ث- مجمع خلكدونية:[٣]

أسباب انعقاد هذا المجمع هو الاختلاف حول طبيعة المسيح وذلك بعد الإقرار بألوهيته، فدعا الملك لعقد مجمع في مدينة خلكدون، وكان عدد الأساقفة المدعوون ما يقارب ستمائة وثلاثون أسقفًا. ومن أهم قرارات المجمع:

١) أثبتوا أن المسيح إله وإنسان فهو إله مع الله باللاهوت، وهو من الناس بناسوته.[٤]

ثانيًا: منهج الإمام القرطبي في نقد التثليث

سلك الإمام القرطبي في نقد التثليث المنهج النقدي، فقد كان يعرض النصوص التي يثبِت فيها النصراني عقيدة التثليث ثمَّ ينقدها نقدًا مفصلًا، فأبطل قولهم بأقانيم ثلاثة، وأبطل الاتحاد الذي يدَّعونه، ووضع قواعد تتعلق بأسماء الله وصفاته، وألزامهم بالمحالات وغيرها، وسنبين بإذن الله في هذا المبحث المنهج العلمي الذي سلكه الإمام القرطبي في نقد التثليث.

---

(١) انظر: هداية الحيارى، ابن القيم، تحقيق: محمد أحمد الحاج، ج٢/ ٥٦٤.

(٢) المرجع السابق، ج٢/٥٦٤.

(٣) خلكدونية: هي إحدى مدن آسيا الصغرى القديمة، بنيت قبل الجيل السابع قبل الميلاد ٦٨٥ق.م، على ساحل بثنية تجاه الموضع الذي بنيت فيه بعدئذ مدينة القسطنطينية، انظر: موقع تاريخ الكنيسة القبطية (موقع إلكتروني).

(٤) انظر: هداية الحيارى، ابن القيم، تحقيق: محمد أحمد الحاج، ج٢/ ٥٦٧.

١. منهجه في إبطال التثليث من خلال:

أ- منهجه في إبطال الأقانيم:

الأقنوم كما عرفه الإمام القرطبي عند النصارى: "بأنه الشيء المستغني بذاته عن أصل جوهره في إقامة خاصية جوهريته"(١).

فالأقنوم شيء مستقل مستغنٍ بذاته عن أصله، وهذا يترتب عليه إبطال كون الأقنوم صفة، بل هو شيء مستقل.

لقد ذَكَرَ الإمام القرطبي الشبه التي أوردها النصراني صاحب كتاب تثليث الوحدانية والتي استدل بها على التثليث وتعليليه له، وإثبات وجود أقانيم ثلاث، وناقشها بأسلوب علمي، وهو ما يمكن بيانه على النحو التالي:

١) شبهة التثليث:

- إذا كان الله تعالى خلق الخلق بقدرة وعلم وإرادة فهل هذه الثلاث: أسماء للذات أم أسماء للأفعال؟ فإن قال أحدهم أنها أسماء للذات فقد وقع في التجسيم، وبالتالي فهي أسماء أفعال وهي التثليث الذي أُمروا به.
- أن المسيح لمَّا بعث الحواريين إلى جميع الأجناس قال: "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ"(٢) فجعل المسيح هذه الأسماء ثلاث باعتبار ثلاثة قضايا وهي: الخلق والوعظ وفناء جميع الدنيا ومجازاة أهلها، فلمَّا خلق الله الخلق خلقهم بيده وأضاف اليد إلي القدرة وسماها أبًا، وأضاف الوعظ إلى العلم وسماه ابنًا، وأضاف قضية فناء جميع الدنيا ومجازاة أهلها إلى الإرادة وسماها روح قدس، ومع ذلك فهي اسم للواحد الذي لا يتكثر.
- وذَكَرَ النصراني علة التثليث فقال: رغم أن أسماء الله أكثر من ثلاثة إلا أن أصلها هو ثلاث أسماء وهي العلم والقدرة والإرادة، وبها تندغم جميع الأسماء، وأما وجود أسماء كحي وقديم لا ترجع إلى تلك الثلاثة فذلك لأنها ليست أسماء أفعال بل أسماء ذات، وأسماء الذات إنما تؤدي معنى واحد لنفي ضده، فحي لنفي ميت، رب لنفي مربوب وهكذا، فأسماء الأفعال الثلاثة إنما هي لذات واحدة لا تتكثر فهي كالإنسان لا يقوم له فعل إلا بهذه الثلاثة

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٨٥.

(٢) إنجيل متى: ١٩/٢٨.

فإذا علم وأراد ولم يقدر عجز، وإذا أراد وقدر ولم يعلم كان جاهلًا وهكذا قرَّب لهم الكتاب معرفة التثليث.

- مع إنكاره لأن يكون الثلاثة واحدًا والواحد ثلاثة ولكنه جوهر قديم لم يزل موجوًدا بثلاث خواص أزليات جواهر غير متباينات ولا متفرقات في الجوهر القديم الأزلي الذي لا يتبعض ولا يتجزأ فهو ثلاث خواص.

هذه بعض الحجج التي أوردها النصراني لإثبات عقيدة التثليث وأن للعقل تصورها.

٢) مناقشة الشبهة:

رد الإمام القرطبي على ما أورده النصراني من عقائد فاسدة وشبه تؤكد وقوع التثليث، وذلك من خلال:

- **المنهج العقلي:**

أعطى الإمام القرطبي العقل مكانه التي أعطاها له الإسلام دون إفراط أو تفريط، فنجده يكثر من النقد معتمدًا على العقل سيما الموضوعات التي لا يوجد فيها نص، وربما يكثر استعماله للنقد العقلي على النقد النقلي في موضوع الأقانيم، نظرًا لكونه قد تغلغل في علم الكلام وشغل نفسه فيه زمنًا، فكان ينقد معتمدًا على القواعد العقلية، فكان يعرض الحجج والبراهين العقلية التي تثبت قضيته وتبطل ما ذَهَبَ إليه خصمه، وقد نقد الإمام القرطبي "الأقانيم" الذي يعد الركيزة التي يقوم عليها التثليث، وقد استعمل في نقده وإبطاله للأقانيم مجموعة من القواعد العقلية منها:

القاعدة الأولى: علم البدهيات:

والبدهيات أمور لا يختلف عليها الرجال لأن الله أوقعها في النفس، وهي ليست موضع خلاف عند العقلاء لأنها من المسَّلمات، كمعرفة أن الكل أكبر من الجزء، وأن المولود قبلك أكبر منك(١).

بيَّن الإمام القرطبي أن هناك أمورًا بدهية لا يختلف عليها العقلاء، وقد وجهها للنصراني على هيئة أسئلة، ومن هذه الأسئلة التي وجهها إليهم في البداية وقبل أن يتكلم في التثليث، ولإبطال الأقانيم بدأ بسؤالهم عن أمور بدهية متقررة عند أهل الملل فيقول: إذا تقرر في البداية أنَّ الله خالق العالم هو حي عالم، فهل مفهوم حي هو مفهوم عالم أم غيره؟

---

(١) انظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، حماية، ص ص١٨٨– ١٨٩.

ثم أتبع هذا السؤال بسؤال ثانٍ: فإن قالوا: بأنه هو فإنه يلزمهم بأن قولهم حيٌ عالم كقولهم حيٌ حيٌ أو كقولهم عالم عالم، والفرق بينهم معلوم بالضرورة، فمفهوم الحياة مغاير لمفهوم العلم، وهكذا في سائر الصفات، والقول بأنهم نفس المعنى يؤدي إلى اختلاط الحقائق، فثبت أنهما متغايران متعددان.

وإن ثبت أنهما متغايران، فإما أن يرجعا إلى الله تعالى أو لا يرجعا إليه.

إن لم يرجعا إليه: لم يصح الإخبار عنه بها وعندها لا يكونوا أوصافًا له، فثبت أنهما يرجعان إليه(١) .

وهذه كلها أمور بدهية معلومة عند كل عاقل، فتغاير الصفات من الأمور البدهية واختلاف الاسم عن المسمى، ثم يؤكد الإمام القرطبي فساد بعض الأمور المترتبة على القول السابق بالضرورة فيقول: إذا ثبت رجوع الأوصاف له سبحانه فهل هي من أوصافه النفسية(٢) أم لا؟ وهذا يؤدي إلى أن تكون ذاته متبعضة ومتركبة وهذا محال على ما أقروا، ويلزم منه أن يكون العلم والحياة من صفاتنا الذاتية وهذا معلومٌ فساده بالضرورة، ولو جاز ذلك للزم أن تكون العلم والحياة قائمة بنفسها أي موصوفة وليست صفة، وإذا ثبت أن الباري قائم بنفسه، وأن العلم والحياة صفات وليس موصوفين، تبين أن هذه الصفات زائدة على النفس(٣).

إذا ثبت أن هذه الصفات زائدة على النفس فإما أن تقوم به أو لا تقوم به، فإن قالوا أنَّها لا تقوم به جاز أن يقوم به ما لا يتصف به، كقولنا علم زيد يتصف به عمرو وهذا معلوم الفساد بالضرورة(٤) ، فلا يقره عقل صحيح ولا فطرة سليمة.

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٨٤.

(٢) الصفات النفسية: "صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها ككون الجوهر جوهرًا أو ذاتًا وشيئًا وموجود".

الصفات المعنوية: "هي صفة ثبوتية دالة على معنى زائد على الذات ككون الجوهر حادثًا ومتحيزًا وقابلًا للأعراض" شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، ج١/١٤٣.

(٣) مسألة كون الصفات زائدة على الذات أم لا: ذكر الإمام أبو العز الحنفي في شرحه للطحاوية هذه المسألة فقال: " وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ أَنَّ الصِّفَاتِ زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ الَّتِي يُفْهَمُ مِنْ مَعْنَاهَا غَيْرُ مَا يُفْهَمُ مِنْ مَعْنَى الصِّفَةِ – فَهَذَا حَقٌّ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْخَارِجِ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الصِّفَاتِ، بَلِ الذَّاتُ الْمَوْصُوفَةُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الثَّابِتَةِ لَهَا لَا تَنْفَصِلُ عَنْهَا، وَإِنَّمَا يَعْرِضُ للذِّهْنُ ذَات وَصِفَة، كُلٌّ وَحْدَهُ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْخَارِجِ ذَاتٌ غَيْرُ مَوْصُوفَةٍ، فَإِنَّ هَذَا مُحَالٌ"، شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، ج١ /٨١.

(٤) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٨٥.

ومن الأمور البدهية عند كل عاقل قضية بنوة المسيح لله على ادعاء النصارى، فبين الإمام القرطبي أن لفظ الابن إما أن يريد به النصارى حقيقة الابن أو المجاز، فإن أرادوا الحقيقة فهذا معنى ممتنع باتفاق العقلاء على الله تعالى فيقول: "ثمَّ نقُول لَا يَخْلُو الْمُسْتَدلّ بذلك أَو مَا يُقَاربه على الْمَعْنى الْمُتَقَدّم، إما أَن يُرِيد بِهِ حَقِيقَة الْأَب والابن أَو لَا يُرِيد ذَلِك، فَإِن أَرَادَ الْحَقِيقَة كَانَ محالًا وباطلًا، فَإِن حَقِيقَة الْأَب عِنْد الْعُقَلَاء حَيَوَان ولد من نُطْفَة حَيَوَان هُوَ من نَوعه وبهذه النِّسْبَة وَالصّفة تفهم حَقِيقَة الابن، وَهَذَانِ الوصفان محالان على الْقُدْرَة وَالْعلم فَإِن الْعلم لَيْسَ بحيوان مَوْلُود من نُطْفَة حَيَوَان وَلَا الْقُدْرَة حَيَوَان يخرج مِنْهَا نُطْفَة يتَوَلَّد مِنْهَا حَيَوَان، وَهَذَا مَعْلُوم الْبطلَان بِالضَّرُورَةِ، وَإِن أَرَادَ بذلك الْمجَاز فَلَا يَصح لَهُ حمله على الْمجَاز حَتَّى يجْتَمع الْمجَاز والحقيقة فِي أَمر مَا"[1].

وعند نقد الإمام القرطبي لسؤال النصراني في خلق الله للخلق هل خلقهم بعلم وقدرة وإرادة أم لا؟ نقده من خلال توجيه أسئلة بدهية إليه. فبين أن الكلام في النظريات لا يتم إلا بمعرفة المراتب التي قبله، فهو على منازل ودرجات[2]، وأن بعض النظريات لا يتم السؤال عنها حتى يُعرف المراتب التي قبلها، فحينما سأل النصراني عن خلق الله تعالى للخلق إن كان بعلم وقدرة وإرادة أم لا؟ وذلك ليصل إلى القول بالأقانيم الثلاث، ردَّ عليه الإمام القرطبي بأنه قد أخطأ في السؤال وأنه لا ينبغي له أن يسأل هذا السؤال حتى يعرف المراتب التي قبله، والتي تشمل:

معرفة معنى الخلق؟

وهل العالم مخلوق؟

وهل هو بحاجة لخالق أم لا؟

إلى غير ذلك من المراتب التي جعلها مقدمة لهذا السؤال.

وقد ألزم الإمام القرطبي النصراني بسلوك هذه المراتب بقول القسيس أغشتين: "يَنْبَغِي أَن يَجْعَل الْكَلَام فِي النظريات على منَازِل ودرجات، ليَكُون من اجْتمع مَعنا فِي الدرجَة الأولى تكلمنا مَعَه فِي الدرجَة الثَّانِيَة، وَمن اجْتمع مَعنا فِي الدرجَة الثَّانِيَة تكلمنا مَعَه فِي الدرجَة الثَّالِثَة، ثمَّ نمضي كَذَلِك إِلَى أقْصَى نهايات الْكَلَام، فَإِنَّمَا يكون فَسَاد الْكَلَام وتناقضه واشتباهه من قبل

(١)انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص ٦٧- ٦٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ص٥٧- ٥٨.

النَّقْص فِي معرفَة هَذَا الدرج، لأَنا مَتى ناظرنا فِي الدرجَة الثَّانِيَة من لم يجْتَمع مَعنا فِي الأولى لم يبلغ الْكَلَام غَايَة وَلم يقف على نِهَايَة"[١]، وكذلك طالب النصراني بسلوك هذه المنازل حينما تكلم عن الأقانيم فقال: "كانَ يَنْبَغِي لَك أَن تقدم قبل هَذَا السُّؤَال النّظر فِي حد هَذِه الأقانيم وحقيقتها ثمَّ فِي الدَّلِيل على وجودهَا فَإِن النّظر فِي كَون الشَّيْء وَاحِدًا أَو كثيرا إِنَّمَا يُصَار إِلَيْهِ بعد معرفَة حَقِيقَته وَمَعْرِفَة وجوده فَإِذا فرغت من ذَلِك نظرت فِيهَا هَل وجودهَا زَائِد على الذَّات... فَإِذا عرفت هَذِه المطالب كلهَا حِينَئِذٍ كَانَ يمكنك أَن تنظر هَل هِيَ وَاحِدَة أم كَثِيرَة أَو..."[٢].

وهذه القاعدة التي تكلم عنها الإمام القرطبي إنما هي من باب الإلزام للنصارى، فهو يبدأ بالأسئلة البدهية ثم ينتقل إلى ما هو أعلى فإذا أبطل الأسئلة البدهية، فإبطال العقيدة من باب أولى.

ويؤكد الإمام القرطبي هذه القاعدة، فيقول الإمام القرطبي رحمه الله أن قولهم بالأقانيم مخالف للعقول، وفيه إنكار للضروريات: " أما حِكَايَة صَاحب كتاب الْمسَائِل فَكَلَام يدل على أَن الْقَوْم لَيْسَ فيهم مستحي وَلَا عَاقل، كابروا الضرورات وجحدوا المعقولات، تَارَة يتناقضون وَأُخْرَى يتواقحون افتراء على الله واستهانة بحرم الله، وحسبك دَلِيلًا على ذَلِك اختلافهم فِي البدهيات هُنَالك، وَقد وكلت النَّاظر فِيهِ لظُهُور تناقضه وَفَسَاد مَعَانِيه، فَإِن غَايَة النَّاظر فِي كَلَامه أَن يلْزمه من الْمحَال والتناقض مثل مَا صرح بالتزامه، وَمن أنكر الضروريات وارتكب المحالات فدار المرضى والمجانين أولى بِهِ وأليق من اشْتِغَاله بالمعقولات"[٣].

القاعدة الثانية: الاستفهام الاستنكاري:

وهو أن يستفهم عن أمور هي منكرة من جهة العقل أو الشرع أو الدين، وقد يراد به التوبيخ أو التكذيب ومثاله قوله تعالى: ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا**﴾ [الإسراء: ٤٠][٤].

وقد استعمل الإمام القرطبي الاستفهام مستنكرًا على النصارى دعواهم الأقانيم، فوجه إليهم مجموعة من الأسئلة منها مستنكرًا قولهم بالأقانيم مبطلًا دعواهم فيها فقال:

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص٧٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٨.

(٤) انظر: علم المعاني، عتيق، ص ص١٠٢-١٠٣.

- فلماذا لم تُجعل القدرة من الأقانيم عند من يرى أن الأقنوم الثالث هو فتكون الأقانيم الوجود عندها أربعة؟ قالوا لأن القدرة ترجع إلى الوجود.
- يُقال لهم: وهل العلم والحياة لا يرجعان إلى الوجود؟
- وما الذي جعل العلم والحياة لا يرجع إلى الوجود؟
- وعلى أي أساس تم التفريق بين العلم والحياة والقدرة؟ وكذا القول في الإرادة
- لماذا خصصتم الأقانيم بثلاثة فلم تجعلوها أكثر ولا أقل؟[١]

وبعد توجيه الإمام القرطبي الأسئلة الاستنكارية عليهم أبطل دعواهم وألزمهم إبطال التثليث فيقول: والقول برجوع بعض الصفات إلى بعض، يترتب عليه القول بأن ترجع كل الصفات إلى صفات أخرى وترجِع كلها إلى الوجود والوجود هو نفس الذات، إذًا الأقانيم الثلاثة ترجع إلى الذات أيضًا، وفيه إبطال للتثليث، وهذا مذهب شباليش الذي لا يرضونه ولا يقولون به[٢].

القاعدة الثالثة: الوقوع في التناقض:

يُظهِر الإمام القرطبي وقوع النصراني في التناقض ومخالفته في عقيدته لأقوال القسيسين وعلماء النصارى، فينقد قول النصراني في التثليث من خلال بيان مخالفته لأقوال علمائهم فيقول: "على أَن مَا ذكرته فِي أَمر التَّثْلِيث لَا يَسْتَقِيم على رَأْي الْمُتَقَدِّمين من أحباركم، هَذَا صَاحب كتاب الْمسَائِل السَّبع وَالْخمسين يَقُول فِيهَا: لَا نقُول إِن التَّثْلِيث ممتزج فِي أقنوم وَاحِد كَقَوْل شباليش[٣]، وَلَا إلهية متحدة أَو متبعضة الذَّات كفرية آريش، بل أَن أقنوم الآب غير أقنوم الابن وأقنوم الابن غير الرّوح، لَكِن التَّثْلِيث الْمُقَدّس ذَات وَاحِدَة فَإِذا لم تكن ممتزجة وَكَانَ كل أقنوم مِنْهَا غير الآخر، والأقنوم مَعْنَاهُ عنْدكُمْ الشَّيْء المستغنى بِذَاتِهِ عَن أصل جوهره فِي إِقَامَة خَاصَّة جوهريته، فَكيف يَتَّسِع عقل لِأَن يَقُول إِن هَذِه الثَّلَاثَة المتغايرة الَّتِي هِيَ على مَا

---

(١) وقد توسع الإمام الباقلاني في هذه المسألة، انظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ج١/ ٩٨-١٠٣.

(٢) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٨٦.

(٣) ذكر الإمام القرطبي مجموعة من أسماء النصارى كشباليش، وأريش، ودنوفشيش، وغيرهم، وهؤلاء الأسماء لم تعثر الباحثة على ترجمة لهم، وقد وجدت في كتاب الإعلام تحقيق: د. فايز عزام أنه لم يعثر على ترجمة لهم وأنه سأل الأستاذ إبراهيم خليل أحمد فأجابه: أن هذه الأسماء هي أسماء لاتينية لنصارى عاشوا في زمن الإمام القرطبي، انظر: الإعلام، القرطبي، تحقيق: د. فايز عزام، ص٢٠٣.

ذكر وَاحِد وَهل قَائِله إِلَّا معتوه أَو معاند"[1] وفي هذا النص لا يكتف الإمام القرطبي بإثبات التناقض بين النصراني صاحب تثليث الوحدانية وبين صاحب كتاب المسائل بل يؤكد وجود التناقض بين طوائف النصارى فقد تضمن كلامه الحديث عن أربع اعتقادات في قضية التثليث صاحب المسائل، وصاحب تثليث الوحدانية، شباليش، آريش، كلها متناقضة متضاربة.

وكذلك أثبت التناقض في قوله عند حديثه عن اسم الحي والرب والإله وأنها من أسماء السلوب فأبطل الإمام القرطبي ذلك من خلال إثباته أنها تناقض أقوال النصارى أنفسهم فيقول: "ثمَّ نقُول قَوْلك هَذَا مُخَالف لما تَقوله أقستكم هَذَا صَاحب كتاب الْحُرُوف يَقُول الْبَارِي تَعَالَى لم يزل حَيا بِرُوحِهِ وناطقا بكلمته فمهما قلت لم يزل حَيا وَلم يزل ناطقا أوجبت فِي نطقك لِحَيَاتِهِ ونطقه الأزلية وَهَذَا مِنْهُ تَصْرِيح بِأَن الْحَيَاة لَيست ترجع إِلَى نفى الْمَوْت"[2].

ويؤكد التناقض حول فهم الأقانيم وحقيقتها وعلاقتها بالله يذكر الإمام القرطبي أبرز أقوال علمائهم والتي يبين من خلالها أنهم مختلفون في فهم هذه الأقانيم مما يؤكد بطلان كونها آلهة، ودليل ذلك التناقض الذي هو من سمات العقل البشري، ولا يمكن أن يقع في الوحي السماوي، فمن هذه الأقوال:

القول الأول: مذهب صاحب كتاب الحروف يقول فيه: "فَلذَلِك يُسمى كل وَاحِد من الرّوح والكلمة جوهرية خَاصَّة، فَوَجَبَ أَن يكون جَوْهَر الْخَالِق تَعَالَى أقنومًا خَاصّا قَائِمًا كَامِلًا بخاصيه لم يزل، ونطقه الَّذِي هُوَ كَلمته أقنومًا خَاصًّا كَامِلًا قَائِمًا بخاصية لم تزل، وروحه أعنى حَيَاته أقنومًا خَاصًّا كَامِلًا بِخَاصَّة لم يزل، فَهَذِهِ ثَلَاثَة أقانيم مَعْرُوفَة بمعانيها، لَا متفاصلة وَلَا متركبة وَلَا متشابكة جَوْهَر وَاحِد ذَات وَاحِدَة"[3].

القول الثاني: وهو مذهب صَاحب كتاب الْمسَائِل يَقُول: "هَذِه الثَّلَاثَة الأقانيم متوحدة لأجل الآب مُتَسَاوِيَة لأجل الابن منتظمة الرّوح، فنؤمن أَن الْأَب أَب لأجل أَنه ذُو ابْن، والابن ابْن لِأَنَّهُ ذُو أَب، وَالروح الْقُدس منبثق لِأَنَّهُ من الآب والابن، فالأب أَصْلِيَّة الإلهية لِأَنَّهُ كَمَا لَا يَخْلُو قطّ أَن يكون إِلَهًا كَذَلِك لم يَخْلُو قطّ أَن يكون أَبًا الَّذِي الابن مِنْهُ مَوْلُود وَالَّذِي الرّوح الْقُدس مِنْهُ لَيْسَ

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص٧٥.

(٣) الإعلام، القرطبي، ص٨٠.

مولودًا، لِأَنَّهُ لَيْسَ ابْنًا وَلَا غير مَوْلُود لِأَنَّهُ لَيْسَ مخلوقًا لِأَنَّهُ لَيْسَ من شَيْء بل إِلَه منبثق من الآب والابن إِلَه"[1].

القول الثالث: وهو مذهب شباليش: "أَن الثَّلَاثَة الأقانيم ممتزجة فِي أقنوم وَاحِد وَهُوَ عِنْد كثير مِنْهُم مكفرًا"[2]

القول الرابع: مذهب آريش: "إِلَى أنه إلهية الأقانيم منخزلة ومتبعضة الذَّات وَهُوَ عِنْدهم مفتر خارجي"[3].

ثمَّ قَالَ صَاحب كتاب الْمسَائِل: "لسنا نؤمن أَن فِي التَّثْلِيث شَيْئًا مخلوقًا أَو خَادِمًا كَالَّذي أنشأه دنونيشيش، أَو غير معتزل كَقَوْل أونوميش، أَو نَاقص الإمتنان كَقَوْل أوتفش، أَو مقدمًا أَو مُؤَخرًا أَو صَغِيرًا كَقَوْل آريش، وَلَا ذَا جَسَد كَقَوْل مالطه وترتليان، وَلَا مصورًا بالحيدية كَقَوْل أَرْبَد ونمرشيش، أَو محجوبًا بعضه عَن بعض كَقَوْل أوريان، وَلَا مربيًا من الْمَخْلُوقَات كَقَوْل فرشاط، وَلَا متفرق الإدارة والعوائد كَقَوْل مرحيون، وَلَا منقلبًا من ذَات التَّثْلِيث إِلَى طبيعة الْمَخْلُوقَات كَقَوْل فلاطون وترتلليان، وَلَا مُنْفَردًا فِي رُتْبَة مُشْتَركًا فِي أُخْرَى كَقَوْل أوريان، وَلَا ممتزجًا كَقَوْل شباليش، بدل كُله كَامِل لِأَنَّهُ كُله وَاحِد وَمن وَاحِد لَا تعدد كزعم شلبانش" ثم يعقب الإمام القرطبي بعد عرضه لآراء النصارى وتخبطاتهم وسخافتهم يقول: "وَإِذا وقفت على هَذِه الْأَقَاوِيل الضعيفة والآراء السخيفة لم تشك فِي تخبطهم فِي عقائدهم وحيرتهم فِي مقاصدهم قَالُوا فِي الله تبَارك وَتَعَالَى بآرائهم وَاتبعُوا فِيهَا ظَاهر أهوائهم فهم فِي ريبهم يَتَرَدَّدُونَ ولجهالهم مقلدون وبضلالهم مقتدرون"[4].

يتبين من خلال هذا العرض لتناقض فرق النصارى حول حقيقة الأقانيم، أن الإمام القرطبي ينقد أقوال النصارى ببيان تناقضها واختلافها، فهو يضرب أقوالهم بعضها ببعض، فإذا كان علماء النصارى مختلفين هذا الاختلاف، فالعقيدة باطلة من باب أولى.

القاعدة الرابعة: السبر والتقسيم:

يقول الإمام الآمدي في معنى السبر والتقسيم: "فهو أن تحصر أوصاف محلّ الحكم المجمع عليه، ويبطل التعليل بما عدا المستبقى؛ وهو إنما يفيد كون الوصف علة، بعد الحصر؛

(١) الإعلام، القرطبي، ص٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص٨١.

(٣) المرجع نفسه، ص٨١.

(٤) المرجع نفسه، ص٨١.

ولا دليل عليه غير البحث والسبر، مع عدم الدليل على غير المستبقى؛ وقد بينا أن ذلك لا يدل على عدمه في نفسه"[١].

وقد سار الإمام القرطبي على منهج السبر والتقسيم في العديد من المواضع، فيحصر جميع أوصاف محل الحكم ليبطلها جميعًا، ثم يبقى الحق والصواب، ومن أمثلة ذلك:

أورد الإمام القرطبي سؤالًا عليهم فقال: قد قلتم أنَّ الأقانيم كل واحد منها مستغن بذاته عن أصل جوهره فإذا كان كذلك فإما [٢]:

أن يكون كل واحد منها إلهًا.

أو كل واحد جزءًا من إله.

أو يكون مجموعها إلهًا واحدًا.

فإن قالوا أنَّها جزء من الإله لزم عليهم أن يكون الإله متركبًا متبعضًا وفيه إبطال التثليث، ويلزم منه الامتزاج.

وإن قالوا كل واحد منها إلهًا لزمهم أن يكون كل واحد منهم عالمًا حيًا سميعًا بصيرًا إلى غير ذلك من صفات الكمال، وبعد حصر هذه الأقسام الثلاث وتأكيد بطلانها، يتبين أن الأقانيم لا يمكن أن تكون آلهة بأي حال من الأحوال، بل الإله واحد وهو الله جل جلاله، وأسلوب السبر والتقسيم أسلوب مميز لإلزام الخصم وإظهار العقيدة، وهو منهج قرآني بليغ كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ سورة الطور: ٣٥.

القاعدة الخامسة: إلزامهم بالمحالات:

فبعد ما تقدم في منهج السبر والتقسيم يُلزِم الإمام القرطبي النصارى بإلزامات تبطل ما ذهبوا إليه، ومن ذلك عند كلامه على الأقنوم فالأقنوم شيء مستقل، وكونه مستقل يلزِمهم بإلزامات كثيرة باطلة لا مفر منها.

فيقول: قد قلتم أنَّ الأقانيم كل واحد منها مستغن بذاته عن أصل جوهره، فإذا كان كذلك فإما:

أن يكون كل واحد منها إلهًا.

أو كل واحد جزءًا من إله.

---

(١) أبكار الأفكار في أصول الدين، الآمدي، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، ج١/٢١١.

(٢) انظر: الإعلام، القرطبي، ٨٦_٨٧.

أو يكون مجموعها إلهًا واحدًا.

فإن قالوا أنَّها جزء من الإله لزم عليهم أن يكون الإله متركبًا متبعضًا وفيه إبطال التثليث، ويلزم منه الامتزاج.

وإن قالوا كل واحد منها إلهًا لزمهم أن يكون كل واحد منهم عالمًا حيًا سميعًا بصيرًا إلى غير ذلك من صفات الكمال، وهذا يلزمهم العديد من الإلزامات منها: أن الصفة تقوم بالصفة وبالتالي جاز أن يقوم العلم والقدرة بالإرادة، والإرادة بالعلم الخ.

ويلزم من ذلك حصول التسلسل وأن الأقانيم لا نهاية لها، وهذا باطل بالضرورة.

ويلزم منها أيضًا: أن تكون القدرة قادرة بقدرة والعلم عالم بعلم والحياة حية بحياة وهكذا في سائر الصفات، وهذا معلوم البطلان، فسائر صفات المعاني إنَّما توجب أحكامها للمحال التي تقوم بها لا لنفسها، فالعلم لا يكون عالمًا ولا قادرًا، وكذلك القدرة لا تكون عالمة ولا قادرة وهكذا في سائر الصفات، فالعلم والقدرة والحياة صفات تقوم بالذات لا تقوم بنفسها.

ويلزم منها أيضًا: أن يكون الإله صفة لموصوف فإن المفهوم المعقول من هذه الأقانيم أنها صفات لا موصوفات بناءً على ما سبق وهذا كلام لا يقول به ذا عقل أبدًا.

وإن لم تكن هذه الأقانيم حية ولا عالمة ولا قادرة فلا تكون آلهة وقد أجمع النصارى على أنها آلهة، يلزمهم إن لم تكن هذه الأقانيم موصوفة بهذه الصفات أن تتصف بأضدادها أو بالانفكاك عنها، فإن لم يوصف الأقنوم بحياة وصف بالانفكاك عنها، والمنفك عن الحياة ميت فيلزم عليهم أن يقولوا بآلهة أموات وكذلك يلزمهم ذلك في سائر الصفات، وهم لا يقولون بذلك ولا جواب لديهم أيضًا.

فبعد هذه الإلزامات التي أوردها الإمام القرطبي يتبين بطلان التثليث من حيث بطلان كون الأقانيم أشخاصًا، أو صفات، وسواءً قولهم بأن الأقانيم متغايرة أم غير متغايرة، وقولهم أنها ثلاثة مع ذلك هي واحد، فجميع ما يورده النصارى مخالف لبدهيات العقول وما مخالفته إلا دليل على بطلانه[١].

- **المنهج النقلي:**

وهو المنهج الثاني الذي استخدمه الإمام القرطبي في إبطال التثليث، ويقصد بالمنهج النقلي: "هو طريقة دراسة النصوص المنقولة من حيث توثيق إسناد النص إلى قائله، والتحقق

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٨٧.

من سلامة النصوص، بالإضافة إلى فهم مدلول النص"[١]، فهو منهج يعتمد على دراسة النصوص، وتحليلها، سندًا ومتنًا، وكان الإمام القرطبي يعتمد في نقوله على نصوص التوراة والإنجيل في المواضع التي تحتاج أن يرجع لهذه النصوص، ثم كان يرجع لنصوص العقيدة الإسلامية ليؤكد على هيمنة الشريعة الإسلامية، وقد استخدم هذا المنهج في العديد من مواضع هذا الكتاب وخاصة عند حديثه عن التوراة والإنجيل وتحريفهما، وكذلك عند حديثه عن النصوص التي تثبت نبوة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل وهذه المواضع سنتحدث عنها في الفصل الثاني إن شاء الله. وأما منهج الإمام القرطبي النقلي في إبطال الأقانيم فلم يعتمد عليه بشكل كبير فقد كان اعتماده على المنهج العقلي بشكل أكبر، لكنه لم يهمل هذا المنهج الذي يستعمله كدليل لإفحام خصمه وذلك من خلال نسف الدليل الذي يحتجون به على التثليث من خلال نصوص الإنجيل نفسها، فيقول:

" وَأما قَوْلك فَهُوَ التَّثْلِيث الَّذِي أمرنَا بالْقَوْل بِهِ فَقَوْل فِيهِ كذبت وعَلى الله وَرُسُله افتريت، فَإِن الرُّسُل عَلَيْهِم السَّلَام لم تَأمر باعتقاد التَّثْلِيث لأحد من الْأَنَام، بل قَالَت الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام مَا يعرفهُ الْخَاص وَالْعَام ﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ**﴾ [النساء: ١٧١]، وَلَقَد حصل للعقلاء بالتواتر وَعَلمُوا بالوراثة أَن الله تَعَالَى قَالَ ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾ [المائدة: ٧٣]، ثمَّ قَوْلك هَذَا تُرِيدُ بِهِ أَنكُمْ أمرْتُم باعتقاد آلِهَة ثَلَاثَة وَإِنَّكُمْ قيل لكم اعتقدوا فِي الله تَعَالَى أَنه آلِهَة ثَلَاثَة إِلَه وَاحِد وَقُولُوا بِهِ وَلَيْسَ الْأَمر كَذَلِك عِنْد رهبانكم الْمُتَقَدِّمين وأساقفتكم الماضين"[٢] ، ففي هذا النص الذي يتبن أن الإمام القرطبي مطلع على النصوص التوراتية والإنجيلية، ويعلم أنه ليس فيها نص عن الأنبياء يدعون فيه إلى عقيدة التثليث، وأكد ذلك بما جاء في القرءان الكريم، مستدلًا أنه وصل إلينا بالتواتر فلا يتطرق إلى خبره كذب البتة بخلاف التوراة والإنجيل لا يثبت لها تواتر بل هي ظنية.

ثم جاء نقده لدليل التثليث الذي يحتج به النصارى من خلال نصوص الأناجيل:[٣]

فقد جاء في إنجيل متى: "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ"[٤]، فبهذا النص يحتج النصارى على التثليث، وقد نقد الإمام القرطبي هذا النص معتمدًا على الأدلة النقلية، فبين في البداية أن هذا النص من النصوص المتشابهة التي تحتمل

---

(١) انظر: أصول البحث، د. عبد الهادي الفضلي، ص٥٢.

(٢) الإعلام، القرطبي، ص٦٠.

(٣) المرجع السابق، ص٦٤.

(٤) إنجيل متى: ١٩/٢٨.

التأويل فهو ليس نصًا قاطعًا فيحتمل عدة معاني منها: أَن يكون مُرَاده بِهِ عمدوهم على تَركهم هَذَا القَوْل كَمَا يَقُول الْقَائِل كل على اسْم الله وامش على اسْم الله أَي على بركَة اسْم الله

النص لم يعين من هو الآب أو الابن، فهناك احتمالات لهذه الألفاظ منها:

- أن المراد بِالْأَبِ الْملك الَّذِي نفخ فِي مَرْيَم الرّوح إِذْ نفخه سَبَب علوق أمه وحبلها بِهِ وَأَرَادَ بالابن نَفسه، إِذْ خلقه الله تَعَالَى من نفخة الْملك فالنفخة لَهُ بِمَثَابَة النُّطْفَة فِي حق غَيره.
- واحتمال آخر للفظ الآب: إِن صَحَّ عَن عِيسَى عليه السلام أَنه كَانَ يُطلق على الله لفظ الْأَب أَن يكون مُرَاده بِهِ أَنه ذُو حفظ لَهُ وَذُو رَحْمَة وحنان عَلَيْهِ وعَلى عباده الصَّالِحين، فَهُوَ لَهُم بِمَنْزِلَة الْأَب الشفيق الرَّحِيم وهم لَهُ فِي الْقيام بحقوقه وعبادته بِمَنْزِلَة الْوَلَد الْبَار.
- وَيحْتَمل أَن يكون تجوز بِإِطْلَاق هَذَا اللَّفْظ على الله تَعَالَى لِأَنَّهُ معلمه وهاديه ومرشده كَمَا يُقَال الْمعلم أَبُو المتعلم وَمن هَذَا قَوْله تَعَالَى فِي كتَابنَا ﴿ **مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ** ﴾ [الحج: ٧٨].

ويؤكد الإمام القرطبي صحة هذا التأويل بنصوص إنجيلية أخرى تشْهد لهذه التأويلات، منها: قَول عِيسَى للحواريين:

- "فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ"(١).
- وَكَذَلِكَ ما وقع في إنجيل يوحنا أَن عِيسَى قَالَ لِلْيَهُود: "إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ! كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَارًا؟ أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ، أَمَّا الابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا، أَنَا عَالِمٌ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ لكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي لأَنَّ كَلاَمِي لاَ مَوْضِعَ لَهُ فِيكُمْ، أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مَا رَأَيْتُمْ عِنْدَ أَبِيكُمْ، أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ، قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ! وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، هذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ، أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنًا، لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ، فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لَوْ كَانَ اللهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لأَنِّي

---

(١) انظر: إنجيل متى: ٦/٩ – ١٠

خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَتَيْتُ، لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي، لِمَاذَا لاَ تَفْهَمُونَ كَلاَمِي؟ لأَنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي"(١).

فكان المسيح يطلق هذه الأسماء بهذا المعنى، وليس بالمعنى الذي يريده النصارى، ثمَّ إنه قد نهى عَن إطلاق لفظ ابن الله فقال للحواريين: مَا تَقولُونَ أَنْتُم فَأَجَابَهُ سمعون بيطر وَقَالَ لَهُ أَنْت الْمَسِيح ابْن الله فنهاهم وَكَذَلِكَ كَانَ يَقُول إذا كَانَ يخرج الْجُنُون عَن المجانين فَكَانَت تخرج وَهِي تَقول أَنْت ابْن الله فَكَانَ ينتهرهم ويمنعهم من هَذَا القَوْل فَهَذَا يدل دلَالَة بَيِّنَة على أَن الْمَسِيح كَانَ يُطلق لفظ الآب على الله تَعَالَى بِالْمَعْنَى الَّذِي يُطلق على إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام أَنه أَب وَذَلِكَ بِمَعْنى الْمعلم الشفيق وَكَذَلِكَ جَاءَ اللَّفْظ فِي كتَابنَا ﴿مِلَّة أبيكم إِبْرَاهِيم﴾ وَبِذَلِك الْمَعْنى تَقول الْيَهُود وَالنَّصَارَى فِي إِبْرَاهِيم وَلَيْسَ على حَقِيقَة الْأُبُوَّة وَمَعَ ذَلِك ف ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّا وَلَا نَصْرَانِيّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِمَاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [آل عمران: ٦٧].

وَكَذَلِكَ فِي الْإِنْجِيل فِي غير مَا مَوضِع قَالَ لكم أبوكم، وَقلت لأبي، وَيلْزم على مساق هَذَا أَلا يخص الْمَسِيح باسم الابن وَلَا الله تَعَالَى باسم الْأَب.

ثم يؤكد الإمام القرطبي أن هذا النص يبقى من النصوص المتشابهة، والنص المتشابه لا يُؤخذ منه عقيدة أساسية، فيقول: "وَمَا بالنا نطول الأنفاس مَعَ هَؤُلَاءِ الْجُهَّال فَإِنَّهُ إذا احْتمل هَذِه التأويلات كَانَ من المتشابهات وَلَا يَنْبَغِي أَن يصير إِلَيْهِ فِي الاحتجاجات، وخصوصًا فِي الاعتقادات ثمَّ نقُول لَا يَخْلُو الْمُسْتَدلّ بذلك أَو مَا يُقَارِبه على الْمَعْنى الْمُتَقَدّم، إما أَن يُرِيد بِهِ حَقِيقَة الْأَب والابن أَو لَا يُرِيد ذَلِك، فَإِن أَرَادَ الْحَقِيقَة كَانَ محالًا وباطلًا، فَإِن حَقِيقَة الْأَب عِنْد الْعُقَلَاء حَيَوَان ولد من نُطْفَة حَيَوَان هُوَ من نَوعه وبهذه النِّسْبَة وَالصّفة تفهم حَقِيقَة الابن وَهَذَانِ الوصفان محالان على الْقُدْرَة وَالْعلم فَإِن الْعلم لَيْسَ بحيوان مَوْلُود من نُطْفَة حَيَوَان وَلَا الْقُدْرَة حَيَوَان يخرج مِنْهَا نُطْفَة يتَوَلَّد مِنْهَا حَيَوَان وَهَذَا مَعْلُوم الْبطلَان بِالضَّرُورَةِ"(٢).

فيُلاحظ من خلال النصوص السابقة أن الإمام القرطبي كان يستخدم المنهج النقلي للرد على النصارى ونقد عقائدهم، فكان يبطل النصوص التي يستدلون بها من خلال النصوص أيضًا، وخاصة نصوص كتبهم، رغم أن اعتماده لم يكن على النص بشكل رئيسي، لكنه لم يهمل هذا المنهج مما كان له الأثر في إظهار الحق، وإبطال العقيدة الفاسدة.

---

(١) إنجيل يوحنا: ٨/ ٣٧. ٤٣.

(٢) الإعلام، القرطبي، ص ص٦٤ – ٦٧.

قواعد في الأسماء والصفات:

عند رد الإمام القرطبي على النصارى باستخدام المنهج النقلي، تطرق للحديث عن الأسماء والصفات الإلهية وما يتعلق بها، ووضع مجموعة من القواعد المتعلقة بالأسماء والصفات، تكلمنا عن بعضها بشكل مجمل عند الحديث عن الأقانيم، وسنفصل القول بالقواعد التي وضعها

لقد قسَّم الإمام القرطبي الأسماء إلى أربعة أقسام وهي[1]:

١. أسماء ذات: وهو الاسم الذي يدل على الذات، كالله والرحمن

٢. أسماء صفات: وهي الأسماء التي تدل على ثبوت شيء للذات قائم بها، كعالم وقادر.

٣. أسماء سلوب: وهو الاسم الذي يدل على نفي أمر عن الذات، كالقدوس التي تدل على البراءة من العيوب.

٤. أسماء أفعال: وهي التي تدل على ثبوت صفات زائدة على الذات لا تقوم بها، كخالق ورازق.

من خلال هذا التقسيم أبطل ادعاء النصراني أن الأقانيم من أسماء الأفعال:

معنى أسماء الأفعال: هو أن يخلق الله تعالى ذلك الفعل فيشتق له من ذلك الفعل اسم، مثل: خالق، رازق. وهذا معنى محال على الصفات العلى فالصفات ليست مخلوقة فلو جاز أن يسمى بعلم خلقة عالمًا، وبإرادة خلقها مريدًا، جاز أن يسمى بحركة يخلقها متحركًا، وبصوت يخلقه مصوتًا الخ ذلك من الجهالات.

ومن القواعد التي وضعها الإمام القرطبي في الأسماء والصفات:

القاعدة الأولى: عدم جواز السؤال بكيف في صفات الله تعالى[2]

بين الإمام القرطبي أن سؤال النصارى عن كيفية سماع موسى صوت الله سؤال غير جائز، لأن السؤال "بكيف" بشكل عام غير جائز في الصفات وذلك لأن السؤال بكيف هنا كأنه يقال: على أي حال سمِع موسى كلام الله من الأحوال التي نكون نحن عليها حين يسمع بعضنا من بعض؟ فمن المعلوم عند العقلاء أن موسى يستحيل عليه أن يسمع كلام الله على نحو

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٧٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٠٧- ١٠٨.

الأحوال التي يسمع فيها بعضنا من بعض، فالسؤال بكيف في هذا الموضع ظلم وحيف، فكما لا يقال كيف يسمع الله خلقه فإنه لا يقال كيف يسمع موسى ربه؟ فالكيفية محالة على الله تعالى.

وقد جانب الإمام القرطبي الصواب في عدة مسائل وسار فيها على طريقة الأشاعرة منها، تحدثنا عنها في بداية هذه الرسالة[1].

القاعدة الثانية: بطلان قياس الغائب على الشاهد

بين الإمام القرطبي بطلان قياس النصارى للغائب على الشاهد وللقديم على المحدَث وللواجب على الممكن، فهو قياس فاسد وذلك للخلو من الجامع بينهم، فأي شيء يجمع بين الإله وخلقه؟

يقول الإمام القرطبي: "وَهَذَا كَلَام فَاسد لِأَنَّهُ قِيَاس الْغَائِب على الشَّاهِد إِذْ هُوَ قِيَاس خَال عَن الْجَامِع وَأَيْضًا فَلَو كَانَ هُنَالك جَامع لَكَانَ بَاطِلًا فَإِنَّهُ قِيَاس جزئي على جزئي، وَذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ صَالح للظنِّيات لَا للعمليات، وَلَو جَازَ قِيَاس الْبَارِي سُبْحَانَهُ على خلقه للَزِمَ أَلا يكون قَادِرًا حَتَّى يكون ذَا آلَة وَعصب وَيَد الْجَارِحَة، فَإِن الْوَاحِد منا لَا يكون قَادِرًا حَتَّى يكون كَذَلِك، وَكَذَلِكَ كَانَ يلْزم أَلا يكون عَالمًا حَتَّى يكون ذَا قلب ودماغ إِلَى غير ذَلِك من المحالات، ويلزمك على مساق قَوْلك أَن يكون الْبَارِي تعالى جسمًا، فإنك كَمَا لم ترى موجدًا وَلَا فَاعل لفعل إلا قَادِرًا عَالمًا مرِيدًا، كَذَلِك لم ترد فَاعِلًا وَلَا موجدًا إِلَّا جسمًا، وَهَذِه جهالات لَازِمَة على قَوْلك، ومنتجة عَن صمم جهلك"[2].

وقياس الغائب على الشاهد باطل للأسباب التالية:

الأول: هذا قياس باطل لأن الله تعالى أخبر أنه ليس كمثله شيء فقال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]، فكيف يصح أن يقاس أحد من المخلوقات عليه؟

الثاني: الاختلاف في الذوات والصفات، وإذا كانت المخلوقات لا يقاس بعضها على بعض لاختلافها في ذواتها وصفاتها، كما نقول ما الجامع بين يد الإنسان ويد الفيل؟ أو أصبع الإنسان وأصبع النملة؟ فلا جامع سوى الاسم، فهو قياس باطل كما قال الإمام ابن تيمية: " فإن قياس الغائب على الشاهد من غير جامع باطل"[3].

---

(١) انظر: صفحة (٢١) من هذه الرسالة.

(٢) الإعلام، القرطبي، ص٧٦.

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، ج٤/٤٧.

القاعدة الثالثة: عدم تسميته إلا بما سمى به نفسه

ومن ذلك عدم تسميته جوهرًا، فبين الإمام القرطبي أن الله تعالى لا يُسمَى إلا بما سمى به نفسه، فيقول: " ثمَّ نقُول لَهُم لأي شَيْء تحكمتم بِتَسْمِيَة خالقكم جوهرًا؟ وَفِي أَي مَوضِع كتب الْأَنْبِيَاء وجدْتُم الْأَمر بذلك؟ أَو على لِسَان من بَلغَكُمْ الْأَمر بِهِ وَلَا تَجِدُونَ لإِثْبَات الْأَمر بذلك سَبِيلًا غير التحكم؟ وَلَو كُنْتُم مِمَّن يستحى من الله لما تحكمتم عَلَيْهِ بِأَن سميتموه بِمَا لم يسم بِهِ نَفسه، وَلَو أَن وَاحِد مِنْكُم سمى لَهُ ولد بِغَيْر أمره لأنف من ذَلِك، وعظم عَلَيْهِ ولوبخ الْمُسَمّى، لِأَنَّهُ تصرف فِيمَا لَا يَنْبَغِي لَهُ، هَذَا إِذا كَانَ الاسم مِمَّا يفهم مِنْهُ الْمَدْح، فَمَا ظَنك لَو سُمى بلقب يفهم مِنْهُ النَّقْص وَالْعَيْب، وَلَفظ الْجَوْهَر فِي الْمُتَعَارف عِنْد النظار وَغَيرهم يطلقونه على المتحيز، وَهُوَ الجرم الشاغل قدرًا من المساحة وَلَا بُد لَهُ من الْحَرَكَة والسكون، وهما دَلِيلا تغيره وحدوثه"[(١)].

وقد نصوا على أن جوهر الابن من جوهر الآب في قانون الْأَمَانَةِ، فقَدْ جَعَلُوا اللَّهَ وَالِدًا وَهُوَ الْأَبُ، وَمَوْلُودًا وَهُوَ الِابْنُ، وَجَعَلُوهُ مُسَاوِيًا لَهُ فِي الْجَوْهَرِ، أي في الحقيقة، فَقَالُوا: مَوْلُودٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مُسَاوٍ الْأَبَ فِي الْجَوْهَرِ، فَصَرَّحُوا بِأَنَّهُ مُسَاوٍ لَهُ فِي الْجَوْهَرِ، وَالْمُسَاوِي لَيْسَ هُوَ الْمُسَاوَى.

وَلَا يُسَاوِي الْأَبُ فِي الْجَوْهَرِ إِلَّا جَوْهَرٌ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الِابْنُ جَوْهَرًا ثَانِيًا، وَرُوحُ الْقُدُسِ جَوْهَرًا ثَالِثًا. فهم يصرحون بإثبات ثلاثة جواهر وهم مع ذلك يقولون أنها جوهر واحد، وهذا باطل فالجمع بين النقيضين باطل، والله تعالى نزه نفسه عن هذا كله فقال:﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١-٤].

فَنَزَّهَ نَفْسَهُ أَنْ يَلِدَ كَمَا يَقُولُونَ: هُوَ الْأَبُ، وَأَنْ يُولَدَ كَمَا يَقُولُونَ: هُوَ الِابْنُ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، كَمَا يَقُولُونَ: إِنَّ لَهُ مَنْ يُسَاوِيهِ فِي الْجَوْهَرِ.[(٢)]

وَالْجَوَابُ على تسميته بما لم يسمِّ به نفسه:

يقول الإمام ابن تيمية: "أَمَّا تَسْمِيَةُ الْبَارِي جَوْهَرًا فَهُوَ مِنْ أَهْوَنِ مَا يُنْكَرُ عَلَى النَّصَارَى؛ وَلِهَذَا كَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُنْكِرُهُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ - فَقَطْ - أَوِ اللُّغَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُهُ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ أَيْضًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ نِزَاعًا لَفْظِيًّا. وَطَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُسَمُّونَهُ جَوْهَرًا وَجِسْمًا

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٧٨.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، وآخرون، ج٣/٢٣٠-٢٣١.

أَيْضًا. وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ – تَعَالَى – عَلَى طَرِيقَتَيْنِ، فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَقُولُ: إِنَّ أَسْمَاءَهُ سَمْعِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ، فَلَا يُسَمَّى إِلَّا بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرِيعَةُ، فَإِنَّ هَذِهِ عِبَادَةٌ، وَالْعِبَادَاتُ مَبْنَاهَا عَلَى التَّوْقِيفِ وَالاتِّبَاعِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَا صَحَّ مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ، وَكَانَ مَعْنَاهُ ثَابِتًا لَهُ، لَمْ يَحْرُمْ تَسْمِيَتُهُ بِهِ، فَإِنَّ الشَّارِعَ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْنَا ذَلِكَ، فَيَكُونُ عَفْوًا، وَالصَّوَابُ الْقَوْلُ الثَّالِثُ؛ وَهُوَ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ أَنْ يُدْعَى بِالْأَسْمَاءِ أَوْ يُخْبَرَ بِهَا عَنْهُ، فَإِذَا دُعِيَ لَمْ يُدْعَ إِلَّا بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى كَمَا قَالَ ﷻ:﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَأَمَّا الْإِخْبَارُ عَنْهُ فَهُوَ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ؛ فَإِذَا احْتِيجَ فِي تَفْهِيمِ الْغَيْرِ الْمُرَادَ إِلَى أَنْ يُتَرْجَمَ أَسْمَاؤُهُ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِاسْمٍ لَهُ مَعْنًى صَحِيحٌ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُحَرَّمًا، وَأَمَّا الَّذِينَ مَنَعُوهُ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ فَكَثِيرٌ: مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْجَوْهَرَ مَا شَغَلَ الْحَيِّزَ، وَحَمَلَ الْأَعْرَاضَ وَاللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لَيْسَ كَذَلِكَ، وَهَذَا قَوْلُ مَنْ نَفَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْجَوْهَرُ مَا إِذَا وُجِدَ كَانَ وُجُودُهُ لَا فِي مَوْضُوعٍ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِيمَا وُجُودُهُ زَائِدٌ عَلَى ذَاتِهِ، وَوَاجِبُ الْوُجُودِ وُجُودُهُ عَيْنُ ذَاتِهِ، فَلَا يَكُونُ جَوْهَرًا. وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ سِينَا وَأَمْثَالِهِ مِنْ مُتَأَخِّرِي الْمُتَفَلْسِفَةِ.[١]

القاعدة الرابعة: إبطال مصطلح التولد

يرى القاضي أبو بكر: أنَّ هذا اللفظ _التولد_ مستفاد من الولادة وهي خروج الشيء من الشيء[٢]، وقال الإمام الغزالي في لفظ التولد: أن يخرج جسم من جوف جسم كما يخرج الجنين من بطن أمه، والنبات من بطن الأرض، وهذا محال في الأعراض[٣].

بين الإمام القرطبي أن هذا اللفظ لفظ باطل من أصله، فإن المتولدات ممكنات، وكل ممكن مقدور، وكل مولود مقدور لله تعالى، وإذا ثبت أنها حادثة بقدرة الله تعالى فلا يقال إنَّها متولدات[٤].

وقد ردَّ الإمام ابن تيمية على لفظ التولد في عدة نقاط منها[١]:

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ج٥/ ٧-٩.

(٢) انظر: العواصم من القواصم، ابن العربي، تحقيق: د. عمار طالبي، ص٨٢.

(٣) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، ص٥٩.

(٤) الإعلام، القرطبي، ص٧٠.

أولًا: هناك خلاف بين الإبداع والتولد، فالله سبحانه أبدع السماوات والأرض والإبداع خلق الشيء على غير مثال، وهذا بخلاف التولد الذي يقتضي أن يتناسب الأصل مع الفرع ويتجانسا، فالطفل من جنس أمه، والنبات من جنس النبات، والحيوان من جنس الحيوان، والإبداع خلق الشيء بمشيئة الخالق وقدرته مع استقلال الخالق به وعدم شريك له، وأما التولد لا يكون إلا بجزء من المُوَلِّد، بدون مشيئته وقدرته، ولا يكون إلا بانضمام أصل آخر إليه.

ثانيًا: قال تعالى ﴿ **أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام:١٠١]، فبين الله تعالى بطلان التولد من خلال:

- كون الولد له من غير صاحبة لقوله ﴿ولم تكن له صاحبة﴾، فإن التولد لا يكون إلا من أصلين ولا يوجد في الموجودات ما يكون وحده مولدًا لشيء، بل قد خلق الله تعالى من كل شيء زوجين وأما سبحانه فهو فرد لا زوج له.
- وقوله: ﴿خلق كل شيء﴾ بيان أنه خالق لجميع الأشياء فلا يمكن أن يكون فيها ما هو متولد عنه، والجمع بين الخلق والتوليد ممتنع، كما يمتنع الجمع بين التولد والتعبد، كما قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، حتى أنه استدل بهذا طائفة من الفقهاء على أن ولد الإنسان يعتق عليه إذا ملكه، فلا يكون عبده من هذه الآية لأنه سبحانه بين تنافي التوليد والتعبيد.
- وكذلك قوله: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ كما قال في الآية الأخرى ﴿**لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا**﴾ [مريم: ٩٤]، فإن إحاطة العلم والعد بهم فيه بيان أنه لا يكون منهم إلا ما يعلمه الله تعالى، فلا ينفردون عنه بشيء كما ينفرد الولد عن أبيه، والشريك عن شريكه

ونوهت د. آمال العمرو أن هذه الآية نفي لما ادعته النصارى من اتحاد الكلمة بالعلم الذي هو المسيح(٢).

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [البقرة: ١١٧]، فيها بيان لكونه سبحانه يخلق الأشياء بكلمته وأنها منقادة له سبحانه، فإذا قال لها كن كانت، وهذا منافٍ للتوليد، بل خُلِقَ المسيح بكلمة كن، وقد عُلِم بالضرورة أن الذي يدبر الأشياء بكلمته ليس كالذي تتولد منه، فالله تعالى أمره بين الكاف والنون.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، ج٧/٣٦٩-٣٧٤

(٢) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، العمرو، ص٣٦٨.

وبالتالي يتبن لنا أن لفظ التولد الذي ادعته النصارى للمسيح ونصت عليه في قانون الأمانة بأنه "مولود من الآب قبل كل الدهور" لفظ باطل عقلًا، فالتولد ينتج عنه ما يكون من جنسه، والله تعالى ليس كمثله شيء، إضافة لكون التولد يحتاج إلى الزوجة، وهذا محال على الله تعالى بأقوال النصارى أنفسهم، إضافة لما أسلفنا من إبطال هذا المصطلح.

القاعدة الخامسة: كون الأقانيم مجعولة لله تعالى يقتضي حدوثها

يقول الإمام القرطبي: "وَأما قَوْلك فَجعل هَذِه الْأَسْمَاء ثَلَاثًا فيفهم مِنْهُ أَن هَذِه الثَّلَاثَة الأقانيم الَّذِي تقدم ذكرهَا مجعولة وَأَن الله تَعَالَى هُوَ الَّذِي جعلهَا وَإِن كَانَت بِجعْل الله فَهِيَ بخلقه وَمَا كَانَ بخلقه فَهُوَ مُحدث فيلزمك على ظَاهر قَوْلك أَن هَذِه الأقانيم محدثة باختراعه تَعَالَى وَأَنْتُم تَقولُونَ أَنَّهَا أزليات قديمَة"[١]

فقولهم أن الأقانيم مجعولة وأن الله هو من جعلها، يقتضي كونها مخلوقة، والمخلوق محدَّث، ولا يكون قديمًا أبدًا.

٢. منهجه في إبطال التثليث من خلال إبطال الاتحاد:

أبطل الإمام القرطبي الاتحاد الذي تكلم به النَّصارى واعتقدوا به، وبيَّن أنهم مختلفين في مفهومهم للاتحاد، وسنبين مذاهب النصارى في الاتحاد، ثم نقف على منهج الإمام القرطبي في نقد هذه العقيدة الفاسدة، وذلك ما يمكن بيانه من خلال النقاط التالية:

أ- مذاهب النصارى في الاتحاد

اختلف النصارى في مفهوم الاتحاد اختلافًا كبيرًا، وتخبطوا في حقيقته تخبطًا عظيمًا، وذكر الإمام القرطبي أشهر أقوال فرقهم كاليعقوبية، والنسطورية، والروم.

وأما أقوال آحادهم فهي كثيرة ومتناقضة وقد أحال إلى كتاب المسائل الذي جمع الكثير من أقوالهم، حتى لا يقع في التطويل[٢]، من أشهر أقوال فرقهم التي ذكرها الإمام القرطبي:

١) الفرقة الأولى: قول اليعقوبية

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص ص٦٨-٦٩.

(٢) انظر: الإعلام، القرطبي، ص١٢٨.

قالت أن الكلمة خالطت جسد المسيح ومازجته ممازجة الخمر اللبن، فصارا شيئًا واحدًا، وقالت: إن الله تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا قد نَزَلَ في بطن مريم واتخذ من لحمها جسدًا، فصار الله مع الجسد شيئًا واحدًا.

٢) الفرقة الثانية: النسطورية

قالوا بمخالطة الكلمة لجسد المسيح وممازجته، وقالوا أن تلك النفس ليست هي الله، وإنما هي بعضه.

٣) الفرقة الثالثة: الروم

قالوا كما قالت اليعقوبية والنسطورية بأن الكلمة اختلطت بالمسيح فصارا شيئًا واحدًا.

ب- تفسيرات النصارى لكيفية الاتحاد

ذكر النصارى عدة أمثلة لمحاولة تقريب كيفية الاتحاد، ومع ذلك فهي أمثلة مردودة لا يقبلها العقل، ومن هذه الأمثلة:

١) قالوا: مِثَاله مَا ينطبع فِي الْأَجْسَام الصقلية من الْأَشْيَاء الَّتِي تقَابلهَا.

٢) مِنْهُم من قَالَ مِثَاله الطابع المنقوش إِذا اتَّصل بشمع وَمَا يضاهيه فَيظْهر نقش الطابع عَلَيْهِ وَإِن لم يحله شَيْء من الطابع.

٣) مِنْهُم من قَالَ معنى ظُهُور اللاهوت على الْمَسِيح كمعنى اسْتِوَاء الْإِلَه على الْعَرْش عِنْد الإسلاميين مَعَ مصيرهم إِلَى اسْتِحَالَة المماسة.

٤) بعضهم يعبر عَن الاتحاد بالتدرع كَأَنَّهُمْ أخذُوا ذَلِك من لفظ الدرْع يشيرون إِلَى أَنا اللاهوت اتخذ ناسوت الْمَسِيح درعًا.

هذه أشهر تمثيلاتهم للاتحاد وقد نقدها الإمام القرطبي جميعها، وسيأتي بإذن الله نقد الإمام القرطبي لها.

وأما النصراني صاحب "تثليث الوحدانية": فيرى أن الاتحاد هو عبارة عن اتحاد الموعظة التي أضيفت إلى العلم باللحمة في المسيح الذي اتُخذ في الدنيا لأجل الموعظة لا للخلق.

واستدل على الاتحاد بما جاء في إنجيل يوحنا: "التحمت الكلمة وسكنت فينا"[1] ، ثم قال أنَّ علة هذا الاتحاد هو الإرادة، فاتحد الحادث وصار إلهًا، فهو اتحاد قديم وحادث، قديم بالقوة حادث بالفعل[2]، واستدل على الاتحاد باتحاد الواسطة لموسى حينما ناده ربه[3] ، فالله جعل واسطة بينه وبين موسى حينما ناداه وهذه الواسطة هي الصدى، وهو من قال أنا الله وإياه أجاب موسى، وأوجب أن يتخذ الله جسمًا لتظهر صورته كما اتخذ واسطة ليظهر صوته، وهذا الجسم الذي اتخذه لتظهر صورته كان المسيح، الذي ينبغي الإقرار له بالربوبية كما أقر موسى للصدى بالربوبية، وقد أقر الحواريون للمسيح بالربوبية حسب زعمه.

ت- منهج الإمام القرطبي في نقد الاتحاد:

١) المنهج العقلي

أولًا: علم البدهيات:

وضع الإمام القرطبي مجموعة من القواعد العقلية البدهية لنقض عقيدة الاتحاد، مبينًا أن كلام النصارى في هذا الباب يدخل في باب المحال والممتنع، حيث يوجب العقل والحس بطلانه، وليس في باب المحالات أعظم من مخالفة بدهيات العقول، ومن أبرز القواعد التي وضعها الإمام القرطبي في رده على النصارى:

القاعدة الأولى: عدم مخالفة الأنبياء عليهم السلام لضرورات العقل[4]:

فالادعاء بأن الاتحاد جاء في الأناجيل وعلى لسان النبيين كلام باطل لاستحالة أن يأتي الأنبياء بما تمجُّه العقول، ويُعلم فساده بصريح العقل، فالأنبياء صادقون مصَّدقون، وأقوالهم لا تعارض العقل بل تصدقه، فعلى فرض أن شخص جاء بأمر معجِز وادعى أنه رسول من الله ثم قال أن الواحد هو ثلاثة من حيث أنه واحد، وأن الثلاثة واحد من حيث هي ثلاثة، فإن قال ذلك بنص لا يقبل التأويل بادر العقلاء إلى تكذيبه، وبالتالي ما ظهر على يديه من الآيات والخوارق ليست من قبيل المعجزات بل هي من قبيل الحيل والشعوذات، فالمعجزة

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ٩٢، والنص في الإنجيل: " وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ"، إنجيل يوحنا:١/ ١٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٩٧.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص١٠٥

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص٩٨.

دليل صدق ودليل الصدق لا ينقلب كذبًا، وهكذا فيما يدعونه من المحالات كالاتحاد الذي ينسبونه إلى الأنبياء عليهم السلام، وهم مبرؤون منها.

القاعدة الثانية: إذا خالف النص العقل وخالف النصوص الأخرى وجب تأويله وعدم حمله على ظاهره[1]:

فإذا تكلم نبي عُلِم صدقه قطعًا بشيء من هذه الأمور كالاتحاد وهي أمور يستحيلها العقل، فإن هذا الكلام الذي قاله وجب تأويله إن كان يحتمل التأويل، وله دلالة ظاهرة أو محتملة، وذلك لاستحالة أن يكون الظاهر مراد.

وأما إن لم يجد له تأويلًا فيُقطع العقل باستحالة الظاهر ويكل الباطن إلى الله تعالى، فقد تأتي الشريعة بما تحار فيه العقول لا فيما تحيله، فيقول الإمام ابن تيمية: "ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته"[2]، والاتحاد ليس من محارات العقول بل من محالاتها التي لا يمكن للعقل السليم تصورها.

القاعدة الثالثة: امتناع حدوث القديم أو قِدَم الحادث، واستحالة الجمع بينهما[3]:

فيرى النصراني أن الحادث صار إلهًا، فهو قول بحلول الحادث في الجوهر، واتحاده به، وهذا أشنع وأقبح من اتحاد القديم بالحادث وحلوله فيه، وهذا يدل عليه من قول النصراني "ولا الحادث في الجوهر صار قديمًا" وهذا يترتب عليه إلزامات فاسدة من هذه الإلزامات:

الإلزام الاول:

أن يُقال لهم: هل كان حالًّا في ناسوت المسيح قبل خلق المسيح؟ أم لا؟ إن كان حالًّا فيه قبل خَلْقِه كان محالًا، فهو قبل خلقه معدوم، الموجود لا يحل في المعدوم، وإن كان حلوله بعد خلق المسيح، فقبل خلقه لم يكن فقد حدث له حلول وصار حالًا بعد أن لم يكن ويلزم منه أن تقوم الحوادث بالقديم وهو محال وهذا يؤدي إلى حدوثه.

ويستلزم منه أن يتصف الإله بصفات هي في قمة الشناعة منه أنه يجوع ويعطش، ويحزن ويفرح، ويتبول ويتغوط، ويظفر به أعداؤه ويعذبونه ويلبسونه الشوك ويضربونه، ومع ذلك

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص٩٨-٩٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، ج١/١٤٧.

(٣) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٩٩

يقول لهم أنه عبد وإله: "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي، وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ"[١].

ثم هو يدعو ويصلي فإن كان إلهًا أو متحدًا بالإله فمن يدعو، ولمن يصلي، ففي إنجيل متى يقول المسيح: " فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ"[٢].

ثم ينفي عن نفسه الإرادة ويثبتها لله وحده فيقول: "قَائِلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ، وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ"[٣].

ثانيًا: التنزل مع الخصم ومجاراته لإقامة الدليل عليه

استعمل الإمام القرطبي منهج التنزل مع الخصم في نقده للاتحاد، حتى يُظهِر الحق، ويقيم الدليل على النصارى، ويكشف الشبهات ويرد على الأباطيل، وقد جاء ذلك في العديد من المواضع منها: استدل النصارى على الاتحاد بما جاء في إنجيل يوحنا: "التحمت الكلمة وسكنت فينا"[٤]، وقد بين الإمام القرطبي أنه لا حجة لهم بهذا النص وأنه ليس بدليل، وقد سلك الإمام القرطبي في رده عليهم مسلك التنزل مع الخصم ومجاراته ليصل في النهاية إلى بطلان ما راموا الوصول إليه من إثبات الاتحاد.

بين في البداية أن هذا النص مقتطع من الآية الإنجيلية وعليهم الإتيان بالنص كاملًا ليُفهم المراد منه، فالنص كما في إنجيل يوحنا: "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ، اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُل، بَلْ مِنَ اللهِ، وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا"[٥]، فهو نص لا يُستدل به على الاتحاد، كما بين الإمام القرطبي للأسباب التالية[٦]:

---

(١) إنجيل يوحنا: ١٧/٢٠.

(٢) إنجيل متى: ٦/ ٩. ١٠.

(٣) إنجيل لوقا: ٢٢/ ٤٢.

(٤) النص في إنجيل يوحنا: " وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ"، إنجيل يوحنا: ١/١٤.

(٥) إنجيل يوحنا: ١/١٢_١٤.

(٦) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص٩٤-٩٥.

الأول: قائل هذا النص ليس المسيح، والنص في الإنجيل ليس مرفوعًا إلى المسيح بل هو موقوف على يوحنا، وحاشاه أن يقول مثله.

الثاني: على فرض التسليم بأن يوحنا قال ذلك فيوحنا ليس معصومًا، لأن العصمة إنما تثبت للأنبياء فقط، أو لمن أخبر الأنبياء عن عصمتهم، ويوحنا ليس بمعصوم ولم يخبر نبي بعصمته.

الثالث: وبتقدير أنه معصوم، فالإنجيل قابل للتحريف والتبديل، وشروط التواتر لم تجتمع فيه، حتى لو كان الخبر في الأناجيل الأربعة، فإنه لا يفيد اليقين، لأن العلم اليقيني إنما يحصل بالمتواتر حقيقة، أي الخبر المفيد للعلم بالمخبر عنه، الذي تحيل العادة على ناقليه الغلط والتواطؤ على الكذب.

الرابع: وعلى التسليم أن كتابهم لا يقبل التغيير، فهذا النص ليس قاطعًا، بل يحتمل التأويل وذلك حسب سياق اللفظ، وغاية هذا النص أن الذين آمنوا بعيسى فإنهم توالدوا من الله والتحمت الكلمة فيهم وسكنت بينهم، ولذلك قال: ولكن توالدوا من الله.

الخامس: عموم اللفظ الوارد ولا تخصيص فيه، فظاهر اللفظ أن الكلمة التحمت بكل من آمن بالمسيح واتحدت به، وهو كلام لا تقول به النصارى.

ثالثًا: إثبات التناقض

إثبات التناقض بين طوائف النصارى، أو نصوص كتبهم من المناهج التي اتبعها الإمام القرطبي في نقده للاتحاد، فالاضطراب والاختلاف بين طوائف النصارى في فهم الاتحاد دليل بطلانه، وقد بينا سابقًا أن النصارى افترقت على فرق كثيرة مختلفة ومتباينة في فهم الاتحاد، كاليعقوبية والنسطورية والروم وغيرها، واختلافهم في عقيدتهم الأساسية دليل بطلانها، فالتوحيد عند المسلمين أمر لا يُختلف عليه، بخلاف التثليث عند النصارى الذي اختلفوا في تعريفه وتمثيله اختلافًا كبيرًا، وقد عرض الإمام القرطبي أقوالهم وتمثيلاتها ونقدها، وذلك على النحو التالي:[١]

فبعضهم يقول بعدم قدرة العقل عن إدراك حقيقة الاتحاد جملة وتفصيلًا فبين أنه قول باطل ومتناقض وهو كلام عن شيء لم يثبت عندهم أصله.

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص١٢٨- ١٤٢.

وبعضهم يرى قصور العقل عن إدراك حقيقة الاتحاد، وقد بين بطلان هذا القول أيضًا فلا بد لمن يدعي أنه عالم بالاتحاد أن يكون عالمًا به إما على الجملة وإما على التفصيل، فكونه لا يعلمه جملة ولا تفصيلًا فهو جاهل بالاتحاد، والجاهل بعقيدة الاتحاد جملة وتفصيلًا فهو كافر عندهم كما بين ذلك الإمام القرطبي.

وكذلك في كيفية حصول الاتحاد وغيرها من المسائل التي اختلفت فيها النصارى، والتي تدل دلالة واضحة على بطلان هذه العقيدة.

وقد بين الإمام ابن حزم بطلان عقيدة الاتحاد من عدة وجوه أبرزها:[١]

الوجه الأول: يُقال لمن قال أنَّ الباري سبحانه ثلاثة أشياء، أب وابن وروح قدس، هل هذه الأشياء لم تزل كلها، وأنها مع ذات واحدة أم لا؟ فإن كان كذلك، لِما اختُص أحدها بكونه أبًا والآخر ابنًا؟ والنصارى يقولون بأن الثلاثة واحد، والآب عندهم هو الابن!

الوجه الثاني: إبطال أقوالهم في الاتحاد من خلال نصوص الإنجيل، حيث يقول المسيح عليه السلام في إنجيل مرقس: " وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللهِ"[٢]، وكذلك قول المسيح عليه السلام: "وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ"[٣]، فهذه النصوص التي هي أقوال للمسيح تُوجب المغايرة بين الآب والابن، وأنهما ليسا واحد، بل وتُوجب أن الابن في مرتبة دون مرتبة الآب، فهو لا يعلم ما يعلمه الآب من الغيب المطلق، بالإضافة لكونه يجلس عن يمينه وهذه يقتضي أنَّ الآب أعظم منه والنصارى لا يقولون بذلك، وفي هذا إبطال لقولهم بالاتحاد.

وقد استعمل الإمام القرطبي قاعدة التناقض ليؤكد بطلان عقيدة النصارى، وأن اختلافهم في عقيدتهم الأساسية يؤكد أن هذه العقيدة باطلة من أساسها.

رابعًا: السبر والتقسيم

بينا سابقًا معنى السبر والتقسيم، وقد سار الإمام القرطبي على منهج السبر والتقسيم في نقده للاتحاد، ومن الأمثلة على استعماله منهج السبر والتقسيم:

عند بيان فساد قولهم بالاختلاط وأن هذا يلزمهم أقسام أربعة كلها باطلة وهي كالآتي:

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج٤٩/١.

(٢) إنجيل مرقس: ١٦/ ١٩.

(٣) المرجع السابق: ١٣/ ٣٢.

حينما اختلطا وحدث الاتحاد:

← إما أن يبقى العلم موجودًا على حاله والجوهر موجودًا على حاله.

← إما أن ينعدم كلاهما.

← وإما أن ينعدم أحدهما دون الآخر.

وهذه الأقسام الثلاثة كلها باطلة، فأن يبقى كلاهما بحاليهما مع الاختلاط وأن يكونا شيئًا واحدًا محال، فالواحد لا يكون اثنين إلا بإضافة غيره إليه، وإذا أضيف غيره إليه بَطَلَ أن يكون واحدًا، والاثنان لا يصبحان واحدًا إلا إذا انعدم أحدهما.

ومحال أن ينعدما معًا، لأن القديم لا ينعدم، وكذا الموجود مع حالة وجوده.

وأما القسم الثالث فكذلك باطل فكيف ينعدم أحدهما أي كيف يخالط ويمازج الموجود المعدوم.

ثم يقول الإمام القرطبي: "وإذا بطلت هذه الأقسام المنحصرة بطل الامتزاج والاختلاط، ومصير الاثنين واحد على ما قالوه" وبالتالي يتبن بطلان الاتحاد وإذا بطل الاتحاد ثبت أن الله واحد لم يتحد ولم يمتزج بأحد.

خامسًا: إلزامهم بالمحالات

الإمام القرطبي بعد إبطاله لعقائد النصارى ألزمهم بالعديد من الإلزامات المترتبة على قولهم بهذه العقيدة الفاسدة، فإما أن يترتب عليها ما هو أفسد منها، أو يترتب عليها أن يقولوا بأمور مستحيلة، أو يترتب عليها مخالفتهم لنصوص كتبهم، أو تناقضهم مع أقوالهم التي قالوها.

ومن أبرز الإلزامات في هذا الباب:

- **إبطال قولهم بوجود واسطة:**

فقد ألزمهم بالعديد من الإلزامات التي تبطل أقوالهم بوجود واسطة أي الصدى الذي يقولون أنه اتحد لموسى كي يستطيع سماع صوت الله، من هذه الإلزامات:[١]

الإلزام الأول: القول بأن الصوت جوهرًا يترتب عليه جعله إلهًا آخر مع الله تعالى، وبالتالي هو من قال عن نفسه "أنا الله" وموسى اعترف له بالربوبية، وهذا كفر بموسى.

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص١١٣- ١١٤.

الإلزام الثاني: القول بأن موسى أقر بالربوبية للواسطة يترتب عليه أن موسى أقر بالربوبية لإلهين، أو اعترف بربوبية الواسطة وأنكر ربوبية الله تعالى.

الإلزام الثالث: ويترتب عليه أن موسى عندما قال لفرعون أنه رسول الله لم يكن صادقًا فإنه رسول الصدى لا رسول الله.

الإلزام الرابع: أن يكون الصدى إلهًا فتصبح الآلهة ثلاثة أقانيم وعيسى إله، والصدى إله، أي خمسة آلهة، ومنهم من يضيف مريم إلى الآلهة كما تقول الطائفة المريمية فتصبح الآلهة ستة وهكذا.

الإلزام الخامس: يقال لهم: لماذا لم يعبد النصارى الصدى إن كان صادقًا؟ فقد عبده موسى وأقر له بالربوبية، وسجد له.

الإلزام السادس: أن الأنبياء السابقون لم يخبروا أقوامهم عن ألوهية الصدى، ولم يعبدوه، فلم يعبده دانيال ولا حزقيال ولا حبقوق ولا غيره.

فهذه بعض الإلزامات التي ذكرها الإمام القرطبي، ولو أردنا ذِكْر كل الإلزامات التي تَلزم النصارى لطال المقال، وهذه إلزامات تَلْحَق النصارى في دعواهم وجود الواسطة، وهو منهج متميِّز لإبطال عقيدة النصارى، وخاصة في مجادلتهم.

- **إلزامهم بفساد عقيدة الاتحاد:**

من أبرز المواضع التي استخدم فيها الإلزام عند نقده لعقيدة الاتحاد، فبين أن القول بالاتحاد يترتب عليه الكثير من الأمور الفاسدة التي تبطل عقيدة الاتحاد بل تنسفها نسفًا، والتي منها:

الإلزام الأول: عندما اتحد أقنوم العلم مع عيسى، هل بقي الرب كما كان قبل، أم اختلفت حاله، إن بقي كما كان فهذا يعني أنه لم يصر لعيسى منه شيء، وإن صار لعيسى فهذا يعني مفارقة أحد الأقانيم لمجموعها، وعندهم أن الأقانيم لا تفترق فهي واحد في ثلاثة، وإن قالوا تغير حاله فيلزم أن يصير من العلم إلى الجهل ومن القدم إلى الحدوث وكله محال(١).

الإلزام الثاني: وعندما اتحد أقنوم العلم بعيسى هل بقي الرب عالمًا بهذا الأقنوم أم بغيره، أم غير عالم؟ محال أن يكون غير عالم لاستحالة الجهل عليه، ومحال أن يكون عالم بأقنوم العلم المتحد مع عيسى لأنه يلزم منه أن يقوم علم واحد بمكانين مختلفين، وأن تقوم الصفة بغير

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص١٣٨.

موصوفها، ويلزم منه أن يتبعض العلم بين اثنين والعلم لا يتبعض، ومحال أن يكون عالمًا بعلم غيره فذلك يؤدي إلى حدوث الأقانيم(١).

الإلزام الثالث: قالوا أن الأقانيم غير متباينة ولا متفرقة، ثم قالوا باتحاد أقنوم العلم دون غيره من الأقانيم، فلماذا اتحد هذا الأقنوم دون أقنوم الآب والروح القدس؟ وهذا تصريح منهم بالتباين والافتراق وفيه نقض لمذهبهم في الأقانيم(٢).

الإلزام الرابع: هذه الأقانيم إما أن تكون مباينة أو غير مباينة؟

إن كانت مباينة فهذا يعني أن الإله متركب ومتبعض وهم يقولون باستحالة ذلك، وبالتالي إبطال كونها أقانيم، وإبطال ما ادعوه من التوحيد، وإن قالوا أنها غير متباينة فلماذا اتحد بعضها دون البعض الآخر؟(٣)

الإلزام الخامس: يُقال لهم: لماذا قلتم أن الذي اتحد بالمسيح هو الابن ليس الآب ولا الروح؟ إن قالوا أن المسيح اتُخذ في الدنيا لأجل الموعظة، يُقال لهم: أن المسيح قد اتخذه الله لأمور أخرى منها: ليعبد الله تعالى، ليبرئ الأكمه والأبرص، ليحيي الموتى، وهذه أمور كلها تستلزم العلم والقدرة والإرادة، فلِمَ لا يقولون باتحادها جميعًا، وقولهم هذا قول باطل، فهذه أمور تدل على معجزات عيسى كنبي من أنبياء الله تعالى(٤).

الإلزام السادس: يقال لهم: الذي كان يفعل هذه الأمور الخارقة إما أن يكون هو عيسى أو غيره، فإن كان غيره فهو الله يفعلها لأجل تصديق عبده كما أيد موسى عليه السلام بالعصا لإثبات صدق نبوته، وإن كان عيسى يفعلها بنفسه فإما أن يفعلها بقدرة وعلم وإرادة أو بغيرها؟ محال أن يفعل هذه الأفعال بلا قدرة أو إرادة لاستحالة وقوع الفعل الاختياري بدونها، وفي هذا الإلزام أيضًا ألزمهم الإمام القرطبي بسؤال آخر: هذه الأفعال تنسب للمسيح ويكون متصفًا بها أم لا تنسب إليه ولا يكون متصفًا بها؟ فإن لم يكن متصفًا بها ولا منسوبة إليه فلا يصح أن تنسب كما ينسبها النصارى إليه، وبما أن النصارى نسبوا الفعل للمسيح فيلزم النصارى إن نسبوا هذه الأفعال إلى عيسى أن ينسبوا القدرة والإرادة أيضًا، فلا يجوز أن يوجد الفعل بدون هذه الصفات

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص١٣٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٣٩.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص١٣٩.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص ص١٣٩-١٤٠.

الثلاث، فإن قالوا القدرة والإرادة خاصة بالله تعالى قلنا والعلم كذلك، فهذه الثلاث إما أن تنسب لله أو تنسب للمسيح، ومن غير المعقول أن تنسب بعضا لله وبعضها لعيسى[١].

الإلزام السابع: ألزم الإمام القرطبي النصارى مرة أخرى فقال لهم: بعد اتحاد أقنوم العلم بعيسى أصبح عيسى عالمًا بعلم الله، فإذا كان الله يعلم أنه خالق المخلوقات فعلى عيسى أن يعلم ذلك أيضًا، وإذا علم الله أنه متصف بصفات الكمال فعلى عيسى أن يعلم ذلك، والإلزام الذي ألزمهم به الإمام القرطبي هو أنه إذا كان عيسى يتغوط ويبول ويصلب ويكلل بإكليل الشوك ويضرب ويهان هل كان الله عالمًا بذلك؟ فعلى هذا المذهب ينبغي أن يعلم الله عن نفسه ذلك، وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.[٢]

الإلزام الثامن: في هذه الإلزام بين الإمام القرطبي أن النصارى يعلِّلون كون المسيح يأكل ويشرب ويجوع ويعطش وينام ويتغوط بأن هذه الأفعال إنما تقع بناسوته، وأما أفعال الخلق والإحياء فإنما تقع بلاهوته، فألزمهم القول أن يقولوا: بأن جسد المسيح البائل المتغوط أنه إله أو أنه نصف إله؟

إن قالوا أنه إله كفى بهذا القول شناعة إله يُصلب ويضرب ويهان، وإن قالوا أنه يُفعَل ذلك بلاهوته، فيلزمهم أن يعبدوا نصف الإله، وعندما يدعوه فليقولوا يا نصف إلهنا، بل يقولوا يا ثلث إلهنا، لأنه واحد من ثالوث إلى غير ذلك من المحالات[٣].

الإلزام التاسع: في هذا الإلزام بين الإمام القرطبي أن النصارى متفقون على أن المسيح قد ضُرِبَ وأُهين على الصليب، فألزمهم بعد ذلك بقوله: هل كان الإله متحدًا مع المسيح في الوقت الذي كان يُضرَب ويُهَان أم غير متحد معه؟ إن قالوا أنه كان متحدًا معه في هذا الوقت فيلزمهم هذا بالقول أن اللاهوت قد ناله ما نال الناسوت، وهذا يُلزِمهم أن يعبدوا إلهًا ذليلًا مهانًا، وإن قالوا أنه فارقه في هذا الموضع فإنه يلزمهم أنه يجوز أن يفارقه في كل موضع، ويلزمهم أيضًا أن يعبدوا إلهًا جاهلًا فارقه العلم؟[٤].

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص١٤٠-١٤١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٤١.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص١٤٢.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص١٤٢.

٢) المنهج النقلي في نقد عقيدة الاتحاد:

ويمكن بيان فساد عقيدة الاتحاد من خلال المنهج النقلي، والذي يعتمد على بيان بطلان هذه العقيدة من خلال النص الديني النصراني، ثم تقرير العقيدة الصحيحة من خلال النص القرآني ونصوص السنة النبوية، وهو ما يمكن بيانه في نقطتين:

الأولى: النقد من خلال نصوص كتبهم

نقد الإمام القرطبي عقائد النصارى من خلال نصوص كتبهم، فكان يدينهم من أفواههم، وهو أسلوب قوي في دحض حجة الخصم وإبطالها، ومن ذلك:

- إبطاله أن المسيح اتُخذ للموعظة فقط:

فقد زعموا في علة الاتحاد أن أقنوم العلم اتحد بالمسيح لأجل الموعظة فقط، فهذا كلام يتنافى من نصوص الأناجيل التي تبين أن المسيح كان له قدرة وإرادة، مما يبطل دعواهم من خلال نصوصهم[١].

فالنصارى يقولون بأن المسيح اتُخذ للموعظة، ومن المعلوم أنه كان يُبرئ الأكمه والأبرص، ويحي الموتى، وهذه أمور لا تقع إلا بقدرة وإرادة، وبالتالي يترتب على قولهم هذا أن يقولوا باتحاد القدرة والإرادة كذلك وهم لا يقولون بها.

جاء في الأناجيل ما يثبت للمسيح قدرة وإرادة فيقول عيسى "قدرته قدرتي ومشيئته مشيئتي"[٢].

يلزم من قولهم هذا أيضًا أن يتحد كل من اتُخذ للموعظة من الأنبياء والدعاة بلحمة الابن، وهم لا يقولون بهذا، فيتبن بطلان أن المسيح اتُخذ للموعظة فقط، بل لديه القدرة والإرادة بنصوص أناجيلهم.

- عدم وجود دليل على اتحاد الكلمة الذي يدعونه من الأناجيل، فهو دليل نقلي تحداهم به من خلال أناجيلهم[٣]، فيقول: إن إفراد الكلمة بالاتحاد كونها الواعظة بالأمر والنهي كلام لم يقله الإنجيل ولم يدل عليه، وأن غاية ما جاء في الإنجيل من التحام الكلمة يمكن تأويله.

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٩٣.

(٢) النص في إنجيل يوحنا: "أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" إنجيل يوحنا: ٥/٣٠.

(٣) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٩٥.

- إبطال كون المعجزات التي ظهرت على يد المسيح ﷺ دليل على ألوهيته، بل هي دليل نبوته، فيقول الإمام القرطبي[1] :

القول بأن المسيح إله بسبب ما ظهر عليه من الآيات ليس صحيحًا، بل غايته أن يستدل بها على نبوته وأنها من المعجزات التي أيد الله بها المسيح لإثبات صدق رسالته.

فإذا قالوا: إن هذه الأفعال تدل على ألوهية عيسى فقد ثبت في الأناجيل أن عيسى كان يتضرع ويدعو الله تعالى ويصلي له ليقضي له حاجته ومن ذلك:

"فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ"[2].

فهذا تأكيد على بشرية المسيح عيسى ﷺ، فمشيئة الله تعالى نافذة، وقدرته كذلك، بخلاف مشيئة المسيح ﷺ التي تبقى مشيئة بشرية لا تنفَذ إلا بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير: ٢٩].

ويقال للنصارى: إن كَانَ إحْيَاء الْأَمْوَات يدل على الألوهية فإلياس وَالْيَسع: أحيا أموات[3]، فهل كَانَا إِلَهَيْنِ وَهل حل بناسوتهما اللاهوت؟

حزقيال: فر قومه وهم أُلُوف حذر الوباء فأماتهم الله ثمَّ جَاءَهُم نَبِيّهم فَقَالَ لَهُم: لتحيوا بِإِذن الله فَحَيوا وَرَجَعُوا إِلَى قَومهمْ سحنة الْمَوْت على وُجُوههم حَتَّى مَاتُوا بآجالهم، وَهَذَا مَعْرُوف عِنْدهم وَلَا مدفع فِيهِ[4].

زعموا أَن عِيسَى ﷺ أيد نَفرا من الحواريين بإحياء الْمَوْتَى وجعلهم رسلًا إِلَى الْأَجْنَاس فأحيوا الْمَوْتَى.

فإذا كان المسيح إلهًا لأنه أحيى الموتى فكل من اليسع والياس وحزقيال والحواريين آلهة لأنهم أحيوا الموتى، والنصارى لا يقولون بذلك فلم فرقتم بينهم ولم جعلتم المسيح إلها؟؟

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص١٣٤-١٣٦.

(٢) إنجيل متى: ٢٦/ ٤٢.

(٣) انظر: سفر الملوك الثاني: ٤/ ٣٢- ٣٥.

(٤) انظر: سفر حزقيال: ٣٧/ ١- ١٠.

• إبطال دليل النصارى على الاتحاد أن المسيح خُلِق بدون أب:

بين الإمام القرطبي أنه لا حجة له بذلك، فآدم قد خُلق بلا أب أو أم فأن يُجعل آدم إلهًا أولى من عيسى، فقد خُلِقَ من التراب ثم نُفِخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، فلو كان للبشر أن يقولوا أن هناك إلهًا من البشر لكان آدم أولى بذلك، فأوضار الرحم لم تشتمل عليه كما حدث مع عيسى عليه السلام ولم يتلطخ بدم الطمث، ولم يخرج من مجرى البول(١).

بعد هذه الاستدلالات التي استدل بها الإمام القرطبي لإثبات بشرية المسيح يُلاحظ أنه على علم بنصوص الكتاب المقدس بعهديه، فقد ذكر نماذج تؤكد أن من الأنبياء من أحيى موتى غير المسيح عليه السلام بنص كتبهم، وهو دليل لا يمكنهم إنكاره، بالإضافة لنقده وتفنيده لعقيدة الاتحاد التي يمجها العقل من خلال نصوص النصارى أنفسهم، بما لا يدع مجالًا لإنكارها.

الثانية: تقرير العقيدة الصحيحة

بعد إبطال عقيدة الاتحاد بنصوص الكتب المقدسة لدى النصارى، أعقب الإمام القرطبي ذلك ببيان العقيدة الصافية المشرقة، التي تشبع الفطرة، وتوافق العقل.

فبعد بيان فساد استدلال النصارى بشطر هذه الآية ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾ [النساء: ١٧١] لتوافق أهواءهم، أعقب ذلك بذكر الآية كاملة ليبين حقيقة اعتقاد المسلمين بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول: أنهم استدلوا بشطر هذه الآية ولم يأخذوها كاملة فالآية: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا**﴾ [النساء: ١٧١- ١٧٢].

فهذا موقف الإسلام من عقيدة الاتحاد، بل هو موقف عيسى عليه السلام الذي يتبرأ إلى الله من هذه الأقوال التي نسبها النصارى إليه، ومن جعله ولدًا لله، أو إلهًا من دون الله، وهذه هي العقيدة الإسلامية الواضحة، القائمة على التوحيد ونبذ كل شريك لله تعالى، فيقول الله تعالى حاكيًا عن المسيح عليه السلام: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا**

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص١٣٦.

قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧]

فبين رحمه الله أن العقيدة الإسلامية قائمة على التوحيد، وأن هذه العقائد النصرانية مما أُلصق بالسيد المسيح ﷺ، وأنها مخالفة للعقل والنقل، وتقرير العقيدة الصحيحة بعد إبطال العقيدة الفاسدة أسلوب مميز يلجأ إليه علماء الأديان وخاصة في الحوارات والمناظرات[١].

٣) منهجه النقدي التاريخي للتثليث:

يعد التاريخ السجل الكامل للحياة البشرية منذ بدايتها وحتى يومنا هذا، وقد بين الإمام ابن خلدون أن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، فهو في ظاهره لا يزيد على أخبار الأيام الأول، ولكن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوها، وجمعوها وسطروها في صفحات، ثم جاء بعد ذلك من خلطها بالدسائس والأخبار المكذوبة، لكن الناقد البصير هو الذي ينقد الأخبار إذا نقل، وقد بين أن هذا العلم جم الفائدة شريف الغاية، فهو يُوقفنا على أحوال الماضين سواء الأنبياء في سيرهم أم الملوك في دولهم، حتى تتم فائدة الاقتداء سواء كان ذلك في أمور الدين أم الدنيا[٢].

وقد اتخذ الإمام القرطبي من حوادث التاريخ سواءً السياسي أو الاجتماعي وسيلة لتفسير افتراق النصارى إلى فرق وطوائف، وسلَّط الضوء على كيفية نشوء عقيدة التثليث، والتي مصدرها الأيدي البشرية، وكذلك لفهم ما ضاع من التوراة وكيفية تحريفها عبر العصور، والظروف السياسية والدينية والاجتماعية التي مروا بها.

فهو ينقد العقيدة النصرانية، وكذلك ينقد المصدر، ويمكن بيان المنهج التاريخي للإمام القرطبي في النقاط التالية.

- تفسير افتراق النصارى من خلال السرد التاريخي:

---

(١) من أشهر هؤلاء العلماء: الإمام ابن حزم في كتابه: "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، الإمام ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، الإمام ابن القيم في كتابه: "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، ومن العلماء المعاصرين: الشيخ أحمد ديدات في مناظراته، وكذلك تلميذه الدكتور ذاكر نايك، وغيرهم.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ج١/٦، ١٣.

فيقول في افتراق النصارى: "وَمِمَّا يدل على أَنهم من كِتَابهمْ وشرعهم على غير علم مَا استفاض فِي كتب التواريخ عندنَا وَعِنْدهم وَذَلِكَ أَن عِيسَى عليه السلام لما بَعثه الله تَعَالَى دَعَا بني إِسْرَائِيل للْإِيمَان، فَأَجَابَهُ من شَاءَ الله مِنْهُم، فَلَمَّا رَفعه الله تَعَالَى استحلى النَّاس كَلَامه بعد ذَلِك حَتَّى بلغ عدد بني إِسْرَائِيل سبع مائَة رجل، فَكَانُوا يجاهدون فِي بني إِسْرَائِيل وَيدعونَ إِلَى الإيمان، فَقَامَ بولش الْيَهُودِيّ وَكَانَ هُوَ الْملك فِي بني إسرائيل فحشد عَلَيْهِم الأجناد وَخرج عَلَيْهِ وَقَاتلهمْ فَهَزَمَهُمْ وأخرجهم من بِلَاد الشَّام حَتَّى انْتهى فَلهم إِلَى الدروب فأعجزوه، فَقَالَ بولش الْملك لجنوده: إِن كَلَام هَؤُلَاءِ لمستحلى وَقد قدمُوا على عَدوكُمْ وسيرجعونهم فِي ملتهم فيكثرون علينا فيخرجون إِلَيْنَا ويخرجوننا من بِلَاد الشَّام وَلَكِنِّي أرى لكم رَأيًا، قَالُوا: وَمَا هُوَ قَالَ تعاهدوني على كل شَيْء كَانَ خيرًا أَو شرًا فَفَعَلُوا، فَترك ملكه ثمَّ لبس لباسهم وَخرج إِلَيْهِم ليضلهم حَتَّى ..... قَالَ هَل علمْتُم أَن أحدًا من الْإِنْس يُنبئ النَّاس بِمَا يَأْكُلُون وَمَا يدخرون فِي بُيُوتهم، قَالُوا: لَا، قَالَ: فَإِنِّي أزعم أَن الله تَعَالَى تجلى لنا ثمَّ احتجب، فَقَالَ بَعضهم صدقت، وَقَالَ بَعضهم لَا وَلكنه ثَلَاثَة وَالِد وَولد وروح الْقُدس، وَقَالَ بَعضهم الله وَولده، وَقَالَ بَعضهم هُوَ الله تجسم لنا، فافترقوا على أَربع فرق، فَأَما يَعْقُوب فَأخذ بقول بولش إِن الله هُوَ الْمَسِيح وَأَنه كَانَ ثمَّ تجسم وَبِه أخذت شيعته وهم اليعقوبية، وَأما نسطور فَقَالَ الْمَسِيح ابْن الله على جِهَة الرحمة وَبِه أخذت شيعته وهم النسطورية، إِلَّا أَن شيعته لم تعتقد أَنه سمى ابنًا على جِهَة الرَّحْمَة بل على مَا تقدم، وَأما ملكون فَقَالَ: إِن الله ثَلَاثَة وَبِه أخذت شيعته وهم الملكية الَّذين قَالُوا: إِن الله ثَلَاثَة أقانيم، فَقَامَ الْمُؤمن وَقَالَ لَهُم عَلَيْكُم لعنة الله وَالله مَا حاول هَذَا إِلَّا إفسادكم وَنحن أَصْحَاب الْمَسِيح قبله وَقد رَأينَا عِيسَى وَسَمعنَا مِنْهُ ونقلنا عَنهُ وَالله مَا حاول هَذَا إِلَّا ضلالتكم وفسادكم"(١).

فهو يستخدم أحداث التاريخ لبين حقيقة الديانة النصرانية منذ نشأتها وحتى تحريفها، فيؤكد الدور الكبير الذي قام به بولس اليهودي لحرف الديانة النصرانية عن مسارها الحقيقي وهو التوحيد، فهو ينقد الديانة من خلال التأكيد أن مصدرها بشري وأن بولس هو أول من أحدث فيها، وأحل الحرام وجعل كل شيء حلالًا، وهو من قال بألوهية المسيح وأن الأفعال التي ظهرت على يديه تؤكد ألوهيته، وبالتالي افتراق النصارى إلى فرق وطوائف مختلفة، اختلفت في حقيقة المسيح، فكان سبب افتراق النصارى هو تصديقهم لكلام بولس اليهودي الذي تلاعب بعقولهم، إلا جماعة قليلة من الموحدين تمت محاربتهم وقتالهم على أنهم هم المبتدعون.

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص ص٢٤١-٢٤٣.

- استخدام المنهج التاريخي لإثبات بشرية العقيدة النصرانية من خلال بيان دور بولس وقسطنطين:

بين الإمام القرطبي في النقطة السابقة دور بولس في حرف النصرانية القائمة على التوحيد عن مسارها، ثم يؤكد ما قام به الملك قسطنطين مكمِّلًا الدور الذي بدأه بولس، فقد حمل قسطنطين الناس على مذهب واحد كي لا يذهب ملكه وهو الذي دعا للمجمع الذي فيه تم بلورة مفهوم التثليث، فيقول: "كَانَ هَذَا وَالله أعلم بعد الْمَسِيح بِأَرْبَعِينَ سنة أَو نَحْوهَا، ثمَّ لم يزل أَمر الْمُؤمن وَأَصْحَابه خفِيًا وَغَيرهم من الْفرق مُخْتَلفُونَ ويتهارجون وَلم يسْتَقرّ لَهُم قدم إِلَى مُدَّة قسطنطين قَيْصر الْملك ابْن هيلانة، وَذَلِكَ بعد رفع الْمَسِيح بمائتين وَثَلَاثَة وَثَلَاثِينَ سنة، وَذَلِكَ أنه كثر عدوه وَكَاد ملكه يذهب باختلاف رعاياه عَلَيْهِ وضعفهم وكسلهم عَن نصرته، فرام حملهمْ على شَرِيعَة ينظم بهَا سلكهم، ويؤلف بهَا متفرقهم، فَاسْتَشَارَ من لَدَيْهِ من أهل النّظر، فَوَقع اختيارهم على أَن يتعبد الْقَوْم بِطَلَب دم ليكُون ذَلِك أقوى لارتباطهم مَعَه وأوكد لجدهم فِي نَصره، فوجدوا الْيَهُود يَزْعمُونَ أَن فِي بعض تواريخهم خَبرًا عَن رجل مِنْهُم هَمَّ أَن ينْسَخ حكم التَّوْرَاة وينفرد بالتأويل فِيهَا، فعمدوا إِلَيْهِ وَهُوَ فِي نفر مِمَّن اتبعهُ وظفروا بِوَاحِد مِنْهُم، وَشهد لديهم رجل وَاحِد أَنه ذَلِك الْمَطْلُوب فصلبوه وَمَا عِنْدهم تَحْقِيق لكَونه ذَلِك الْمَطْلُوب بِعَيْنِه إِلَّا فقدهم إِيَّاه من حِينَئِذٍ، فَعِنْدَ ذَلِك عمد قسطنطين إِلَى من ينْسب إِلَى دين الْمَسِيح فَوَجَدَهُمْ قد اخْتلفت آراؤهم ومزجت أديانهم، فاستخرج مَا بقى من رسم الشَّرِيعَة المنسوبة للمسيح، وَجمع عَلَيْهَا وزراءه، فَأثْبت مَا شَاءَ مِنْهَا وتحكم فِيهَا باختياره حسب مَا رَآهُ مُوَافقًا لَهُ بالصلوبية لتعبد قومه بِطَلَب دم، وَالْقَوْل بترك الْختان لِأَنَّهُ شَأْن قومه، ثمَّ أكد ذَلِك وشده بمنامة اختلقها وَادّعى أَنه أوحى إِلَيْهِ فِيهَا ..... وَفِي هَذَا كُله لَا يعلمُونَ لذَلِك الرَّسْم تَأْوِيلًا، وَلَا كَانَ قسطنطين كشف لَهُم شَيْئًا من أمره، فَخرج بهم إِلَى عدوه وَوعظ قومه وهول عَلَيْهِم أَمر الرَّسْم فَحصل لَهُ كل مَا أَرَادَهُ، من جد الْقَوْم واجتهادهم مَعَه فَلَمَّا عَادوا إِلَى أوطانهم بعد الظفر بعدوهم سَأَلُوهُ عَن تَأْوِيل ذَلِك الرَّسْم وألحوا عَلَيْهِ فِيهِ، فَقَالَ لَهُم: قد أوحى إِلَى فِي نومي أَنه كَأَن الله تبَارك وَتَعَالَى هَبَط من السَّمَاء إِلَى الأَرْض فصلبته الْيَهُود، فهالهم ذَلِك كثيرًا، مَعَ مَا حصل عِنْدهم من تَصْدِيقه، وَعظم عَلَيْهِم الْخطب فِيهِ، فانقادوا إِلَى قسطنطين انقيادًا حسنًا، وَصَحَّ لَهُ مِنْهُم مَا أَرَادَهُ، وَشرع لَهُم هَذِه الشَّرَائِع الَّتِي بِأَيْدِيهِم الْيَوْم أَو أَكْثَرهَا"(١).

فهذا النص يبين الدور الذي قام قسطنطين لحرف الديانة النصرانية، وأن الهدف من ادعائه النصرانية كان خوفًا من ذهاب ملكه، ومع ذلك هو لم يتبع النصرانية الحقيقية القائمة

(١) الإعلام، القرطبي، ص ص٢٤٤-٢٤٥.

على التوحيد بل النصرانية المحرفة التي عبث فيها بولس، بالإضافة إلى تغييره وتبديله لما تبقى من شرائع النصارى، وَوَضَع لهم شرائع جديدة هي أكثر ما بأيديهم اليوم.

ثم يُؤكد أن هذه الأخبار التاريخية لا يمكن للنصارى إنكارها، فيقول: "ولتعلم أَن هَذِه الْأَخْبَار الَّتِي ذَكرنَاهَا لَا يُمكنهُم إنْكَار جُمْلَتهَا وَإِن أَنْكَرُوا بعض تفاصيلها، لكَون هَذِه الْقَصَص مَعْرُوفَة على الْجُمْلَة عِنْدهم، فَإِنَّهُم لَا يقدرُونَ على جحد محاربة بولش الْيَهُودِيّ وإجلاؤهم من الشَّام وَدخُول بولش فِي دينهم، وَكَذَلِكَ ملك قسطنطين، مِمَّا لَا يُنكرُونَ إشهاره لكتبهم، ثمَّ لَو قَدرنَا أَن هَذِه الوقائع لم تعلم صِحَّتهَا وَلَا كذبهَا فشرعهم قَابل لأمثالها، فَإِن مُعظم معتمدهم فِي أُمُور دياناتهم إِنَّمَا هُوَ الْإِنْجِيل، وَنَقله غير متواتر لَا سِيمَا والأحداث عِنْدهم فِي أَكثر الأحيان بمنامات يدعونها يجعلونها أصولًا يعولون عَلَيْهَا، وبمحافل يَجْتَمعُونَ فِيهَا فيتحكمون بآرائهم وَلَا يستندون لشَيْء من كتبهمْ وَلَا لشَيْء من كَلَام أَنْبِيَائهمْ، وَإِن شِئْت أَن ترى هَذَا عيَانًا فَانْظُر كتب اجتماعاتهم ومحافلهم فَإِنَّهُم ينحشدون لمواضع مَخْصُوصَة فِي أحيان مَخْصُوصَة، ويخترعون فِيهَا أحكامًا وأمورًا لَا مُسْتَند لَهُم وَلَا أصل إِلَّا بِالتَّحْرِيمِ على المآكل والتحكم فِي الْعَامَّة بفارغ الْأَقَاوِيل، وسنبين ذَلِك إِذا ذكرنَا جملًا من أحكامهم، وَإِذا كَانَ هَذَا مبْنى شريعتهم فَكيف يوثق بِشَيْء من ترهاتهم، فَإِذا تقرر ذَلِك فلتعلم أَن اتخاذهم الْمَسِيح إِلَهًا إِنَّمَا سَببه مَا سبق ذكره، وَلَا يقدرُونَ على أَن ينسبوا شَيْئًا من ذَلِك إِلَى عِيسَى عليه السلام بل قد نقلوا عَنهُ فِي إنجيلهم مَا يدل دلَالَة قَاطِعَة من حَيْثُ اللَّفْظ على أَنه إِنَّمَا ادّعى النُّبُوَّة وَعَلَيْهَا اسْتدلَّ بمعجزاته وَفِي دَعْوَاهُ النُّبُوَّة كَذبته الْيَهُود"[(١)].

ورغم أن المنهج التاريخ تعرض لبعض التشويهات كما بين الإمام ابن خلدون فيما أسلفنا، إلا أنه يبقى محتفظًا بأهميته لما له من دور كبير في فهم الماضي والتعرف على أحداثه، كيفية نشوء بعض الظواهر، وكيفية تطورها، كما بين ذلك الإمام القرطبي فيما يتعلق بعقيدة التثليث.

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص ص١٤٦-١٤٧.

الفصل الثانـي

منـهج الإمام القُرْطُبي في إثبات نبوة محمَّد ﷺ وبيان محـاسن الإسلام

المبحث الأول:

منهج الإمام القرطبي في إثبات نبوة محمد ﷺ

كان لعلماء المسلمين مناهج متعددة في إثبات نبوة محمد ﷺ، فمنهم من استعمل المنهج النقلي معتمدًا على أدلة التوراة والإنجيل والفرقان، ومنهم من اعتمد المعجزة أو الدليل العقلي كدليل لإثبات النبوة ...الخ، وهذه الدلائل يستخدمها علماء المسلمون للرد على الجاحدين لنبوته ﷺ، ومعرفة هذه المناهج لها أهمية كبرى لطالب العلم الذي سيتعرف من خلالها على فقه الإمام وعقيدته وعلمه ومنهجه الذي تميز به، والإمام القرطبي رحمه الله كان له منهج مميز في إثباته النبوة فقد تعددت طرق إثبات النبوة لديه، فلم يعتمد على الكتاب الكريم فقط، بل أثبت النبوة من خلال غوصه وتبحره في التوراة والإنجيل ليستخرج البشارات التي طالما حاولوا إخفاءها، إضافة لاستدلاله بقرائن أحوال النبي ﷺ وأن هذه الصفات لا يمكن أن تكون لمدعي قط، وكذلك استدل بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم المعجزات التي لا يمكن لأحد إنكارها فقد بلغت مبلغ التواتر سواءً اللفظي أو المعنوي، وقد تنوع منهجه في إثبات النبوة، فتارة يستخدم التعدد النوعي لمضامين الأدلة، وأخرى يستعمل مقدمات منطقية ليصل إلى نتائج يقينية في إثبات النبوة، وتارة يستخدم منهج ضرب الأمثال للتوضيح وتقريب الصورة، إلى غير ذلك. وسنفصل المنهج العلمي الذي سلكه الإمام القرطبي في المطالب التالية.

المطلب الأول: التعدد النوعي لدلائل النبوة

من منهج الإمام القرطبي في إثبات النبوة أنه استعمل التعدد النوعي لمضامين الأدلة، والذي يقصد به: تنوع الأدلة التي استخدمها الإمام القرطبي ليثبت نبوة النبي ﷺ عند من ينكرها، فتارة يتحدث من كتب أهل الكتاب وعلى لسان أنبيائهم، وتارة يستدل بالكتاب العزيز سواء بما تضمنه من أخبار ماضية وغيبيات مستقبلة، أو بما جاء فيه من الحكمة والبلاغة والفصاحة والبيان، بحيث لم يستطع إنس ولا جانّ معارضته، وتارة يستدل بما ورد عن ألسنة الثقات العدول من وقوع المعجزات على يديه والتي تعد من الأدلة العظيمة على نبوته.

وتعد هذه الدلائل التي استدل بها الإمام القرطبي إرثًا فكريًا عظيمًا، يحتاج من طلبة العلم التنقيب عنه وسبر أغواره، فالأدلة التي استعملها الإمام القرطبي بوسعنا أن نقول أنها شاملة لغالب الموضوعات رغم اختصار الإمام القرطبي، بالإضافة لكون كتابه غير مشتهر كغيره من الكتب.

وقد تحدث الإمام القرطبي ﷺ عن الدلائل المتنوعة لإثبات نبوة ﷺ، وذكر العديد من البراهين القاطعة والمتنوعة والتي جعل أصولها أربعة، والتي تعد النموذج الأبرز لمنهجه في استخدام الدلائل المتنوعة لإثبات الموضوع الواحد، ممَّا يثري الموضوع أو القضية ويعضدها، ويخرجها بصورة قوية جلية وهي ما يمكن بيانه في النقاط التالية:

أولًا: أسباب تقديم الإمام القرطبي لبشارات الأنبياء السابقين بمحمد ﷺ

قدَّم الإمام القرطبي ذِكْر هذا النوع من الأدلة على التي تليها لعدة أسباب منها[١] :

١. التقدم في الزمان، فهذه الكتب تسبق الكتاب العزيز زمانًا، فهي قد نزلت قبله بزمن كبير فكان بدء نزول الوحي على موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، بينما تم كتابة هذا الوحي على يد عزرا في القرن الخامس قبل الميلاد وهي فترة طويلة جدًا لتتحول التوراة من الرواية الشفوية إلى الرواية المكتوبة[٢]، فالتوراة والإنجيل متقدم زمانًا عن نزول القرءان الكريم.

٢. انتشار هذه الأخبار والبشارات عند أهل الكتاب، وهذا معلوم في كتب السير والتاريخ، كما أسلفنا في قصة بحيرا الراهب، وورقة بن نوفل، والحبر ابن الهيبان[٣] وغيرهم كثير.

٣. كونه حجة على أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

٤. كونه من باب الإلزامات لأهل الكتاب لإلزامهم القول بنبوة محمد ﷺ.

ثانيًا: إخبار الأنبياء السابقين

بشَّر الأنبياء السابقين ببعثة النبي محمد ﷺ، وأنه سيكون النبي الخاتَم، وقد ذَكَر الله تعالى أنه أخذ ميثاق الأنبياء للإيمان بالنبي ﷺ فقال تعالى في محكم التنزيل: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** [آل عمران: ٨١]، فالرسول الجائي هو النبي محمد ﷺ كما قال علي وابن عباس

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٢٦٣.

(٢) انظر: دراسة القرءان الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، حسن، ج١/١٥.

(٣) ابن الهيبان: هو رجل من يهود الشام كان سببًا في إسلام أسيد وثعلبة ابنيْ سعية، وأسد بن عبيد، هاجر من أرض الشام إلى المدينة حينما علم أنه طل زمن ظهور النبي الخاتم، وقد حذر اليهود من عدم إتباع هذا النبي وبين أنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري، انظر: سيرة ابن إسحاق، ابن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، ص٨٥.

ﷺ[١]، وقد شملت كتب أهل الكتاب رغم تحريفها العديد من البشارات التي أراد الله تعالى أن تبقى رغم ما فعله الأحبار والرهبان من تحريف وتبديل لكلام الله تعالى، وقد ذَكَرَ الإمام القرطبي العديد من البشارات التي تُثبت نبوة محمد ﷺ من كتب أهل الكتاب ليقيم الحجة عليهم، من خلال كتبهم، والتي منها: "أَن الله قَالَ لمُوسَى بن عمرَان إِنِّي أقيم لبني إِسْرَائِيل من إِخْوَتهم نَبِي مثلك أجعَل كَلَامي على فِيهِ فَمن عَصَاهُ انتقمت مِنْهُ"[٢].

ومنها أيضًا: "أَن الله قَالَ لإِبْرَاهِيم قد استجبتك فِي إِسْمَاعِيل وباركته وكثرته وأنميته جدًا جدًا يُولد لَهُ اثْنَا عشر عَظِيما وأجعله لشعب عَظِيم وَلَا يشك فِي أَن الشّعب الْعَظِيم هُوَ مُحَمَّد عَلَيْهِ السَّلَام وَأمته إِذْ لم يكن فِي ولد إِسْمَاعِيل أعظم مِنْهُم"[٣]، بين الإمام القرطبي أن النص لا ينطبق بحال من الأحوال على أنبياء بني إسرائيل، وذلك أن أنبياء بني إسرائيل هم أبناء وليس إخوة كما تقول التوراة: "وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ"[٤] فبني إسماعيل هم إخوة بني إسحاق، وكذلك بين أن النَّبي المنتَظر لا يمكن أن يكون من الروم، وذلك أن الروم لم يكن منهم نبي سوى أيوب عليه السلام، والذي لا تنطبق البشارة عليه، وعند عرض البشارة يُلاحظ أنها تنصرف إلى النبي ﷺ[٥].

ومنها كذلك: "أَن الله تَعَالَى أظهر من صهيون أكليلًا[٦] مَحْمُودًا"[٧].

وكان يستنكر على أهل الكتاب الذين يحاول صرف هذه البشارات عن حقيقتها رغم وضوح أدلتها كما في قوله مخاطبًا مستنكرًا: "ففكر على إنصاف وَتثبت من الجائي الْمقبل من

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرءان، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم إطفيش، ج٤/١٢٥.

(٢) الإعلام، القرطبي، ص٢٦٣، والنص في التوراة: " أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ" سفر التثنية: ١٨/١٨

(٣) الإعلام، القرطبي، ص٢٦٥، والنص في التوراة: "وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً" سفر التكوين: ١٧/ ٢٠

(٤) سفر التكوين: ١٦/١٢

(٥) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٢٦٤

(٦) هكذا في الأصل، والصواب "إكليل" بكسر الهمزة، انظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي ابن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج٦/٦٥٩

(٧) الإعلام، القرطبي، ص٢٦٧، والنص في التوراة: "أَعْدَاءَهُ أُلْبِسُ خِزْيًا، وَعَلَيْهِ يُزْهِرُ إِكْلِيلُهُ" مزامير داود، ١٢٣: ١٨.

جبال فاران مَعَ الآلاف من الصَّالِحين وَمن جَاءَ بِالْكتاب الَّذِي مَا مِنْهُ سُورَة لَا وفيهَا الْوَعيد على الْمُخَالف بالنَّار وعذابها وأنكالها وأغلالها"[١]

ويُلاحظ أن الإمام القرطبي في استدلاله بدلائل النبوة المتنوعة قد نوَّع أيضًا في آيات الأنبياء السابقين، فقد ذَكَرَ آيات تدل إما على صفاته وأحواله، أو صفات أتباعه، أو تذكر مكان إقامته، أو فيه ذِكر لاسم النبي ﷺ، بالإضافة لتطرقه لحساب الجمل، الذي استخدمه اليهود لصرف هذه البشارات وهي طريقة خبيثة لإخفاء اسم النبي محمد ﷺ، كما بين ذلك بعض أحبار اليهود الذين هداهم الله إلى نور الإسلام[٢]، ومن هذه الدلائل:

١. صفاته وأحواله:

يقول الإمام القرطبي: "وَفِي الزبُور أَيْضًا ذكر صفة مُحَمَّد ﷺ، فَقَالَ: وَيجوز من الْبَحْر إِلَى الْبَحْر وَمن مُنْقَطع الْأَنْهَار إِلَى مُنْقَطع الْأَنْهَار، وَأَنه يخر أهل الجزائر بَين يَدَيْهِ على ركبهمْ ويلحس أعداؤه بِالتُّرَابِ، وتأتيه مُلُوك بالقرابين، وتسجد لَهُ وَتَدين لَهُ الْأُمَم بِالطَّاعَةِ والانقياد لِأَنَّهُ يخلص المضطهد البائس من الْأَقْوَى مِنْهُ، وينقذ الضَّعِيف الَّذِي لَا نَاصِر لَهُ، ويرأف بالضعفاء وَالْمَسَاكِين، وَأَنه يعْطى من ذهب بِلَاد سبأ وَيُصلي عَلَيْهِ فِي كل وَقت ويدوم أمره إِلَى آخر الدَّهْر، تَأمل أَوْصَاف النَّبِي ﷺ فَهِيَ على مَا ذكر مَا غادر مِنْهَا وَاحِدًا وَلم تَجْتَمِع هَذِه الصِّفَات والعلامات لأحد قبله على مَا هُوَ مَعْرُوف من أَحْوَال الْأَنْبِيَاء الْمُتَقَدِّمين عِنْد الْعلمَاء المنصفين غير الْجَاهِلين المتعصبين"[٣] فهذا النص يشمل العديد من الأوصاف المحمدية، والتي منها:

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٢٦٥، والنص في التوراة: "فقال جاء الرب من سيناء و اشرق لهم من سعير و تلالا من جبال فاران و اتى من ربوات القدس و عن يمينه نار شريعة لهم" سفر التثنية: ٣٣/ ٢، وقد ذكر الشيخ رحمت الله أنه في الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا: (وقال جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنة من نار)

(٢) من المهتدين من أهل الكتاب والذين لهم مصنفات في الرد على اليهود والنَّصارى وإثبات النبوة: علي بن ربن الطبري وكتابه الدين والدولة، عبد الله الترجمان وكتابه تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، المتطبب وكتابه النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، السموأل بن يحيى المغربي وكتابه إفحام اليهود، عبد الأوحد داود وكتابه محمد ﷺ في الكتاب المقدس، مجدي مرجان وكتابه محمد نبي الحق....الخ.

(٣) الإعلام، القرطبي، ٢٦٧، والنص في المزامير: "وَيَمْلِكُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ أَمَامَهُ تَجْثُو أَهْلُ الْبَرِّيَّةِ، وَأَعْدَاؤُهُ يَلْحَسُونَ التُّرَابَ، مُلُوكُ تَرْشِيشَ وَالْجَزَائِرِ يُرْسِلُونَ تَقْدِمَةً، مُلُوكُ شَبَا وَسَبَأٍ يُقَدِّمُونَ هَدِيَّةً، وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ، كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ، لأَنَّهُ يُنَجِّي الْفَقِيرَ الْمُسْتَغِيثَ، وَالْمِسْكِينَ إِذْ لاَ مُعِينَ لَهُ" المزامير: ٧٢/ ٨_ ١٣.

مساعدة المضطهد، الرأفة بالمساكين، وهذا ما ذكرته السيدة خديجة ﵂ عند بداية الوحي عندما رجع لها ﷺ قائلًا دثروني، فقالت ﵂ للنبي ﷺ: "كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ"(١)، ويُلاحظ أن النصارى تصرِف هذه النصوص عن حقيقتها، فقد بين الإمام القرطبي أن المراد بالبشارة بهذا النبي هو النبي محمد ﷺ، ولكن نلاحظ أن النصارى يصرفوا هذه البشارات وأمثالها إلى المسيح، فهم يرون أن الذي يملك من البحر إلى البحر هو المسيح فإن ملكه دائم، وسيمتد إلى جميع العالم، وأن الأمم التي جثت له كناية عن المجوس الذين سجدوا للمسيح وهم كناية عن كل الأمم، وكذلك أعداؤه الذين يلحسون التراب كناية عن العقوبة التي تنتظر المخالف للمسيح وهي عقوبة إبليس(٢)، هذا جزء من تحريفهم للآيات التي تشير إلى أوصاف النبي ﷺ.

وأما أحواله فكثيرة منها: "تقلد أَيهَا الْجَبَّار سَيْفك فَإِن ناموسك وشريعتك مقرونة بيمينك وسهامك مسنونة والأمم يخِرُّون تَحْتك"(٣) فهو حديث عن قوته وسيادته فهو النبي الذي قاتل بالسيف وخضعت له الأمم، وهو النبي محمد ﷺ، فالمسيح لم يقاتل بالسيف قط، لكن من الغريب أن نجد تفسير النصارى تفسيرًا مخالفًا للعقل والواقع، ومع ذلك فهو ليس أول هذيانهم، فهم قد تكلموا في المحالات وكابروا المعقولات، فيقول القس أنطونيوس فكري في شرحه لهذا المزمور: أن المراد بالسيف هو الصليب الذي حمله المسيح على ظهره، فتمسكه به أشبه بتمسك المقاتل بسيفه(٤)، وهذا كلام بعيد عن العقل فالنص يشير إلى نبي يقاتل بالسيف وتخضع له الأمم وهذا ما لم يحدث مع المسيح أبدًا، بالإضافة إلى كون هذا الجبار يتقلد السيف على فخذه بخلاف المسيح الذي تقلد الصليب على ظهره، مما يؤكد عدم انصراف البشارة إلى المسيح بأي حال من الأحوال.

٢. صفات أتباعه:

بين الإمام القرطبي أن التوراة والإنجيل لم يكتفيا بذكر أوصاف النبي ﷺ بل تعدى ذلك لذكر أوصاف أتباعه، فمن أوصاف أتباع هذا النبي التي ذكرتها التوراة: "ستمتلئ الْبَادِيَة

---

(١) [صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب بدء الوحي/ باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١/٧، رقم الحديث ٣]، جزء منه.

(٢) انظر: شرح الكتاب المقدس، القس أنطونيس فكري، تفسير سفر المزامير (موقع إلكتروني).

(٣) الإعلام، القرطبي، ص٢٦٧، والنص في المزامير: "تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ، وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ. ارْكَبْ مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالْبِرِّ، فَتُرِيَكَ يَمِينُكَ مَخَاوِفَ نَبْلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ"، المزامير: ٤٥/ ٣. ٥

(٤) انظر: شرح الكتاب المقدس، تفسير سفر المزامير، القس أنطونيوس فكري، (موقع إلكتروني).

والقصور الَّتِي سكنها قيدار يسبحون، وَمن رُؤُوس الْجبَال ينادون، هم الَّذين يجْعَلُونَ لله الْكَرَامَة ويبثون تسبيحه فِي الْبر وَالْبَحْر "[١].

ومنها كذلك: "سبحوا الرب تسبيحًا حَدِيثًا، سبحوا الَّذِي هيكله الصالحون، ليفرح إِسْرَائِيل بخالقه وَبَنُو صهيون من أجل أَن الله اصْطفى لَهُم أمة وَأَعْطَاهُمْ النَّصْر وسدد الصَّالِحين مِنْهُم بالكرامة، يسبحون الله على مضاجعهم، ويكبرونه بِأَصْوَات مُرْتَفعَة، بِأَيْدِيهِم سيوف ذَوَات شفرتين لينتقم الله بهم من الْأُمَم الَّذين لَا يعبدونه يوثقون مُلُوكهمْ بالقيود وأشرافهم بالأغلال"[٢].

فهذا مثال لكثرة تسبيحهم وتكبيرهم، وهو ما اشتُهرت به الأمة المحمدية دون غيرها من الأمم، وقد بيَّن الإمام ابن تيمية أن هذا دلالة على أمة النبي محمد ﷺ، فهم الذين اشتهروا بالتكبير والتهليل في صلواتهم وأعيادهم[٣]، ونذكر أن الله تعالى أشار إلى صفات أتباع النبي ﷺ في سورة الفتح فقال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح: ٢٩]، قال الإمام مالك: نزل نعت النبي ﷺ وأصحابه في التوراة[٤].

وفي الصحيح عن أبي موسى ﷺ : " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ: "**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا**"[٥]، وَفِي الصَّحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلاَثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: "لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٢٧٣، والنص في التوراة: "غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالْجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا، لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا، لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ" سفر أشعياء: ٤٢/١٠_١٢.

(٢) الإعلام، القرطبي، ص٢٦٦، والنص في التوراة: "لِيَبْتَهِجِ الأَتْقِيَاءُ بِمَجْدٍ لِيُرَنِّمُوا عَلَى مَضَاجِعِهِمْ تَنْوِيهَاتُ اللهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ" سفر المزامير: ١٤٩/ ٥_ ٧.

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، وآخرون، ٥/٢٢٦.

(٤) انظر: الدر المنثور، السيوطي، ج٧/ ٥٤١.

(٥) [صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: "وكان الله سميعًا بصيرًا"، ٩/١١٧: رقم الحديث ٧٣٨٦].

شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُون عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ"(١)، وكُتُب السنة مليئة بالأمثلة في ذلك.

٣. مكان إقامته:

تحدثت التوراة عن صفات المدينة التي يُولد فيها النبي ﷺ، والمدينة التي يُهاجِر إليها، تحدثت عن مكة ووصفتها وبيَّنت أن هذه المدينة لم يَظهر فيها أنبياء قبل النبي محمد ﷺ ومن هذه النصوص التي أوردها الإمام القرطبي في كتابه: "أَن الله سيتجلى من الْقبْلَة وَتظهر كلمة الْقُدس من جبال فاران ظهورًا أبديًا ويحمد الله على ذَلِك فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض وَكلمَة أَحْمد تملأ الأَرْض"(٢)، فاستعلانه من جبال فاران هو ظهور نبوة النبي ﷺ، وهذه المواضع هي التي أشار إليها الله ﷻ في سورة التين فقال تعالى: ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**﴾ [التين: ١-٣]، ففاران هي أحد جبال مكة كما جاء في سفر التكوين من أن إسماعيل عليه السلام قد سكن في برية فاران ومعلوم أن مكان سكنى إسماعيل عليه السلام (٣)،(٤).

وكذلك: "أَبْشِرِي واهتزي يَا أيتها العاقر الَّتِي لم تَلد وانطقي بالتسبيح وافرحي أَن لم تحبلي فَإِن أهلك سيكونون أَكثر من أَهلِي"(٥)، فالعاقر هي البلدة التي لم تنجب أنبياء وهي مكة، بخلاف بيت المقدس الذي كان فيه غالب الأنبياء.

٤. ذكر اسمه:

لقد ذُكر اسم النبي محمد ﷺ في الكتاب المقدس في أكثر من موضع، وهو ما أكده الإمام القرطبي لإثبات نبوته ﷺ وإلزام النصارى به، وقد بين الإمام القرطبي هذه الأدلة على النحو التالي:

---

(١) [صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب أبواب العمرة، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو، ٧/٣، رقم الحديث ١٧٩٧].

(٢) الإعلام، القرطبي، ص٢٧٦، النص في التوراة: "اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ سِلاَهْ جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ" سفر حبقوق: ٣/٣.

(٣) انظر: سفر التكوين: ٢١/٢١.

(٤) انظر: إظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، ج٤/١١٣٥.

(٥) الإعلام، القرطبي، ٢٧٨، النص في التوراة: "تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ، لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ" سفر أشعياء: ١/٥٤.

أ- دلالة لفظ "إكليلًا محمودًا" على النبي ﷺ:

ذَكَرَ الإمام القرطبي أنَّ لفظ "إكليلًا محمودًا" الوارد في التوراة إنما هو مثل ضُرب للدلالة على النبي محمد ﷺ، فيقول: "أَن الله تَعَالَى أظهر من صهيون أكليلًا مَحْمُودًا فالأكليل ضرب مثل لرياسته ومحمود هُوَ مُحَمَّد ﷺ وَقد بلغ دينه صهيون غَيره"(١)، يقول الإمام الماوردي معقبًا على هذه البشارة: إن المراد بالإكليل النبوة، وأما محمود فالمراد به النبي ﷺ(٢)، وأوضح الإمام أبو البقاء الهاشمي أنَّه ذُكِر كونه إكليلًا للدلالة على أنه يكون رئيس الأنبياء عليهم السلام، وأما ذِكر لفظ محمود فهو محمود وأحمد والمحمود(٣)، ويقول الدكتور محمد السحيم معلقًا على هذا النص: "ومعنى قوله إكليلاً محموداً: أي أنه رأس وإمام محمد محمود، ومعنى محمد ومحمود وحميد شيء واحد في اللغة، وإنما ضرب بالإكليل مثلاً للربانية والإمامية، وقد حرف هذا النص إلى: "من صهيون كمال الجمال الله أشرق، يأتي إلهنا ولا يصمت"(٤).

ب- دلالة لفظ "البارقليط" على النبي ﷺ:(٥)

ذَكَرَ الإمام القرطبي البشارة بالبارقليط، وبين أن المراد بها البشارة بقدوم النبي محمد ﷺ، فيقول الإمام القرطبي ناقلًا عن كتبهم: "... ليتم مَا كتب فِي كتبهمْ حَيْثُ قَالَ أَنهم كرهوني بِلَا

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٢٦٧.

(٢) انظر: أعلام النبوة، بالماوردي، ج١/١٥٧.

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، ج٢/٦٦١.

(٤) هل بشَّر العهد القديم بمحمد ﷺ، السحيم، ج١/١١.

(٥) النص الذي تضمن البشارة بالفارقليط: "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ" إنجيل يوحنا: ١٤/١٥_١٧، وتعد البشارة بالفارقليط من أكبر البشارات التي بشَّرت بقدوم النبي محمد ﷺ، وقد فصَّل العلماء القول فيها، ومن العلماء الذين تكلموا عن البشارة بالفارقليط: د. موريس بوكاي الذي أكد في كتابه أنَّ تطبيق هذه البشارة على الروح القدس أمر غير ممكن، بل هو كائن بشري مثل المسيح يتمتع بحاستي السمع والكلام، وأن الله سيرسله إلى الأرض ليؤدي رسالة الله تعالى، انظر: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، ١٣٠_١٣٤، وتكلم عن هذه البشارة بشكل موسَّع الشيخ رحمت الله الهندي، حيث بين أنَّ النصارى في القرون الأولى كانوا ينتظرون فارقليطًا، حتى أن منهم من ادعى ذلك، وقد ذكر الأدلة على أنَّ المراد به النبي محمد ﷺ، ثم أورد الشبهات التي ذكرها علماء البروتستانت وردَّ عليها، انظر: إظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي، ج٤/١١٨٦_١٢٠٣، وللتوسع في الموضوع راجع كتاب بشرية المسيح ونبوة محمد، ملكاوي، ص ص٢٣٨-٢٥٩.

ذَنْب، فَإِذا أقبل البرقليط الَّذِي أَبْعث إِلَيْكُم من عِنْد الآب الرّوح الصَّادِق المنبثق من الآب هُوَ يُؤَدِّي الشَّهَادَة عني، وَأَنْتُم تستشهدون لأنكم كُنْتُم معي من أول الْأَمر، وَإِنَّمَا أَقُول لكم هَذَا لِئَلَّا يواقعكم التشكيك، فالبرقليط بالرومية المنحمنا بالسُّرْيَانيَّة، وَهُوَ مُحَمَّد بِالْعَرَبِيَّةِ"(١) ويرى الإمام أبو البقاء الهاشمي أن لفظ البارقليط ينصرف إلى البشارة بالنبي ﷺ فلفظ البارقليط كما ذَكَر له عدة تفسيرات عند النصارى منها: الحماد، الحامد، المعزي، ولكن أكثرهم أن المراد به المخلص، ومع ذلك فتفسير المخلص يرجع إلى النبي ﷺ فهو مخلص الناس من الكفر والمعاصي ومنقذهم من الهلاك إلى التوحيد(٢)، ويؤكد الأستاذ إبراهيم خليل أن البراقليط يرجع معناها في اللغة اليونانية إلى خمسة معانٍ وهي: المعزي/ المحامي/ الشفيع/ المحمد/ المحمود(٣).

ت- التصريح باسم أحمد في الكتاب المقدس:

ذكر الإمام القرطبي عدة نصوص من بشارات الكتاب المقدس تؤكد أن اسم أحمد قد صرحت به هذه البشارات، كما قال تعالى: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [الصف:٦]، فيقول الإمام القرطبي: "قَالَ جَاءَ الله من التَّيَمُّن والقدوس من جبل فاران وامتلأت الأَرْض من تحميد أَحْمد وتقديسه وملأ الأَرْض بهيبته"(٤).

"لتفرح أَرض الْبَادِيَة العطشى ولتبتهج البراري والفلوات لِأَنَّهَا ستعطى بِأَحْمَد محَاسِن لبنان كَمثل حسن الدساكير والرياض هَذَا ينص على اسْمه وَوَصفه وبلده بِحَيْثُ لَا يُنكره إِلَّا وقاح مجاهر بِالْبَاطِلِ الصراح"(٥).

فهذه نصوص واضحة وصريحة، قد صُرِّح بها بذكر اسم "أحمد" والذي يُراد به النبي ﷺ، ومع ذلك فأهل الكتاب يجحدون هذه البشارات، بالإضافة لكونهم قد حرَّفوا أغلب هذه البشارت لئلا تنصرف إلى النبي محمد ﷺ.

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٢٦٩.

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، ج٢/٧٠٢.

(٣) انظر: بشارة أحمد في الإنجيل، الريس، ج١/٣٢.

(٤) الإعلام، القرطبي، ص٢٧٤، وانظر: سفر التثنية: الإصحاح ٣٣/٢.

(٥) المرجع السابق، ص٢٧٥، وانظر: سفر أشعياء: الإصحاح ٣٥/ ١_١٠.

ثالثًا: النظر في أحوال النبي ﷺ:

فقد استدل الإمام القرطبي على نبوة النبي محمد ﷺ بما جاء من أحواله، التي ظهرت قبل حمل أمِّه به، وأثناء الحمل، وأثناء الولادة، بالإضافة لما حدث في شبابه وغيرها، وفي هذا النوع أيضًا قد تنوعت مضامين الأدلة، فأحوال النبي ﷺ متعددة ومتنوعة والأدلة التي استخدمها الإمام القرطبي في هذا النوع متنوعة أيضًا، وبيانها في النقاط التالية:

١. إرهاصات قبل الولادة[(١)]:

ذكر الإمام القرطبي نماذج متنوعة للإرهاصات التي حثت قبل ولادة النبي ﷺ، فقد تعددت وتنوعت هذه الإرهاصات ومنها: قصة حمله وولادته، ورؤيا والدته، حيث رأت نورًا يخرج منها يضيء قصور بصرى من أرض الشام، وأنه وُلد مختونًا، وأن والدته لم تجد من تجده الحوامل من آلام الولادة، وكذلك رؤيا جده عبد المطلب حيث رأى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض، وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة، على كل ورقة منها نور وَإِذا أهل الْمشرق وَالْمغْرب كَأَنَّهُمْ يعتلقون بهَا فَقَصَّهَا فعبرت لَهُ بمولود يكون من صلبه يتبعهُ أهل الْمشرق وَالْمغْرب وَيَحْمَدهُ أهل السَّمَاء وَأهل الأَرْض فَلذَلِك سَمَّاهُ مُحَمَّدًا.

وكذلك: ما رواه حسان بن ثابت رضي الله عنه من صراخ اليهود عند ولادة النبي ﷺ.

٢. إرهاصات الطفولة[(٢)]:

وأبرزها ما روته مرضعته حليمة من البركة والخير الذي حل بها وبأهلها وديارها، حتى قال لها زوجها: "**والله يا حليمة ما أراكِ إلا قد أصبتِ نسمة مباركة**"[(٣)].

وأيضًا حادثة شق الصدر[(٤)] التي تعرض لها النبي ﷺ وكانت سببًا في نزع حظ الشيطان منه حتى نشأ نشأة طاهرة عفيفة.

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص٢٨١-٢٨٢ ، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، ج١/١٥٨-١٥٩.

(٢) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص٢٨٢- ٢٨٨، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج١/ ١٦٢-١٧٩.

(٣) [صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، كتاب التاريخ/ باب من صفته ﷺ وأخباره، ١٤/٢٤٣: رقم الحديث ٦٣٣٥]، جزء من الحديث، حكم الإمام الألباني بضعفه.

(٤) انظر: [صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب الإيمان/ باب الإسراء إلى رسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، ج١/١٤٧: رقم الحديث ١٦٢].

وكذلك شبابه حيث كانت ترعاه عين الله وتحفظه فلم يقع في الرذائل والأقذار كما كان شباب الجاهلية[١].

وكذلك المكانة التي حظي بها عند جده عبد المطلب حيث كان يسمح له دون غيره بالجلوس على فراشه وكان يقول: "دعوا ابني فو الله إن له لشأنًا"[٢]، فهذه كلها قرائن أحوال له ﷺ تؤكد نبوته وعناية الله له مذ كان صغيرًا.

٣. شهادة الأحبار والرهبان المعاصرين له بالنبوة:

فالنبي ﷺ قد عرفه الأحبار والرهبان من صفاته المذكورة عندهم في التوراة والإنجيل فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وقد قال ربنا ﷻ في ذلك: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقد قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ فَكَيْفَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: يَا عُمَرُ لَقَدْ عَرَفْتُهُ حِينَ رأيته كما أعرف ابْنِي، وَمَعْرِفَتِي بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَشَدُّ مِنْ مَعْرِفَتِي بابني، فقال عمر: وكيف ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ نَعَتَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِنَا، وَلَا أَدْرِي مَا تَصْنَعُ النِّسَاءُ، فَقَالَ عُمَرُ: وَفَّقَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ سَلَامٍ فَقَدْ صَدَقْتَ[٣].

وسنذكر بعض البشارات التي بشَّر فيها أهل الكتاب بالنبيﷺ كخبر الراهب بحيرا، وورقة ابن نوفل، وما قاله ابن الهيبان الحبر اليهودي ...الخ.

أ- شهادة الراهب بحيرا: وهو راهب نصراني كان له علم بالنصرانية، عندما مر به ركب من تجار قريش وكان فيهم النبي ﷺ فنزل إليهم الراهب وصنع لهم طعامًا ولم يكن يفعل ذلك مسبقًا، ثم سأل النبي ﷺ عدة أسئلة تأكد فيها من نبوته، ورأى كذلك خاتم النبوة، ثم توجه إلى عمه أبو طالب قائلًا: مَا هَذَا الْغُلَام مِنْك قَالَ ابْنِي قَالَ مَا هُوَ بابنك وَمَا يَنْبَغِي لهَذَا الْغُلَام أَن يكون أَبوهُ حَيا قَالَ فَإِنَّهُ ابْن أخي قَالَ مَا فعل أَبوهُ قَالَ مَاتَ وَأمه حُبْلَى بِهِ قَالَ

---

(١) انظر: [المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، كتاب التوبة والإنابة، ٢٧٣/٤: رقم الحديث ٧٦١٩]، قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي في حكمه.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ج١/١٦٨.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرءان، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج١/١٨٠.

صدقت فَارْجِع بِابْن أَخِيك إِلَى بَلَده وَاحْذَرْ عَلَيْهِ يهود فوَ اللَّه لَئِن رَأَوْهُ وَعرفُوا مِنْهُ مَا عرفت ليبلغنه شرا فَإِنَّهُ كَائِن لِابْنِ أَخِيك هَذَا شَأْن عَظِيم فأسرع بِهِ إِلَى بِلَاده[1].

ب- شهادة الراهب نسطور: وهذا الراهب قد شهد له أثناء خروج النبي ﷺ للتجارة بمال خديجة ﵂ مع غلامها ميسرة، وذلك حينما سأل ميسرة عن الشخص الذي جلس تحت الشجرة وكان حينها النبي ﷺ فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي[2].

ت- ورقة ابن نوفل: وهذه البشارة من ورقة للنبي ﷺ كانت قبل نزول الوحي عليه، بل كانت عند رجوعه ﷺ من التجارة بمال خديجة ﵂ وإخبار غلامه ميسرة عما قاله الراهب في الطريق، ليؤكد ورقة ابن نوفل إن كان ما حدث حقًا فإن محمدًا نبي هذه الأمة[3].

ث- ابن الهيبان: وهو حبر يهودي قدم إلى المدينة لعلمه بقرب ظهور النبي ﷺ، وقد ذكر أوصافه لليهود وحذرهم من مخالفته، وبين لهم أنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري، وقد تبين اليهود ذلك عند حصار بني قريظة، فقالوا أن هذا النبي هو الذي أخبر عنه ابن الهيبان حتى آمن منهم نفر[4].

ج- راهب عمورية: وهو الراهب الذي أقام عنده سلمان الفارسي ﵁ ليتعلم دين النصارى، فلما حضرت الوفاة هذا الراهب طلب منه سلمان ﵁ أن يوصيه لأحد بعده، فأخبره بأنه أطل زمن خروج النبي الخاتم، وقد أخبره بأوصاف هذا النبي ومكان خروجه، حتى قدم سلمان ﵁ المدينة فوجد العلامات كما رُسمت له، وآمن بالنبي ﷺ واتبعه حتى مات ﵁[5] .

---

(١) انظر: [سنن الترمذي، الترمذي، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ، ٥/٥٩٠، رقم الحديث ٣٦٢٠]، حكم الألباني صحيح لكن ذكر فيه بلال منكر.

(٢) انظر: دلائل النبوة، الإمام البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ج٢/٦٦، وانظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج١/١٠٤، وقد ذكر الإمام الأصبهاني اسم الراهب "نسطور"، انظر: دلائل النبوة، الأصبهاني، أبو القاسم، تحقيق: محمد محمد الحداد، ج١/٢٣٢.

(٣) انظر: دلائل النبوة، الإمام البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ج٢/١٢٧.

(٤) انظر: [السنن الكبرى، البيهقي، ج٩/١٩٢: رقم الحديث ١٨٢٦٣].

(٥) انظر: [المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ٣/٦٩٧: رقم الحديث ٦٥٤٤]، صحيح الإسناد، وقد علق الإمام الذهبي أنَّ هناك راوٍ ساقط وهو عبد القدوس.

٤. ما خُص به النبي ﷺ من صفات الكمال والفضائل[١]:

يؤكد الإمام القرطبي أن النبي ﷺ خُص بالعديد من صفات الكمال الظاهرة والباطنة، والتي تبين وتؤكد نبوته، وقد تنوعت وتعددت هذه الصفات والفضائل التي ذكرها، وقد حصرها في أربعة أنواع، وهي:

أ- كمال ظاهر ضروري، ككمال الخلقة وجمال الصورة، فقد كان أزهر اللون، أدعج العينين، أزج، أقنى، واسع الجبين، ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ....الخ

نسبه، وأما نسب الحبيب فقد كان ذو نسب شريف، كيف لا وجده الأعلى إبراهيم عليه السلام، وجده الأقرب عبد المطلب، فهو المصطفى من ولد آدم عليه السلام كما قال في الحديث الشريف: "**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**"[٢].

ب- كمال ظاهر مكتسب، كفصاحة اللسان، فقد أوتي جوامع الكلم، وبدائع الحكم وكان يكلم كل قوم بلغتهم، حتى قيل ما رأينا أفصح منه.

قوة العقل: وقد ظهر ذلك في حسن سياسته وأمور رياسته، حتى جعل أهل العلم كلامه أصلًا يُرجع إليه، ويعول عليه.

ت- كمال باطن ضروري، كصبره وحلمه: وقد تواترت الأخبار في صبر الحبيب ﷺ ومن ذلك: صبره على الأعرابي الذي جذبه من ردائه جذبًا شديدًا[٣]، وصبره على ذلك الأعرابي الذي قال له: اعدل يا محمد[٤]، فهو أصبر الناس وأحلمهم لاسيما عند المقدرة.

ث- كمال باطن مكتسب، كتواضعه: فكان النبيﷺ أشد الناس تواضعًا، وأبعدهم عن الكبر ولذلك مظاهر عديدة في حياة النبيﷺ منها:

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص٢٩١-٣١٤.

(٢) [صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب الفضائل/ باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ١٧٨٢/٤: رقم الحديث ٢٢٧٦].

(٣) انظر: [صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب الخمس/ باب ما كان النبيﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم من الخمس، ٩٤/٤: رقم الحديث ٣١٤٩].

(٤) انظر: [مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ٢٣/ ١٢٣: رقم الحديث ١٤٨٢٠] حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل معاذ بن رفاعة.

- أنه كان ينهى عن القيام له كما تفعل الأعاجم(١).
- أنه كان يركب الحمار ويردف خلفه(٢).
- أنه كان يعود المساكين ويجالس الفقراء(٣).
- وكذلك نهى أصحابه ﷺ عن تعظيمه لدرجة التقديس(٤).

هذه بعض الصفات التي ذكرها الإمام القرطبي وقد توسع في الصفات ومع ذلك فهو يرى أنه قد اختصرها، فهي أكثر من ذلك، فمن الصفات التي ذكرها أيضًا نذكر منها مجملًا: عدله، ووفاؤه بالعهد، وحسن سمته، وكثرة حياؤه، ومروءته، وشجاعته، وخوفه من الله تعالى، واجتهاده بالعبادة.

فمن صفات الكمال التي تميز بها النبي ﷺ: الأمور المصلحية والقوانين الشرعية التي جاء بها النبي ﷺ والتي لا يمكن أن تكون من تلقاء نفسه سواء كانت أمورًا تعبدية أو أمورًا مصلحية.

وقد جعل الإمام القرطبي أصول الشريعة ترجع إلى خمس أصول وهي: الدماء، الأموال، الأنساب، الأديان، العقول.

فالإسلام قد حافظ على هذه الأصول الشرعية ومنع كل ما يؤدي إلى تعطيلها، يقول الإمام الغزالي: "وَمَقْصُودُ الشَّرْعِ مِنْ الْخَلْقِ خَمْسَةٌ: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَنَفْسَهُمْ وَعَقْلَهُمْ وَنَسْلَهُمْ وَمَالَهُمْ، فَكُلُّ مَا يَتَضَمَّنُ حِفْظَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ فَهُوَ مَصْلَحَةٌ، وَكُلُّ مَا يُفَوِّتُ هَذِهِ الْأُصُولَ فَهُوَ مَفْسَدَةٌ وَدَفْعُهَا مَصْلَحَةٌ"(٥).

ومن الملاحظ في الصفات السابقة أنَّ بعضها يتداخل مع بعض، فقد تكون الصفة كمال باطن وكمال ظاهر بنفس الوقت.

---

(١) انظر: [سنن أبو داود، الإمام أبي داود، كتاب أبواب النوم/ باب في قيام الرجل للرجل، ٣٥٨/٤، رقم الحديث ٥٢٣٠]، حكم الألباني ضعيف.

(٢) انظر: [المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، كتاب الأطعمة، ١٣٢/٤: رقم الحديث ٧١٢٨]، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعلق الإمام الذهبي أن فيه مسلم ترك.

(٣) انظر: [مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد، ٣٢٧/٣٥: رقم الحديث ٢١٤١٥]، حديث حسن.

(٤) انظر: [صحيح البخاري، الإمام البخاري، ١٦٧/٤: رقم الحديث ٣٤٤٥]

(٥) المستصفى، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ج١/١٧٤.

رابعًا: دلالة معجزة القرءان الكريم على نبوته ﷺ

والذي هو أعظم المعجزات وأشهرها، فهو المعجزة الخالدة الباقية إلى يوم الدين، وقد نَزَلَ هذا القرءان على أمة خُصَّت بالبلاغة والفصاحة والبيان، وأُوتيت ما لم تؤت أمة من الأمم من فصاحة اللسان وجزالة الألفاظ، وبالرغم من ذلك لم يستطع أحد معارضته.

وقد بين الإمام القرطبي أن الله تعالى قد تحداهم فعجزوا وكان هذا التحدي على أربع مراحل(١):

١. أن يأتوا بقرءان مثله

٢. أن يأتوا بعشر سور مثله

٣. أن يأتوا بسورة مثله

٤. أن يأتوا بسورة من مثله

وبالرغم من ذلك عجزوا جميعهم عن الإتيان بمثل هذا القرءان، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء: ٨٨].

وبعجزهم عن الإتيان بمثل هذا القرءان أو بمثل بعض آياته يتبين إعجازه، وأنه ليس من جنس كلام البشر بل هو خارج عن مقدورهم، وقد بين الإمام القرطبي أن الله صرفهم عن الإتيان بمثله(٢)، وأخبر الإمام القرطبي أن وجوه إعجاز القرءان كثيرة ومتنوعة ولكنه اقتصر على أربعة منها وهي(٣):

١. أن لسان العرب مباين للسان غيرهم ومتميز عنه بعدة أمور:

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ج٣٢٤.

(٢) يرى بعض العلماء من المتكلمين أن وجه إعجاز القرءان الكريم هو الصرفة، ويُقصد بها صرف الهمم عن معارضة القرءان الكريم، ولكن النظام يرى أن الصرفة هي: صرف الله تعالى العرب عن معارضة القرءان مع قدرتهم عليه، وقد رد عليه تلميذه الجاحظ في كتابه "نظم القرءان" كما أشار إلى ذلك الإمام الرماني وبين الجاحظ أن أساس نظرية الإعجاز بلاغته ثم تأتي الصرفة في المرتبة الثانية ولكنها مه ذلك تختلف عن مفهوم الصرفة الذي ذكره أستاذه النظام، ومن العلماء القائلين بالصرفة الإمام الرماني، انظر: إعجاز القرءان، الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، ج١/٨، وانظر: إعجاز القرءان والبلاغة النبوية، الرفاعي، ج١/١٠١، وانظر: إعجاز القرءان بين المعتزلة والأشاعرة، سلطان، ج١/ ٥٤، وانظر: إعجاز القرءان الكريم، عباس، وعباس، ص ص٤٠-٤٣.

(٣) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص ٣٢٩-٣٤٣.

أ- خفة اللفظ على اللسان.

ب- سهولة المخارج.

ت- إمكانية التعبير عن المعنى المكنون في النفس بأبلغ عبارة.

وكذا تميز لسان النبي ﷺ عن لسان غيره، وتميز القرءان عن غيره من كلام العرب، وقد ذكر لذلك عدة أمثلة منها:

قوله: "وَكَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل:٩٠]، وَلما سمع الْمُغيرَة هَذِه الْآيَة وَكَانَ من أعدائه الَّذين يُرِيدُونَ إطفاء نوره وإذهاب بهائه قَالَ: وَالله إِن لَهُ لحلاوة وَإِن عَلَيْهِ لطلاوة وَإِن أَسْفَله لمغدق وَإِن أَعْلَاهُ لمثمر مُورق، وَمَا يَقُول هَذَا بشر وَهَذِه الْآيَة قد تَضَمَّنت بِحكم عمومها وَصِحَّة مفهومها مَعَاني كتب الْمُتَقَدِّمين وَشَرَائِع الماضين وتذكره الْحَاضِرين وتخويف الْمُقَصِّرِينَ وترغيب الْمُجْتَهدين مَعَ مَا هِيَ عَلَيْهِ من قلَّة الْكَلِمَات وَمَعَ عذوبة المساق والجزالات"(١).

٢. نظمه العجيب وأسلوبه الغريب الذي خالف جميع أساليب العرب، فهو ليس بالشعر فيكون موزونًا، ولا بالنثر فيكون منثورًا، ولا بالسحر ولا بالكهانة ولا بشيء مما هو كلام البشر، ولم يقل واحد من العرب أنه يستطيع أن يأتي ببعض آياته، وقد ذكر الإمام القرطبي عدة أمثلة تبين مدى الفصاحة والبلاغة التي تميزت بها آيات الكتاب الحكيم، منها: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**...﴾ [مريم ١٦-٣٦] ففي هذا المثال يبين الإمام القرطبي مدى الفصاحة والبيان وجزالة الألفاظ إضافة للتنقل من نمط إلى نمط واستعمال فواصل تشبه القوافي، ليست بالشعر وفواصل ليست مقفية في السورة الواحدة، ومما استدل به الإمام القرطبي قول الوليد بن المغيرة: "وَالله إِن لقَوْله لحلاوة وَإِن أَصله لعذق وَإِن فَرعه لمثمر وَإِن أقرب القَوْل فِيهِ أَن تَقولُوا إِنَّه سَاحر جَاءَ بقول هُوَ سحر يفرق بِهِ بَين الْمَرْء وابنه وَبَين الْمَرْء وأخيه يعْنى أَن هَذَا تقبله الْعَرَب" وكلامهم ليس هو الدليل على إعجاز نظمه، بل هو من باب الاستئناس وتأكيد عجزهم عن الإتيان ببعض هذا القرءان.

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٣٣٠، وانظر: [شعب الإيمان، البيهقي، باب الإيمان برسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، ١/١٥٦/ رقم الحديث ١٣٤]

٣. الإخبار بالمغيبات المستقبلية، فالقرءان الكريم تضمن الإخبار بالمغيبات المستقبلية، والتي لا يمكن تنبؤ العقل البشري بها، وإنما علمًا لا يكون إلا عن طريق الوحي السماوي، وقد ضرب الإمام القرطبي العديد من الامثلة في ذلك والتي منها: ﴿**الم *غُلِبَتِ الرُّومُ**﴾ [الروم:١-٢] فهي من الإعجاز الغيبي الذي يخبر بهزيمة فارس على أيدي الروم في عدد يسير من السنوات ما بين الثلاث إلى التسع(١).

٤. الإخبار بالأخبار الماضية والقصص الغابرة، فقد تضمن هذا النوع من الإعجاز الإخبار بقصص وأحداث الأمم الماضية في الزمان الغابر، ومعلوم أن النبي ﷺ لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم على يد بشر، فكان أهل الكتاب والمشركون يلقون أسئلتهم في حجر النبي ﷺ وكان يجيبهم بخبر وحي السماء، كما حدث مع النبي ﷺ عندما جاءه بعض أحبار اليهود يسألونه عن أربع مسائل: "**فَقَالُوا يَا مُحَمَّد أخبرنَا عَن أَربع نَسْأَلك عَنْهُن فَإِن فعلت اتَّبَعْنَاك وَصَدَّقنَاك وآمنا بك فَقَالَ لَهُم رَسُول الله ﷺ عَلَيْكُم بذلك عهد الله وميثاقه لَئِن أَخْبَرتكُم لتصدقنني: قَالُوا: نعم، قَالَ: فاسألوا عَمَّا بدا لكم، قَالُوا: أخبرنَا كَيفَ يشبه الْوَلَد أمه وَإِنَّمَا النُّطْفَة من الرجل؟ فَقَالَ لَهُم: أنْشدكُمْ الله وبأيامه عِنْد بني إِسْرَائِيل هَل تعلمُونَ نُطْفَة الرجل بَيْضَاء غَلِيظَة ونطفة الْمَرْأَة صفراء رقيقَة فأيتهما غلبت كَانَ لَهَا الشّبَه؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نعم، قَالُوا: فَأَخْبرنَا عَن نومك كَيفَ هُوَ؟ قَالَ: أنْشدكُمْ بِاللَّه وبأيامه هَل تعلمُونَ أَن نوم الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنِّي لست بِهِ تنام عينه وَقَلبه يقظان؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نعم، قَالَ: وَكَذَلِكَ نومي تنام عَيْني وقلبي يقظان، قَالُوا: فَأَخْبرنَا عَمَّا حرم إِسْرَائِيل على نَفسه، قَالَ: أنْشدكُمْ بِاللَّه وبأيامه عِنْد بني إِسْرَائِيل هَل تعلمُونَ أَنه كَانَ أحب الطَّعَام وَالشرَاب إِلَيْهِ ألبان الْإِبِل وَأَنه اشْتَكَى شكوى فعافاه الله مِنْهَا فَحرم على نَفسه أحب الطَّعَام وَالشرَاب إِلَيْهِ شكرا لله فَحرم على نَفسه لُحُوم الْإِبِل وَأَلْبَانهَا؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نعم، قَالُوا: أخبرنَا عَن الرّوح، قَالَ: أنْشدكُمْ بِاللَّه وبأيامه عِنْد بني إِسْرَائِيل هَل تعلمونه جِبْرِيل وَهُوَ الَّذِي يأتيني قَالُوا: اللَّهُمَّ نعم وَلكنه يَا مُحَمَّد لنا عَدو هُوَ ملك إِنَّمَا يَأْتِي بالشدة وَسَفك الدِّمَاء وَلَوْلَا ذَلِك لاتبعناك فَأنْزل الله**

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ج١٩/٦٣.

تَعَالَى على نبيه ﷺ ﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة: ٩٧]"[١].

وكذلك إخباره عن فتية الزمن الغابر وهم أهل الكهف[٢]، وعن حد الرجم عند اليهود[٣]، وتعد هذه الإخبارات من الأمور الخارقة للعادة فهي قرنت بالتحدي للنبي ﷺ، وعجزت الخلائق عن معارضته، فهو وجه من وجوه إعجاز الكتاب الكريم.

فهذه أربعة وجوه بين فيها الإمام القرطبي أن الإعجاز غير مقتصر على بلاغة القرءان الكريم وإن كان الأعظم إلا أن هناك وجوهًا أخرى للإعجاز، وهذا من تنوع الدلائل على إعجاز القرءان الكريم والذي يعد دليلًا على صدق النبي ﷺ.

خامسًا: دلالة المعجزات الحسية والكرامات على نبوته ﷺ

فالنبي ﷺ أوتي الكثير من الآيات الحسية فكل من جاء بآية من الأنبياء جاء بها النبي ﷺ أو بما يشبهها، وقد ذكر الإمام القرطبي ثلاثة عشر فصلًا، والتي منها: انشقاق القمر، إحياء الموتى، إبراء المرضى، ظهور الكرامات على يد الصالحين.

ويلاحظ أن الإمام القرطبي قد نوَّع في ذِكر أنواع المعجزات التي وقعت للنبيﷺ، فتارة يستدل بالمعجزات وأخرى يستدل الكرامات التي وقعت للصالحين من أتباع محمد ﷺ والتي منها نصرهم على أعدائهم وهم أقلة وأعداؤهم أضعاف مضاعفة، وحديث العلاء بن الحضرمي الذي دعا فمشوا على البحر بدعوته، وحديث عباد بن بشر وأسيد بن حضير اللذين أضاءت العصا لهما كالسراج، بالإضافة لكرامات التابعين والتي منها: المشي على الماء والطير في الهواء، بالإضافة لذكره أنَّ من كرامات الأولياء الاستشفاء بقبر معروف الكرخي[٤].

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج٤/٢٨٥، حديث حسن.

(٢) انظر: انظر: دلائل النبوة، الإمام البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ج٢/ ٢٧٠. ٢٧١

(٣) انظر: [صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب المناقب/ باب قوله تعالى "يعرفونه كما يعرفون أبناءهم..."، ٢٠٦/٤، رقم الحديث ٣٦٣٥].

(٤) انظر: الإعلام، القرطبي، ج٣٤٨-٣٨٤.

ووقوع الكرامات أمر ثابت بالكتاب والسنة وقد أخبر به سلف الأمة، فيقول الإمام الطحاوي في عقيدته: "وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ"(١).

وقد بين العلماء أن من شروط وقوع الكرامة الاستقامة وعدم اتباع الأحوال الشيطانية، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة"(٢).

وأما كلام الإمام القرطبي أنَّ من كرامات الأوليات الاستشفاء بقبر معروف الكرخي، فهذا مخالف لعقيدة السلف التي تمنع التبرك والاستشفاء بالقبور، يقول العلامة حافظ الحكمي: "وَاسْتِعْمَالُهُمْ لَهَا عَلَى أَنْوَاعٍ _يقصد تربة القبور_: فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهَا وَيَمْسَحُ بِهَا جِلْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَمَرَّغُ عَلَى الْقَبْرِ تَمَرُّغَ الدَّابَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْتَسِلُ بِهَا مَعَ الْمَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْرَبُهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَهَذَا كُلُّهُ نَاشِئٌ عَنِ اعْتِقَادِهِمْ فِي صَاحِبِ ذَلِكَ الْقَبْرِ أَنَّهُ يَنْفَعُ وَيَضُرُّ حَتَّى عَدُّوا ذَلِكَ الِاعْتِقَادَ فِيهِ إِلَى تُرْبَتِهِ، فَزَعَمُوا أَنَّ فِيهَا شِفَاءً وَبَرَكَةً لِدَفْنِهِ فِيهَا"(٣).

وبالمجمل، يتبين مما سبق: أن الإمام القرطبي قد نوع دلائل النبوة فذكر أنواعًا عديدة لإثبات صدق النبي ﷺ، وقد ألَّف العلماء في ذلك مؤلفات عديدة عظيمة النفع والفائدة محاولين احتواء ما وقع على يديه ﷺ من خوارق العادات ومن هؤلاء العلماء: أبو نعيم الحافظ الأصبهاني(٤)، ومنهم الحافظ أبو بكر البيهقي(٥).

المطلب الثاني: استعمال الفرضيات والمقدمات المنطقية

أولًا: استعمال الفرضيات

والفرضية: هي قضية نظرية ينشغل بها الدارس، يتأثر بما تجود به النظريات من قضايا وما تثيره من مشكلات(٦).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، ج٢/٧٤٥.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ج١/١٨٧.

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ج٢/٤٩٨.

(٤) انظر: دلائل النبوة، الأصبهاني.

(٥) انظر: دلائل النبوة، البيهقي.

(٦) انظر: مناهج البحث في علم الاجتماع، إسماعيل، ص ص٩١- ٩٢.

واستنادًا إلى هذا المفهوم نستطيع أن نقول أن الفرضية عند الإمام القرطبي هي: القضايا التي يطرحها على هيئة أسئلة ليصل إلى الحل أو النتائج المناسبة عن طريق سلوكه مسلكًا معينًا في الجدال والحوار.

والإمام القرطبي كان يضع العديد من الفرضيات المتعلقة بالموضوع الذي يكتب فيه، وذلك حتى إذا جاء أحد النصارى مجادلًا متعسفًا بأسئلة، يجد أن الكتاب قد حوى الإجابة عليها، وقد تنوعت وتتعدد الفرضيات التي ذكرها، والتي نذكر منها على سبيل المثال:

١. بشارات الأنبياء السابقين بمحمد ﷺ:

عند حديث الإمام القرطبي عن بشارات الأنبياء السابقين بالنبي ﷺ ذكر البشارة بإيلياء المزمع[١]، والذي يرى القرطبي أن إيل المراد به مجيء رسول الله بكتابه لا مجيئه هو، كما في النص التوراتي "جاء الرب من ساعير" والصحيح: أن إيلياء هو النبي محمد ﷺ بحساب الجمل، ولكنه مع ذلك افترض أن النصارى قد يصرفون هذه البشارة إلى غير النبي ﷺ من الأنبياء فقال: "فإن قلت: قوله "فإن مزمع أن يأتي" وقوله "حتى يأتي من تقولون له مبارك الآتي" إنما أراد من كان بعده من الأنبياء مثل: برنابا وشمعون وليوقيوش ... فالجواب: أنه لا يصح لكم أن تعترفوا بنبوة واحد من هؤلاء بل ينبغي لكم أن تكفروا بهم، لأنكم ترون أنه لا نبي بعد المسيح، وتسندون ذلك إلى كتبكم..."[٢] وأمام هذه الفرضية تتهافت أقوال النصارى سواءً النقلية أم العقلية، فهو قد افترض تأويلًا لهم ثم ردَّ عليهم بما يلزمهم ولا يدع مجالًا للشك بمن هو إيلياء.

---

(١) يرى النصارى أن مراد المسيح من التبشير بقدوم إيليا هو قدوم يوحنا المعمدان الذي كان قبله كما يقول في إنجيل متى عندما سأله الكتبة عن إيليا أنه ينبغي أن يأتي أولًا فأجابهم يسوع قائلًا: "ولكني أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه" فعندها فهم التلاميذ أنه كان يقصد يوحنا المعمدان، ولكن بالرجوع إلى ما قاله يوحنا عندما سجنته اليهود وأرسلوا إليه الكهنة واللاويين ليسألوه: أأنت إيليا فأجابهم كما هو مصرح في إنجيل يوحنا: "لست أنا بإليا"، وعلى هذا يلزم من قولهم أن إيليا هو يوحنا وقوعهم في التناقض، وقد ذكر الشيخ رحمت الله أنه في الآية الرابعة عشر من الباب الحادي عشر من إنجيل متى في الترجمة= =العربية المطبوعة سنة ١٨١١م وسنة ١٨٤٤م جاء النص هكذا: "فإن أردتم أت تقبلوه فهذا هو إيلياء مزمع أن يأتي" بينما في ترجمة عام ١٨١٦م جاء النص هكذا: "فإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو المزمع بالإتيان" فيُلاحظ أن المترجمين قد بدلوا اسمًا من أسماء الرسول ﷺ في البشارة كما يقول الشيخ رحمت الله ولا عجب في ذلك فهو ليس تحريفاتهم. انظر: إظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي، تحقيق: محمد أحمد محمد ملكاوي، ج١/٢٠٢،٢٠٣، ج٤/١١٠٢.

(٢) الإعلام، القرطبي، ص ص٢٧٠-٢٧١

٢. صفات النبي محمد ﷺ في صحف أشعياء:

عند حديث الإمام القرطبي عن صفات النبي ﷺ في صحف أشعياء بين أن النصارى يرون أن هذه الصفات ترجع إلى المسيح، لذا وضع فرضيات لتأويلاتهم واحتمالات أسألتهم فقال: "فإن قلت: هو المسيح، قيل لك: تفهم لفظ الكلام ومساقه، وحينئذ تحكم بأنه محمد قطعًا، وذلك أنه قال فيه: "يوصي الأمم" وهذا التصريح ببعثته للناس كافة، وعيسى إنما بعث للأجناس من بني إسرائيل ..."[١].

٣. دلالة خَلْق النبي ﷺ وجمال خِلقته على نبوته:

عند حديثه عن خَلْق النبي ﷺ وجمال خِلقته، وما آتاه الله ﷻ من حسن الصورة، حيث جعل الإمام القرطبي ذلك من دلائل النبوة، لكنه وضع سؤالًا فرضيًا قد يُتوجه به إليه أو إلى غيره من المسلمين، فيقول: "فإن قيل: نسلم أنه كما وصفت، لكن أي فضيلة لحسن الصورة الظاهرة؟ وأي مزية لها على غيرها؟ إذ رُبَّ قبيح المنظر حسن الفعل والمخبر، ورُبَّ حسن الظاهر والمنظر قبيح الفعل والمخبر، فنقول: هذا الذي ذكرت يندر ويقل، بل لا يبعد أن يقول قائل: لا يوجد كامل الصورة الظاهرة إلا وهو كامل الصورة الظاهرة إلا وهو كامل الصورة الباطنة، إذ كلاهما إنما سببه بحسب ما أجرى الله العادة مزاج معتدل فيهما ثمرتا مثمر واحد، ولأجل هذا والله أعلم لم نسمع عن نبي من أنبياء الله تعالى أن الله تعالى خلقه ناقص الخلقة أو مشوهًا، اللهم إلا قد طرأت على بعضهم آفات لأسباب شاءها الله تعالى... ثم إن الحكماء والعلماء قد استدلوا بحسن الخَلْق على حسن الخُلُق..."[٢]

٤. دلالة معجزة القرءان الكريم:

وتتعدد الفرضيات التي كان يضعها الإمام القرطبي كأسئلة محتملة، أن يُتوجه بها إليه فيقول في معرض استدلاله بمعجزة الكتاب العزيز وتأكيده لعجز الجن والإنس على أن يأتوا بمثله، وعدم قدرة أحد على معارضته، فيقول: "فَإِن قيل لَا نسلم أَنه لم يُعَارض بل لَعَلَّه عورض وَلم ينْقل أَو نقل فأخفى[٣]، وَالْجَوَاب من وَجْهَيْن: أَحدهمَا أَنا نقُول للْيَهُود وَالنَّصَارَى هَذَا السُّؤَال

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص ص٢٧٣– ٢٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٩٣.

(٣) لم يستطع أحد معارضة القرءان الكريم، رغم محاولات بعض المشعوذين وأدعياء النبوة، ومن هذه المحاولات ما قاله مسيلمة الكذاب حينما ادعى أنه ينزل عليه قرآن أشبه بقرءان رسول اللهﷺ كقوله: "الفيل وما أدراك ما الفيل إن له زلوم طويل إن ذلك لمن خلق ربنا الجليل" وبالنظر إلى كلامه نجد أنه من سخافته يضحك العقلاء فشتان شتان بين كلام رب الأرباب وبين كلام مشعوذ دجال، انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، ٣٦٤/٥– ٣٦٥.

يَنْقَلِب عَلَيْكُم فِي معجزات مُوسَى وَعِيسَى إِذْ يُمكن أَن يُقَال إِن ساحرًا من السَّحَرَة عَارض مُوسَى ﷺ وَأَنه أَتَى بعصا فقلبها ثعبانًا أعظم من ثعبان مُوسَى والتقم ثعبان مُوسَى، وَيُمكن أَن يُقَال لِلنَّصَارَى أَن عِيسَى ﷺ عورض فِي إحْيَاء الْمَوْتَى وإبراء الأكمه والأبرص وَلم ينْقل إِلَيْنَا أَو نقل فأخفى، وَكَذَلِكَ نقُول لغير الْيَهُود وَالنَّصَارَى من الْأُمَم فِي معجزات أَنْبِيَائهمْ فبالذي ينفصلون عَن معجزات أَنْبِيَائهمْ بِهِ بِعَيْنِه ننفصل عَن معجزات نَبينَا ﷺ... الْوَجْه الثَّانِي من الْجَواب وَهُوَ الانفصال الْحق وَالْكَلَام الصدْق أَن نقُول من وقف على الْقُرْآن وسَمعه وَفهم مَعَانِيه وَكَانَ عَارِفًا بأصناف كَلَامهم علم عجز الْخَلَائق عَن الْإِتْيَان بِمثْلِهِ ضَرُورَة كَمَا يعلم عجز الْأَطِبَّاء عَن إحْيَاء الْمَوْتَى وإبراء الأكمه والأبرص بِنَفس الْعلم بِهَذِهِ الْأُمُور وَالْوُقُوف عَلَيْهَا، وَكَذَلِكَ من شَاهد قلب العصى ثعبانًا مُبينًا يتلقف مَا جَاءُوا بِهِ من السحر والتخييلات حصل لَهُ الْعلم الْقطعِي بِأَن قلب العصى ثعبانًا يعجز عَنهُ الْخَلَائق أَجْمَعُونَ إِذْ ذَاك خَارج عَن مقدورهم"[١].

ثانيًا: استعمال المقدمات المنطقية

استعمل الإمام القرطبي المقدمات المنطقية الصحيحة والتي يترتب عليها نتيجة صحيحة في إثبات النبوة عند المنكرين لها سيما النصارى، وجاءت هذه المقدمات كمقدمات صحيحة تهدف إلى إثبات صدق النبي ﷺ، واستعمل في مقدماته المنطقية الحجج البرهانية، ولبيان ذلك لا بد من الوقوف على تعريف الحجة البرهانية، وتطبيقات الإمام القرطبي لها، ثم أهميتها.

١. تعريف الحجة البرهانية:

هي الحجة التي تفيد اليقين وتتألف في القياس من مقدمات يقينية على هيئة تفيد نتيجة يقينية، واليقين فيها مساوٍ لليقين في المقدمات[٢].

٢. استخدام الإمام القرطبي للحجة البرهانية:

يقول الإمام القرطبي: "محمد بن عبد الله صادق فيما يقوله عن الله، والدليل على ذلك أنه قد جاء بالمعجزات وكل من جاء بها فهو صادق، فمحمد إذن رسول من الله صادق فإن قيل: لم قلتم أنه قد جاء بالمعجزات قلنا قد نقل إلينا نقلًا متواترًا بحيث لا يشك فيه أنه جاء بالقرءان وبمعجزات كثيرة فهو إذن صادق"[٣]،

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص ص٣٢٧-٢٢٨

(٢) انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، الميداني، ص٢٩٨

(٣) الإعلام، القرطبي، ص٣٢٣

فالمقدمة الأولى: كل من جاء بالمعجزات فهو رسول من الله صادق.

المقدمة الثانية: محمد جاء بالمعجزات.

النتيجة: محمد بن عبد الله رسول من الله تعالى صادق.

وتعد هذه الحجة من قبيل الحجج البرهانية القائمة على اليقين الجازم، فكلا المقدمتين يقينيات فبالتالي النتيجة تكون نتيجة يقينية، وبالتالي كون محمد بن عبد الله رسول صادق من الله هي نتيجة يقينية.

٣. أهمية الحجة البرهانية:

تعد الحجج البرهانية من الحجج اليقينية التي تفيد اليقين الجازم، وكان لاستخدام الإمام القرطبي لها فائدة عظيمة منها:

أ- إلزام الخصم وإقناعه بما هو منكر له بالحجة والبرهان.

ب- تبين مدى قوة الخطاب الإسلامي وتأثيره.

ت- تؤكد أن الوصول للحقيقة يكون عبر الحجج والبراهين والمناهج العلمية لا الهوى والتعصب.

ث- وتعد من الأساليب التي تقرب الخصم ولا تبعده إن كان يطمح للحقيقة.

المطلب الثالث: ضرب الأمثال عند الإمام القرطبي وتطبيقاته

أولًا: تعريف الأمثال

المثل بالكسر والتحريك الشبه، والجمع أمثال، والمَثَل: الحجة والحديث، وتمثل بالشيء أي ضربه مثلًا، إلى غير ذلك من المعاني التي تدور كلها حول تشبيه شيء بشيء(١).

استخدم الإمام القرطبي منهج ضرب الأمثال خلال حديثه عن دلائل إثبات نبوة محمد ﷺ، وهو منهج اقناعي يهدف إلى بيان الحقيقة وإقامة الحجة على المخالفين، بالإضافة لتقريب الصورة وتوضيحها، وهو منهج قرآني عظيم حيث يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ [إبراهيم:٢٥]، ويعد ضرب الأمثال من أعظم علوم القرآن كما

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ج١/١٠٥٦.

يبين ذلك الإمام الماوردي، فيقول: "مِنْ أَعْظَمِ عِلْمِ الْقُرْآنِ عِلْمُ أَمْثَالِهِ وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ لِاشْتِغَالِهِمْ بِالْأَمْثَالِ وَإِغْفَالِهِمُ الْمُمَثَّلَاتِ وَالْمَثَلُ بِلَا مُمَثَّلٍ كَالْفَرَسِ بِلَا لِجَامٍ وَالنَّاقَةِ بِلَا زِمَامٍ"(١).

وقد استعمل الإمام القرطبي هذا المنهج في كتابه، فكان يضرب الأمثال لتقريب الصورة وبيان المعنى المراد، وأحيانًا كان يمثل لما يقول من الكتاب والسنة وكتب النصارى، فهذا التمثيل ليس بمعنى ضرب المثل وإنما هو منهجية مميزة لإثبات ما يرمي إليه، وسنبين إن شاء الله تعالى هاتين المنهجيتين في السطور القادمة.

ثانيًا: منهج ضرب الأمثال عند الإمام القرطبي

استثمر الإمام القرطبي منهج ضرب الأمثال ليقرب الصورة ويوضحها، ويسهل الوصول للمقصود، بالإضافة إلى كونه كان يمثل بنصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية، ونصوص التوراة والإنجيل، وقد كانت الأمثال المستخدمة عند الإمام القرطبي على نوعين:

١. الأمثال المضروبة للتمثيل

وهذا منهج العرب حيث كانوا يضربون الأمثال لإيصال المقصود، وتقريب الصورة، وهو منهج استعمله الإمام القرطبي وهو المعهود من ضرب الأمثال، وإليك بعض هذه الأمثال:

أ- المثال الأول:

يقول الإمام القرطبي: " ويتبين هَذَا بمثال وَذَلِكَ أَنه لَو فَرضنَا ملكًا عَظِيمًا اجْتمع لَهُ أهل مَمْلَكَته فِي مَجْلِسه وَأهل المملكة مصغون لما يَأْمُرهُم بِهِ ذَلِك الْملك، فَقَامَ رجل من بَين يَدَيْهِ وَقَالَ: إِنِّي رَسُول هَذَا الْملك إِلَيْكُم، وَقد أَمرنِي أَن أبلغكم أمره وَنَهْيه وَأَنا صَادِق فِي قولي هَذَا، ثمَّ يَقُول: يَا أَيهَا الْملك إِن كنت صَادِقًا فِيمَا أقوله عَنْك فَخَالف عادتك وقم عَن سريرك قيَامًا تخَالف بِهِ الْمُعْتَاد من فعلك، فَإِذا فعل الْملك ذَلِك عِنْد تحدي الْمُدعى، فَإِن أهل الْمجْلس يضطرون إِلَى الْعلم بِأَن الْملك قصد ذَلِك الْفِعْل تَصْدِيقه، وَلَا يعتريهم فِي ذَلِك ريب وَلَا توقف، فتنزلت إِذن تِلْكَ الْأَفْعَال بِتِلْكَ الشُّرُوط منزلَة قَوْله صدقت أَنا أرسلتك، وَهَذَا بَين بِنَفسِهِ عِنْد كل موفق منصف مَعْلُوم على الْقطع"(٢).

---

(١) الإتقان في علوم القرءان، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٤/٤٤.

(٢) الإعلام، القرطبي، ص٢٤٠

وهذه المثل ضربه الإمام القرطبي لمن يتحدى الناس بمعجزة صادقة، فعلى الناس تصديقه سيما إذا شاهدوا تلك المعجزة وعلموا شروطها، والنبي محمد ﷺ كان كذاك الرجل الذي أخبر الناس بأنه رسول الملك وقد صدقه الملك في ذلك، فلم يخالفه، وهكذا النبي ﷺ قد صدقه الله تعالى في دعواه وأيده بالمعجزات وليس للناس إلا اتباعه.

ب- المثال الثاني:

يقول الإمام القرطبي: " وَفِي مثل هَذَا الضَّرْب الْمثل إِذا جَاءَ الْبَين صم الْأذن وعمى الْعين"[(١)]، وهذا مثل يُراد به أن أمر الله إذا جاء لا يُأخر، وإذا أراد الله تعالى إنفاذ أمره في أهل القبائح والكفر فإنه يسلبهم عقولهم وينفذ أمره.

والإمام القرطبي لم يُكثر من ضرب الأمثلة لهذا النوع بل كان غالب تمثيله من نوع الاستدلال بآيات الكتاب الكريم ونصوص السنة النبوية وفقرات الكتاب المقدس والتي سنبينها لاحقًا إن شاء الله تعالى.

وهذا النوع من الأمثال له فوائد جليلة منها:

أ- فيه تقريب للمعاني البعيدة عن فهم القاصرين والمتقاعدين عن رتبة أهل العقول، وتوضيح لها[(٢)]، فهو يتنزل مع المنكرين للنبوة ويحاول ضرب الأمثال لهم ليبين من خلال هذه الأمثال أن أمر النبوة ثابت له ﷺ.

ب- فيه تأنيس للعقول وتقربها من المشهود[(٣)]، فهو يقرب موضوع النبوة وعدم استبعاده من العقول، من خلال ضرب الأمثال كما بينا في الأمثلة السابقة.

ت- زيادة تذكير، يقول ابن المقفع: " إذا جعل الكلام مثلًا كان أوضح للمنطق، وآنق للمسمع، وأوسع لشعوب الحديث"[(٤)]

٢. التمثيل بنصوص الكتاب والسنة ونصوص التوراة والأناجيل لإثبات ما يريد.

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٢٥١.

(٢) انظر: حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، أبو الحسن القفطي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ج١/٨٥.

(٣) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح العقائد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد ابن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، ج١/٣٣.

(٤) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، الدوسري، ج١/٩٨.

وهذا النوع يتعدد ويكثر في دلائل النبوة، فتارة يستدل الإمام القرطبي بآيات الكتاب العزيز، وأخرى يستدل بما جاء على لسان المصطفى ﷺ، وتارة يستدل بما جاء في التوراة والإنجيل.

أ- **الاستدلال بآيات القرءان الكريم:**

يقول الإمام القرطبي في معرض استدلاله بآيات الكتاب العزيز ليبرز ما فيها من الإعجاز، ويؤكد مباينة لسان العرب للسان غيرهم: "وَكَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل:٩٠].

وَلما سمع الْمُغيرَة هَذِه الْآيَة وَكَانَ من أعدائه الَّذين يُرِيدُونَ إطفاء نوره وإذهاب بهائه قَالَ وَالله إِن لَهُ لحلاوة وَإِن عَلَيْهِ لطلاوة وَإِن أَسْفَله لمغدق وَإِن أَعْلَاهُ لمثمر مُورق وَمَا يَقُول هَذَا بشر وَهَذِه الْآيَة قد تَضَمَّنت بِحكم عمومها وَصِحَّة مفهومها مَعَانِي كتب الْمُتَقَدِّمين وَشَرَائِع الماضين وتذكره الْحَاضِرين وتخويف الْمُقَصِّرِينَ وترغيب الْمُجْتَهدين مَعَ مَا هِيَ عَلَيْهِ من قلَّة الْكَلِمَات وَمَعَ عذوبة المساق والجزالات"[١]

ومن فوائد الاستدلال بآيات القرءان الكريم: أنه يعد من أكبر الحجج الشرعية التي ليس بعدها حجة، بالإضافة إلى أنها أشد تأثيرًا سيما إذا كان المخاطب مسلمًا، وكذا السنة النبوية التي تعد المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ولها من القداسة والتعظيم ما يليق بمكانة النبي ﷺ ومنزلته في نفوس المسلمين.

ب- **الاستدلال بنصوص السنة النبوية:**

وأما التمثيل من السنة النبوية، فيمثل لذلك الإمام القرطبي بقوله: "فيكفيك مِنْهَا مِثَال وَاحِد من الطَّيِّبَات وَذَلِكَ أَنه عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ الْمعدة بَيت الدَّاء وَالْحمية أصل الدَّوَاء"[٢][٣].

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٣٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٨.

(٣) قال الإمام الهروي: حديث موضوع، وهو ليس من كلام النبي ﷺ ولا كلام أحد من الصحابة ﷺ، بل هي من كلام الطبيب الحارث بن كلدة طبيب العرب، انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، الملا علي القاري، تحقيق: محمد الصباغ، ج١/٣٣٠، ح ٤٤٢.

والإمام القرطبي استدل بالعديد من الأحاديث في مواضع كثير من هذا الكتاب والتي من ضمنها حديث "يُوشِكُ، يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا"[1].

ت- الاستدلال بنصوص الكتاب المقدس:

وأما استدلاله بنصوص الكتاب المقدس فهي كثير جدًا فمنها: استدلاله على نبوة عيسى عليه السلام من خلال الأناجيل فيقول: "مَا جَاءَ فِي الْإِنْجِيل عَنهُ أَنه قَالَ حِين خرج من السامرية وَلحق بجلجال أَنه لم يكرم أحدا من الْأَنْبِيَاء فِي وَطنه"[2].

من أبرز فوائد الاستدلال بنصوص الكتاب المقدس بكلا عهديه إقامة الحجة على اليهود والنصارى، الذين طالما صرفوا هذه البشارات عن وجهها فما زال اليهود ينتظرون مخلصًا، والنصارى يرون أنها البشارات الخاصة بالمسيح ولا تنصرف إلى غيره.

المطلب الرابع: المنهج المقارن

أولًا: تعريف المنهج المقارن

١. المنهج في اللغة والاصطلاح: بينا سابقًا معنى المنهج سواءً في اللغة أو الاصطلاح[3].

٢. أما المقارن لغة: من قرن، فالقاف والراء والنون لها أصلان صحيحان، الأصل الأول يدل على جمع شيء إلى شيء ومنه قارنت بين الشيئين، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: الْقَرْنُ لِلشَّاةِ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ نَاتِئٌ قَوِيٌّ، وَبِهِ يُسَمَّى عَلَى مَعْنَى التَّشْبِيهِ الذَّوَائِبُ قُرُونًا[4].

٣. المنهج المقارن في الاصطلاح: "هو عملية عقلية تتم بتحديد أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين حادثتين اجتماعيتين أو أكثر، تستطيع من خلالها الحصول على معارف أدق وأوقت، نميز بها موضوع الدراسة أو الحادثة في مجال المقارنة والتصنيف"[5].

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ٣٥٢، وانظر: صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: في معجزات النبي ﷺ، ١٧٨٤/٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤٧، وانظر: إنجيل يوحنا: ٤٤/٤.

(٣) انظر: صفحة (٦٦) من هذه الرسالة.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٥/٧٧.

(٥) مناهج البحث في علم الاجتماع، إسماعيل، ص٢٦٥.

بعد تعريف المنهج المقارن في الاصطلاح نستطيع أن نخلص إلى أن المنهج المقارن: هو ذلك المنهج الذي يعتمد على المقارنة في دراسة الظاهرة حيث يبرز أوجه الشبه والاختلاف فيما بين ظاهرتين أو أكثر، ويعتمد الباحث من خلال ذلك على مجموعة من الخطوات من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية المتعلقة بالظاهرة المدروسة.

فالمنهج المقارن يعتمد على دراسة أكثر من ظاهرة، لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف بينها، وفهم النصوص بشكل أعمق، حتى يصل الباحث إلى نتائج صحيحة.

ثانيًا: خطوات المنهج المقارن عند الإمام القرطبي

سار الإمام القرطبي على خطوات منهجية أثناء استعماله مقارنات تتعلق بإثبات النبوة ومن هذه الخطوات التي سار عليها:

١. عرضه للموضوع الأساسي وهو دلائل النبوة.

٢. تفسير هذه الدلائل تفسيرًا عقليًا ونقليًا.

٣. عرضه للموضوع المخالف وهو قول اليهود والنصارى في المسألة.

٤. تحديد نقاط التشابه والاختلاف.

٥. الخروج بنتائج المقارنة وهو بطلان قول اليهود والنصارى.

ثالثًا: تطبيق هذا المنهج على دلائل النبوة

١. المقارنة بين معجزة انشقاق القمر وانفلاق البحر(١):

تحدث الإمام القرطبي عن معجزات النبي ﷺ والتي ذكر أولها معجزة انشقاق القمر، وبين عظمة هذه المعجزة وتواتر نقلها، ثم ذكر مقارنة بينها وبين معجزة انفلاق البحر التي حدثت مع نبي الله موسى عليه السلام، فبين أن هذه المعجزة والتي هي انشقاق القمر أعظم من انفلاق البحر، وقد برز منهجه في الخطوات التالية:

أ- **الخطوة الأولى:** عرض الموضوع وهو معجزة انشقاق القمر.

ب-**الخطوة الثانية:** تفسيره للموضوع، فأثبت وقوع هذه المعجزة نقلًا وعقلًا، وبيانه على النحو التالي:

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص ص٣٤٨- ٣٥٠.

• **الدليل النقلي:** فأما إثباته من خلال الدليل النقلي استدل بما جاء في كتاب الله تعالى، حيث يقول المولى ﷻ: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ [القمر: ١]، وكذلك بما جاء في سنة النبي ﷺ فقد نقل هذا جم غفير من الصحابة ﷺ، من ذلك ما رواه بن مسعود ﷺ حيث يقول: "**انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً فَوْقَ الجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْهَدُوا»**"[١].

• **الدليل العقلي:** وكذلك فسَّر انشقاق القمر تفسيرًا عقليًا حيث يقول: "فَإِن قَالَ غبي جَاهِل أَو معاند مجادل: كَيفَ يَصح هَذَا وَلَو كَانَ هَذَا لم يخف على أهل الأَرْض إذ هُوَ شَيْء ظَاهر لجميعه، وَلَو ظهر إِلَيْهِم انْتقل عَنْهُم ولكان مَشْهُورا مَنْقُولًا على التَّوَاتُر، فَالْجَوَاب أَن نقُول هَذَا الاستبعاد الوهمي ينْدَفع بأيسر أَمر، وَذَلِكَ أَن هَذِه الْآيَة كَانَت آيَة ليلية، وَالنَّاس على عَادَتهم المستمرة الْغَالِب عَلَيْهِم النّوم، وَمن كَانَ مِنْهُم منتبها كَانَ مِنْهُم من قد انْصَرف عَن ذَلِك بِبَعْض أشغالهم، وَكَانَ مِنْهُم أَيْضًا من رَآهُ على مَا حكيناه عَن أهل آفَاق مَكَّة، وَأَيْضًا فَلَعَلَّهُ إِنَّمَا كَانَ ذَلِك فِي أول طُلُوع الْقَمَر، وَلَا شكّ أَن النَّاس تخْتَلف رُؤْيَتهمْ للقمر وَغَيره من الْكَوَاكِب بِحَسب اخْتِلَاف ارْتِفَاع الْبِلَاد والأقاليم وانخفاضها، فَلَيْسَ كل من فِي معمور الأَرْض يرَاهُ فِي وَقت وَاحِد، بل يخْتَلف ذَلِك فِي حَقهم، فقد يطلع على قوم قبل أَن يطلع على آخَرين، وَقد يطلع على قوم لَا يُشَاهِدهُ الْآخرُونَ، وَقد يحول بَين قوم وَبَينه سَحَاب أَو جبال، وَلِهَذَا تَجِد الكسوفات فِي بعض الْبِلَاد دون بعض وَيكون فِي بَعْضهَا جزئية وَفِي بَعْضهَا كُلية وَفِي بَعْضهَا لَا يعرفهَا إِلَّا المشتغلون بِعلم ذَلِك وَلَا يحس بهَا غَيرهم لَا سِيمَا وَهَذِه آيَة كَانَت بِاللَّيْلِ وَالْعَادَة من النَّاس مَا تقدم من الهدوء والسكون وإيجاق الْأَبْوَاب وَقطع التَّصَرُّف، وَلَا يكَاد يعرف شَيْئًا من آيَات السَّمَاء إِلَّا من رصد وأهتبل، وَكَثِيرًا مَا يحدث الثِّقَات بعجائب يشاهدونها من أنوار وشهب ونجوم طوالع عِظَام تظهر فِي أحيان من السَّمَاء، وَلَا علم عِنْد أحد غَيرهم مِنْهَا، وانشقاق الْقَمَر من هَذَا الْقَبِيل، إِذْ لم يكن دَائِمًا، وَإِنَّمَا كَانَ يَسِيرًا فِي زمن قريب، ثمَّ لَا يبعد أَن يكون الله تَعَالَى صرف النَّاس فِي تِلْكَ السَّاعَة عَن النّظر إِلَيْهِ لتختص هَذِه الْآيَة بمشاهدة أهل مَكَّة وَمن جاورها

---

(١) [صحيح البخاري، الإمام البخاري، باب "وانشق القمر وإن يرو آية يعرضوا"، ج١٤٢/٦: رقم الحديث ٤٨٦٤].

من أهل آفاقها، فَيكون صرف النَّاس عَن ذَلِك من قبيل خوارق الْعَادَات، وَذَلِكَ أوضح فِي المعجزات فقد صَحَّ مَا رمناه وانفصلنا عَمَّا ألزمناه والحمد لله"[1].

ففي ضوء ما تقدم يتبين أن الإمام القرطبي استعمل الدليل النقلي ليُثبت وقوع معجزة انشقاق القمر من خلال آيات الكتاب الكريم، وأحاديث النبي ﷺ، وكذلك من ناحية عقلية فإن انشقاق القمر أمر غير مستبعد فالآية ليلية وبالتالي الكثير من الناس لن ينتبهوا لها، بالإضافة إلى أن ظهور القمر يختلف من مكان لآخر، فالناس لا تراه جميعًا في نفس الوقت، بالإضافة إلى ما يحدث من عجائب في السماء من سقوط شهب غيرها فإنها أحيانًا تحدث دون علم الناس بذلك وانشقاق القمر من هذا القبيل، ومن الجدير ذكره أن العلماء في العصر الحاضر أكدوا حدوث انشقاق القمر، فيذكر د. زغلول النجار أنَّ علماء الغرب أكدوا أن القمر قد انشق بدليل وجود جزامًا من الصخور المتحولة يقطع القمر من سطحه إلى جوفه، وهذا لا يمكن أن يحدث _كما بيَّن علماء الأرض والجيولوجيا_ إلا إذا انشق القمر والتحم[2].

ت-**الخطوة الثالثة:** إجراء المقارنة بين المعجزة التي حدثت في العهد النبوي، والمعجزة التي حدثت بالعهد الموسوي.

ث-**الخطوة الرابعة:** ذكر أوجه التشابه والاختلاف بين وقوع المعجزتين، فمن أوجه الشبه التي ذكرها: أن كلا المعجزتين عظيم، وكلاهما من عند الله تعالى لتأييد أنبيائه.

وأما نقاط الاختلاف: فالأولى أي انشقاق القمر كانت شاملة للقمر كله، من بدايته إلى نهايته، وأما فلق البحر فكان لجزء معين من البحر وليس لجميعه بل كان قطع الطريق من بحر القلزم[3] إلى مفارشود[4]، وهي ليست اختلاف بمعنى الاختلاف ولكن من باب بيان عظمة معجزة انشقاق القمر.

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص ص٣٤٩-٣٥٠.

(٢) انظر: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، علي بن نايف الشحود، ج٧/٣٠٢.

(٣) بالضم ثم السكون ثم زاي مضمومة، وميم، القلزمة: ابتلاع الشيء، يقال: تقلزمه إذا ابتلعه، وسمي بحر القلزم قلزما لالتهامه من ركبه: وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله، انظر: معجم البلدان، ياقوت بن الحموي، ج٤/٣٨٧

(٤) مفارشود: لم تعثر الباحثة على ترجمة لهذه القرية، لكن ربما أن الإمام القرطبي قصد قرية "فرشوط" فهي قرية كبير تقع على شاطئ غربي النيل من الصعيد، انظر: المرجع السابق، ج٤/٢٥١.

ج- **والخطوة الأخيرة:** الوصول إلى نتيجة أن معجزة انشقاق القمر هي أعظم من معجزة فلق البحر، وإن كان كلاهما عظيم.

٢. المقارنة بين شروط قبول الرواية عند المسلمين وشروط قبولها عند أهل الكتاب[١]:

افترض الإمام القرطبي أن النصارى قد ينكرون ما جاء من أحاديث المعجزات لأنها ثبتت من أخبار آحاد[٢]، كما أن المسلمين يرفضون سند التوراة والإنجيل، فقارن بين شروط قبول الرواية عند الطرفين، سائرًا على الخطوات التالية:

أ- الخطوة الأولى: ذكر الموضوع الذي سيُقارن به وهو إبطال النصارى لاحتجاج المسلمين بالسنة لكونها أخبار آحاد، فبين أن احتجاجهم هذا لا أصل له، وأن المسلمين عندهم شروط لقبول خبر الآحاد، بالإضافة لكون غالب أحاديث المعجزات قد حصل له التواتر.

ب- الخطوة الثانية: تفسيره لمراده من أن أغلب أحاديث المعجزات متواترة، ثم بين أقسام التواتر، فذكر أن المتواتر صنفان متواتر حسي ومتواتر معنوي، فالمتواتر الحسي هو: ما تواتر لفظه ومعناه، فهذا النوع قد نقله الجمع الغفير عن الجمع الغفير الذين تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، فلا يتطرق إليه الشك أبدًا، كما القرءان الكريم، فجميع آياته نقلت نقلًا متواترًا، بالإضافة إلى العديد من الأحاديث النبوية كأحاديث انشقاق القمر، وأما النوع الثاني: فهو ما تواتر معناه دون لفظه، وهذا النوع يحصل به علم قطعي، كما في أحاديث شجاعة النبيﷺ، وبين أن غالب ما ذُكر في هذا الفصل من معجزات النبي ﷺ هو من الصنف الثاني أي المتواتر المعنوي، فإن لم تتواتر ألفاظه فقد تواترت معانيه. يقول الإمام القرطبي: "فَإِذا ثَبت هَذَا قُلْنَا بعده: إِن مَا نَقَلْنَاهُ من معجزات نَبينَا ﷺ مِنْهَا مَا تَوَاتر لَفظه وَمَعْنَاهُ كانشقاق الْقَمَر وَغَيره، وَمِنْهَا مَا تَوَاتر مَعْنَاهُ وَهُوَ أَكثر مَا احتوت عَلَيْهِ الْفُصُول

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص٣٧٩-٣٨١

(٢) معنى خبر الآحاد: وَيُسمى أَيْضا خبر الْوَاحِد هُوَ الْخَبَر الَّذِي لم تبلغ نقلته فِي الْكَثْرَة مبلغ الْخَبَر الْمُتَوَاتر سَوَاء كَانَ الْمخبر وَاحِدًا أَو اثْنَيْنِ أَو ثَلَاثَة أَو أَرْبَعَة أَو خَمْسَة إِلَى غير ذَلِك من الْعداد الَّتِي لَا تشعر بِأَن الْخَبَر دخل بهَا فِي حيّز الْمُتَوَاتر، انظر: توجيه النظر إلى أصول الأثر، السمعوني، ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ج١/١٠٨.

الْمُتَقَدّمَة، وَذَلِكَ أَن كل فصل مِنْهَا اشْتَمَل على معنى وَاحِد، وَكَثُرت الْأَخْبَار عَن ذَلِك الْمَعْنى حَتَّى أضطر الْوَاقِف عَلَيْهَا إِلَى الْعلم بمعناها"[1].

ت- الخطوة الثالثة: ذكره لأقوال المخالفين، وهم المنكرين للمعجزات الواقعة لزعمهم أنها أخبار آحاد لا تحصل بها العلم، وإن كانت صحاحًا، كما قد زعم المسلمون عدم صحة نقل التوراة والإنجيل وهو مخالفة لما أصل له أهل العقيدة والحديث.

ث- الخطوة الرابعة: تحديد نقاط الاتفاق والاختلاف

فهل يلتقي المسلمون والنصارى في الإسناد؟؟

لم يذكر الإمام القرطبي في هذه المقارنة أن النصارى لهم إسناد يلتقون عليه، بل المعلوم أن الإسناد مما اختُصت به هذه الأمة وفضلت به، وبالتالي هو ميزة لهم غير موجود عند غيرهم من الأمم، وإن وجد فهو ليس بالصورة الموجودة عند المسلمين، فبه حفظ الله تعالى الدين وعنه يقول ابن المبارك: "الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ لَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ"[2].

ج- أما الخطوة الخامسة:

فهي النتيجة التي توصل لها الإمام القرطبي بعد هذه المقارنة فيقول: "فَحصل من هَذَا أَنا لم نستدل على إِثْبَات نبوة نَبينَا مُحَمَّد بأخبار الْآحَاد، وَإِنَّمَا استدللنا على ذَلِك بالأخبار المتواترة المحصلة للْعلم والحمد لله، وَالنَّصَارَى فِيمَا أوردوا لم يستدلوا هَكَذَا وَلَا عِنْدهم علم من هَذَا، وَكفى أَنهم فِي ضلالتهم يعمهون وَفِي شكهم يَتَرَدَّدُونَ، عصمنا الله من الْخَطَأ والزلل فِي القَوْل وَالْعَمَل بكرمه وجوده"[3]، فمعجزات النبي ﷺ ثابتة بالإسناد لا ينكرها إلا معاند جاهل، بل هي من البدهيات، ومن الجدير ذكره أن خبر الواحد الذي اجتمعت فيه شروط الصحة هو خبر صحيح واجب العمل به، يقول الإمام ابن تيمية: "وَخَبَرُ الْوَاحِدِ الْمُتَلَقَّى بِالْقَبُولِ يُوجِبُ الْعِلْمَ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَصْحَابِ الْأَشْعَرِيِّ كَالإِسْفَرَايِينِيِّ وَابْنِ فُورَكٍ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ لَا يُفِيدُ إلَّا الظَّنَّ، لَكِنْ لَمَّا اقْتَرَنَ بِهِ إجْمَاعُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَلَى تَلَقِّيه بِالتَّصْدِيقِ، كَانَ بِمَنْزِلَةِ إجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْفِقْهِ عَلَى حُكْمٍ، مُسْتَنِدِينَ فِي ذَلِكَ إلَى ظَاهِرٍ أَوْ قِيَاسٍ أَوْ خَبَرِ

(١) الإعلام، القرطبي، ص٣٨٠.

(٢) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض، تحقيق: السيد أحمد صقر، ج١/١٩٤

(٣) الإعلام، القرطبي، ص٣٨١.

وَاحِدٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ يَصِيرُ قَطْعِيًّا عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَإِنْ كَانَ بِدُونِ الْإِجْمَاعِ لَيْسَ بِقَطْعِيٍّ؛ لِأَنَّ الْإِجْمَاعَ مَعْصُومٌ، فَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لَا يُجْمِعُونَ عَلَى تَحْلِيلِ حَرَامٍ، وَلَا تَحْرِيمِ حَلَالٍ، كَذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ لَا يُجْمِعُونَ عَلَى التَّصْدِيقِ بِكَذِبٍ، وَلَا التَّكْذِيبِ بِصِدْقٍ، وَتَارَةً يَكُونُ عِلْمُ أَحَدِهِمْ لِقَرَائِنَ تَحْتَفِي بِالْأَخْبَارِ تُوجِبُ لَهُمْ الْعِلْمَ، وَمَنْ عَلِمَ مَا عَلِمُوهُ حَصَلَ لَهُ مِنْ الْعِلْمِ مَا حَصَلَ لَهُ"[1]، ولو جاءت المعجزات عن طريق أخبار آحاد صحيحة نسلم عندها وقوع المعجزات.

٣. المقارنة بين كرامات الأولياء من أمة محمد ﷺ، وبين كرامات الحواريين.

قارن الإمام القرطبي بين اعتقاد المسلمين في الأولياء وأن ما يحدث معهم من كرامات إنما أجراها الله على أيديهم لإثبات صدق النبي ومع ذلك فإنهم لا يصلوا إلى مرتبة نبي، بخلاف النصارى الذين رفعوا الحواريين إلى مرتبة الأنبياء.

وقد جاءت هذه المقارنة في خمس خطوات وهي كالآتي:

أ- الخطوة الأولى: وهي ذكر الموضوع المراد إجراء المقارنة عليه وهو كرامات الأولياء وكونها من معجزات النبي ﷺ.

ب- وأما الخطوة الثانية: فهو تفسير هذه الدلالة تفسيرًا يتلائم مع عرضها فيقول: "أعلم أَن غرضنا فِي إِثْبَات هَذَا الْفَصْل شَيْئَانِ، أَحدهمَا: أَن نبين أَن مَا ظهر على أَصْحَابه وعَلى أهل دينه من الكرامات هُوَ آيَة لرَسُول الله ﷺ من أعظم الْآيَات، وَذَلِكَ أَن الله تَعَالَى إِذا أكْرم وَاحِدًا مِنْهُم بِأَن خرق لَهُ عَادَة، فَإِن ذَلِك يدل على أَنه على الْحق، وَأَن دينه حق، إِذْ لَو كَانَ مُبْطلًا فِي دينه، مُتبعًا لمبطل فِي دَعْوَاهُ، كَاذِب فِي قَوْله على الله، لما أكْرمه الله وَلَا أكْرم من اتبع دينه، فعلى هَذَا نقُول: إِن كل كَرَامَة لولى إِنَّمَا هِيَ آيَة للنَّبِي الَّذِي يتبعهُ ذَلِك الْوَلِيّ، فَهَذَا أحد الغرضين وَهُوَ أهمهما، وَالْغَرَض الثَّانِي: أَن أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ وَإِن كَانُوا قد أكْرمهم الله بكرامات خارقة للعادات فَلَا يعْتَقد فيهم أَنهم أَنْبيَاء"[2] فهو يبين موقفه من الكرامة فقد أثبت وقوعها لأولياء الله تعالى، وأكد أن وقوع مثل هذه الكرامات إنما هي آية للنبي الذي يتبعه، وكرامة للولي.

---

(١) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ج٥/٨١

(٢) الإعلام، القرطبي، ص٣٨١.

ويؤكد ذلك الإمام الطحاوي ﷺ فيقول: "وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ"(١)، وذكر الإمام البيهقي العديد من النماذج في ذلك(٢)، وقد فرَّق الإمام ابن تيمية بين هذه الكرامات والأحوال الشيطانية فالكرامة سببها الإيمان والتقوى، أما الأحوال الشيطانية فسببها ما نهى الله عنه ورسوله، فعبادة المسلمين وعمارتهم لبيوت الله تجعله أبعد عن الأحوال الشيطانية، بخلاف أهل الشرك والبدع الذين يعظمون القبور ومشاهد الموتى فهذا أقرب للأحوال الشيطانية(٣).

ت- الخطوة الثالثة: ذكر الموضوع المقارَن به وهو قول النصارى في الحواريين وهو أنهم أنبياء(٤).

ث- الخطوة الرابعة: تحديد نقاط التشابه والاختلاف في المقارنة، وفي هذا الموضوع أكد الإمام القرطبي أن كلًا من الأولياء والحواريين وقع على أيديهم الخوارق والكرامات، ولكن الخلاف فيما قاله أتباعهم ومن شاهد تلك المعجزات، فالمسلمون قالوا أنهم أولياء ولن يصلوا إلى مرتبة النبوة، بخلاف النصارى الذين قالوا بنبوتهم.

ج- الخطوة الخامسة والأخيرة وهي النتيجة التي توصل لها الإمام القرطبي "بل يعْتَقد فيهم أَنهم أَوْلِيَاء الله وَأَصْحَاب رَسُول الله، تلقوا عَن رَسُول الله ﷺ شَرعه، وبلغوا عَنهُ قَوْله وَفعله، فبذلوا فِي إِظْهَار دين الله أنفسهم وَأَمْوَالهمْ، حَتَّى أظهر الله على كل الْأَدْيَان دينهم وَإِيمَانهمْ، كَمَا قَالَ الله تَعَالَى فيهم ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾ [الفتح:٢٩]"(٥).

وربما قدَّم قليلًا ليؤكد أن الغاية التي يريد الوصول إليها هي وقوع الكرامة فقد وقعت لصحابة رسول الله ﷺ، ومع ذلك هم دون قدر النبي ﷺ، ومن وقعت الكرامة على يديه من هذه الأمة فإنما هي باتباعه للنبي ﷺ، وابتعاده عن المعاصي.

---

(١) شرح العقيد الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، ج٢/٧٤٥

(٢) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، البيهقي، ج١/٣٠٧.

(٣) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ج١/١٧١-١٧٥.

(٤) انظر: اظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي، تحقيق: د. محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ج٢/٢٨٣.

(٥) الإعلام، القرطبي، ص٣٨١.

وختامًا لهذا المبحث، وفي ضوء ما قدمنا من مناهج استعملها الإمام القرطبي ليُثبت نبوة النبي ﷺ، يتبين أن الإمام القرطبي قد أجاد وأفاد في المناهج التي استخدمها فهو ينتقل من المنهج النقلي للمنهج العقلي، ويضرب الأمثال للمعاند والجاهل ليتوصلا كلاهما إلى حقيقة هذه المعجزات وحقيقة وقوعها، ويستعمل منهج المقارنات، فقدد عدد دلائل النبوة ونوعها متنقلًا بين نصوص الكتاب الكريم وأحاديث النبي ﷺ ونصوص كتب أهل الكتاب حتى لا يدع مجالًا لمنكر أو معاند أو جاهل.

المبحث الثاني:

منهج الإمام القرطبي في تقرير العقيدة الإسلامية والدفاع عن الإسلام

المطلب الأول: منهج الإمام القرطبي في تقرير العقيدة الإسلامية

العقيدة الإسلامية هي القاعدة الأولى من قواعد الإسلام وعليها بُني الإسلام كله، وهي أساس التشريع الإسلامي، والعقيدة قائمة على إثبات التوحيد والنبوات واليوم الآخر والقدر وغير ذلك من الأمور التي نص عليها الشارع الحكيم.

وقد سلك الإمام القرطبي عدة مناهج لإثبات أو تقرير العقيدة الإسلامية، وذلك بعد نقده وتفنيده لعقائد النصارى، وبيان بطلانها عقلًا ونقلًا، ونجد الإمام القرطبي يقرر فساد تصورهم في الإله وكذا في الأنبياء بالإضافة إلى خلو كتبهم من الجزاء الأخروي ...الخ، فبعد ذِكره وتفنيده هذه العقائد يقرر الإمام القرطبي العقيدة الإسلامية بأسلوب مبسط ميسر مختصر لكنه شامل، فيذكر عقيدة المسلمين في الإلهيات والنبوات والقدر واليوم الآخر...الخ، وتقريره العقيدة الإسلامية وفق منهج علمي مميز.

وفي هذا المطلب سنبين بإذن الله تعالى المنهج العلمي الذي سلكه الإمام القرطبي في تقرير العقيدة الإسلامية وذلك من خلال النقاط التالية:

أولًا: تعريف العقيدة لغة واصطلاحًا:

١. العقيدة لغة: قال ابن فارس: العين والقاف والدال لها أصل واحد كلها تدل على الشد والشدة والوثوق(١).

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٤/٨٦

٢. العقيدة اصطلاحًا: وقد عرفها الإمام السفاريني بأنها: حكم الذهن الجازم الذي لا يتطرق إليه شك أبدًا(١).

٣. العقيدة الإسلامية: الإيمان الجازم بالله ، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح . والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع(٢).

ثانيًا: منهج الإمام القرطبي في تقرير العقيدة الإسلامية

للإمام القرطبي منهجًا في إثبات قواعد الاعتقاد سواءً في الإلهيات أو النبوات أو اليوم الآخر، إضافة لمسائل العقيدة الأخرى، ونحاول أن نلتمس بعض معالم هذا المنهج في النقاط التالية:

١. منهجه في إثبات قواعد الاعتقاد:

أ- منهجه في إثبات الإلهيات:

الإلهيات من أعظم موضوعات الدين، وهي الأساس الذي يقوم عليه الشرع فمعرفة الإله ومحبته وعبادته هي الغاية التي خُلق لأجلها لإنسان، وقد استدل الكتاب العزيز على مسألة استحقاق الله تعالى للألوهية وحده، بخلاف الربوبية التي لم تكن بحاجة إلى كثير استدلال لإثبات وجوده تعالى، فوجوده تعالى أمر مستقر بالفطر حتى عند المشركين يقول تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [الزخرف: ٨٧].

ومنهج الإمام القرطبي في الحديث عن الإلهيات على النحو التالي: يقول: إن كل موجود سوى الله تعالى فهو محدَث مخلوق، وكل محدَث لا بد له من محدِث، وهذا المحدِث هو الإله وهو لا يشبه شيئًا من المخلوقات، وأنه يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء، ولا يفتقر إلى شيء وكل شيء مفتقِر إليه، ولا يجب لمخلوق عليه حق، وتجب حقوقه على الخلق، ولا يُتوجه إليه بالمطالب: متى، أين، لم، كيف؟، وأما عن أسمائه وصفاته فيرى أنه لا يشبه

(١) انظر: شرح العقيدة السفارينية، ابن عثيمين، ج١/٧٤

(٢) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، العقل، ج١/٤.

شيئًا من المخلوقات ولا يحل في الأجسام، وليس جوهرًا[1] ولا يحل في الجواهر، وكذلك ليس عرضًا[2] ولا تحله الأعراض، وأنه واحد لا شريك له في فعله ولا نظير له في ذاته وطوله، ولا ينبغي له الصاحبة والولد وأنه ليس له كفوًا أحد، وأنه متصف بصفات الكمال والجلال، من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، ومنزه عن صفات النقص والقصور[3].

هذا المنهج الذي سلكه الإمام القرطبي ليبين اعتقاد المسلمين في القاعدة الأولى والأساسية من قواعد الإسلام وهي قاعدة الإلهيات، فاعتقادهم في الله تعالى هو رأس الأمر كله، وقد سار على المنهج الأشعري في عدة نقاط خالف فيه منهج السلف رضوان الله عليهم، ويمكننا مناقشة الإمام القرطبي في نقطتين:

١) الأولى:

استدلاله بدليل الحدوث على وجود الله تعالى: من المعلوم عند العقلاء علمًا ضروريًا وجود الله تعالى وأنَّ غيره مخلوق، وقد أكد الإمام القرطبي في بداية حديثه مسألة كون الله تعالى الخالق كما هو اعتقاد المسلمين، وعلى هذا سار علماء الأشاعرة، فها هو الإمام الجويني يقول: "والدليل على أن العالم له صانع أنه قد صح حدوث العالم بالدلالة التي ذكرناها، والحادث جائز الوجود إذ يجوز تقدير وجوده بدلًا من عدمه ويجوز تقدير عدمه بدلًا عن وجوده فلما اختص بالوجود الممكن بدلًا من العدم الجائز افتقر إلى مخَصص وهو الصانع تعالى"[4]، وهذه مسألة بدهية فطرية عند العقلاء لا تحتاج إلى إثبات، يقول الإمام ابن تيمية: أنه من الخلل أن يكون معرفة حقيقة التوحيد مقتصر على مجرد اعتقاد أن للعالم صانع واحد، ويظهر هذا الخلل عند النظر إلى المشركين الذين سماهم الله تعالى مشركين وأخبرت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أن هؤلاء المشركين مخلدون في النار، فقد كانوا هؤلاء مقرين بأن للعالم خالقًا واحدًا، وأضاف

---

(١) الجوهر: ذكر الإمام الأشعري اختلاف الناس في معنى الجوهر على أربعة أقوال، وهي: القول الأول وهو قول النصارى أن الجوهر هو القائم بذاته فكل قائم بذاته جوهر وكل جوهر قائم بذاته، وأما القول الثاني فهو قول بعض المتفلسفة وهو أن الجوهر هو القائم بذاته القابل للمتضادات، والقول الثالث: الجوهر ما كان حاملًا للأعراض، والقول الرابع: أن الجوهر ما احتمل الأعراض فيجوز أن يخلق الله جوهرًا بلا أعراض، انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري ، تحقيق: هلموت ريتر، ج١/ ٣٠٧.

(٢) العرض: هو "الموجود في محل لا يقوم بنفسه"، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ج١/ ٣٤.

(٣) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٤٤٠.

(٤) لمع الأدلة في قواعد اعتقاد أهل السنة والجماعة، الجويني، تحقيق: فوقية حسين محمود، ج١/ ٩٠-٩١.

الإمام ابن تيمية أن هؤلاء المتكلمين قد قصروا معرفتهم في التوحيد على ما سبق وأخذوا يثبتون ذلك بأدلته وإن كانت صحيحة إلا أن هذا النوع من التوحيد لم تنازع فيه أمة من الأمم، بالإضافة لكونهم لم يسلكوا سبل القرءان الكريم في طرقهم، فالقرءان لم يأت لإثبات هذا النوع من التوحيد[١]، ويؤكد هذا الكلام الإمام أبو العز الحنفي في شرحه للطحاوية فيقول: إن الصحيح في أول واجب على المكلف هو شهادة لا إله إلا الله وهذا ما اتفق عليه أئمة السلف رضوان الله عليهم، وليست كما يقول المتكلمون أنها النظر أو القصد إلى النظر أو الشك[٢].

٢) الثانية:

مخالفة السلف في أنواع التوحيد ، فيقول في ذلك: "لا شريك له في فعله، ولا نظير له في ذاته وطوله...ولم يكن له من خلقه كفؤًا أحد"، فقد قسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع وهي[٣]:

- توحيد الأفعال: أي لا شريك له.
- توحيد الذات: أي لا قسيم له.
- توحيد الصفات: لا شبيه له.

وهذا بخلاف تقسيم أهل السنة والجماعة الذين قسموه إلى[٤]:

- توحيد الربوبية: أنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، فكل ما شاءه كان وما لم يشأ لم يكن[٥]، أي أنه وحده المتصرف بالخلق والإحياء والإماتة والرزق إلى غير ذلك، وقد أقر بهذا النوع من أنواع التوحيد مشركي قريش كما أخبر الله تعالى عنهم في كثير من الآيات القرآنية.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج٩/٣٧٧-٣٧٩

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ص١١.

(٣) انظر: روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ج٤/١٥٤، وانظر: مفاتح الغيب، فخر الدين الرازي، ج٤/١٤٨، ج١٢/٤٧٦.

(٤) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ص١١، والإمام ابن القيم قسم التوحيد إلى قسمين وهما: توحيد العلم والاعتقاد، وتوحيد الإرادة والقصد، فالأول يتعلق بالأخبار والمعرفة، والثاني يشمل الربوبية والألوهية، انظر: التفسير القيم، ابن القيم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، رمضان، ج١/٢٨.

(٥) انظر: الاستقامة، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج١/١٧٩، وانظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ج٥/٢٨٣.

- توحيد الألوهية: هو إفراد الله تعالى بالعبادة والطاعة وطاعة رسوله ﷺ، وفعل ما يحبه الله ورسوله، والنهي عما نهى عنه، من موالاة أعدائه ومحبة أوليائه، وترك الجهاد وغيرها(١).
- توحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال والجلال، ونفي ما نفاه عن نفسه مما يضاد ذلك، وذلك على طريقة سلف الأمة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل(٢).

فتقسيم أهل السنة مأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وقد دلهم عليه استقراؤهم لآيات كتاب الله تعالى التي شملت الحديث عن أنواع التوحيد الثلاثة(٣) بخلاف التقسيم الأشعري تقسيم غير شامل، بل تقسيم مبتدع خالفوا فيه منهج السلف وذلك للأسباب التالية(٤):

الأول: اعتقادهم أنَّ غاية التوحيد هو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق بالبارئ، الرازق المحيي المدبر، وأن غاية التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية، وأما معنى "لا إله إلا الله" أن الله تعالى وحده القادر على الاختراع، فإذا كان غاية التوحيد عندهم توحيد الربوبية فلا داعي للنظر إلى غيره من أنواع التوحيد.

الثاني: التغاير بين مفهوم الألوهية والربوبية، فالربوبية أقر به المشركون من العرب، بخلاف الألوهية الذي لا يقر به سوى الحنفاء المسلمين وهو المدخِل للإسلام، ولو كان توحيد الربوبية وحده صحيحًا لكان الكافر لا يُخلد في النار، لأنه لا يبقى فيها موحد.

الثالث: ولو كان توحيد الربوبية وحده كافيًا لما قاتل النبي ﷺ المشركين عليه، ولما دعاهم إلى توحيد الألوهية.

الرابع: استقراء النصوص الشرعية يوجب على المسلمين المصير إلى التقسيم الذي قسَّمه السلف رضوان الله عليهم، فآيات القرءان إما حديث عن الله تعالى وأفعاله كالخلق والإحياء

---

(١) انظر: الزهد والورع والعبادة، ابن تيمية، ص١٠٢.

(٢) انظر: الرسالة التدمرية، ابن تيمية، ج٤/٢.

(٣) وقد أكد هذا التقسيم عدد من علماء السلف منهم الإمام ابن تيمية، وابن القيم، وابن بطة والسفاريني والشنقيطي وغيرهم، انظر: الرسالة التدمرية، ابن تيمية، ج٤/٢، وانظر: متن القصيدة النونية، ابن القيم، ج٢٠١/١_٢٠٢، وانظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ابن بطة، تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي، ج١٧٣/٦، وانظر: لوامع الأنوار البهية، السفاريني، ج١٢٨/١، وانظر: أضواء البيان في إيضاح القرءان بالقرءان، الشنقيطي، ج١٧/٣.

(٤) انظر: دعاوي المناوئين لدعوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، آل عبد اللطيف، ص٣٢٨، ص٣٣٤، ص٣٣٥.

والإماتة والتدبير، أو حديث عن وجوب افراده بالعبادات الظاهرة والباطنة بجميع أنواعها من الدعاء والرجاء والخوف والتوكل وغيرها، أو حديث عن أسماء الله تعالى وصفاته.

ومن الجدير ذكره أيضًا أن الإمام القرطبي قد سار على منهج النفي المفصل والإثبات المفصل في صفات الله تعالى، ومنهج النفي المفصل يخالف منهج القرءان الكريم، فالقرءان الكريم لم يستخدم منهج النفي المفصل إلا في مواضع قليلة كنفي الولد والشريك ونفي الفقر وغير ذلك، وأما الإمام القرطبي فقد سار كما أسلفنا على منهج الأشاعرة في تفصيل النفي أولًا، واستخدام ألفاظ غير واردة في الكتاب والسنة ثانيًا، فيقول: "فليس بجسم ولا يحل في الأجسام ولا جوهر ولا يحل في الجواهر ولا عرض ولا تحله الأعراض... وأنه عالم قادر مريد حي موصوف بصفات الكمال من السمع والبصر والكلام وغير ذلك"[(١)].

وهذا النص الذي يُثبِت فيه الإمام القرطبي صفات الكمال نجد أنه يسير على منهج الأشاعرة الذين يستخدمون لفظ الجوهر والعرض، فها هو الإمام الآمدي يقول: "...وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا تحله الكائنات ولا تمازجه الحادثات ولا له مكان يحويه ولا زمان هو فيه أول لا قبل له، وآخر لا بعد له، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[(٢)]، وأما الإثبات فقد وافق الكتاب العزيز في تفصيل صفات الكمال لله جل جلاله، والألفاظ المجملة السابقة لا بد من النظر فيها، فإن أريد بها معنى حقًا قُبل منه المعنى ورُدَّ اللفظ، وإن أُريد معنى باطلًا رُدَّ المعنى، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: "فإن علينا أن نؤمن بما قاله الله ورسوله، فكل ما ثبت أن الرسول ﷺ قاله، فعلينا أن نصدق به، وإن لم نفهم معناه، لأنا قد علمنا أنه الصادق المصدوق الذي لا يقول على الله إلا الحق، وما تنازع فيه الأمة من الألفاظ المجملة كلفظ المتحيز والجهة، والجسم، والجوهر، والعرض وأمثال ذلك، فليس على أحد أن يقبل مسمى اسم من هذه الأسماء، لا في النفي ولا في الإثبات، حتى يتبين له معناه، فإن كان المتكلم بذلك أراد معنى صحيحًا، موافقًا لقول المعصوم كان ما أراده حقًا، وإن كان أراد به معنى مخالفًا لقول المعصوم كان ما أراده باطلًا"[(٣)].

ب- منهجه في إثبات النبوات:

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٤٤٠.

(٢) غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، ج١/ ١٧٩.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج١/٢٩٦.

وأما عن منهجه في إثبات النبوات، فالإمام القرطبي استخدم المنهج التقريري، فقد كان يعرض العقيدة بشكل واضح، وذلك على النحو التالي:[١]

١) ارسال الرسل من الأفعال الجائزة.

٢) الرسل جميعهم صادقون ومصدقون بالمعجزات.

٣) الرسل هم عبيد لله وبشر مثلنا وإن فضلهم الله تعالى علينا.

٤) أن المسلمين لا يفرقون بين أحد من الرسل.

٥) عموم رسالة النبي ﷺ إلى الناس كافة.

٦) لا يعذر من كفر بالنبي ﷺ ومصيره إلى النار.

٧) نسخ الشريعة الإسلامية لما تقدمها من الشرائع.

ففي هذه القواعد يقرر الإمام القرطبي مسألة كون الأنبياء من البشر وإن ميَّزهم الله علينا بالوحي والنبوة وكمال الصفات البشرية، بالتالي هو يُبطل قول من رفعهم فوق مكانتهم التي أعطاهم إياها الله ﷻ وعلى رأسهم النصارى الذين رفعوا المسيح رسول الله إلى منزلة الألوهية، أو بعض الفرق التي أعطت الأنبياء العديد من الصفات الإلهية.

ت- منهجه في إثبات اليوم الآخر:[٢]

وأما عن منهج الإمام القرطبي في إثبات اليوم الآخر فهو منهج تقريري أيضًا، فقد عرض العقائد المتعلقة باليوم الآخر بشكل واضح، وبمنهج تقريري، وذلك على النحو التالي:

١) إثبات كل ما جاء من أشراط الساعة وأمور اليوم الآخر.

٢) إثبات شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف من أهل الكبائر من أمته.

٣) الجنة والنار محسوستان وليستا معنويتان.

٤) خلود أهل الجنة والنار كلاهما سرمدي.

٢. شريعة الإسلام مستحسنة عقلًا[٣]:

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص ص٤٤٠-٤٤١.

(٢) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٤٤١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ص ٤٤٢-٤٤٦

فالإنسان العاقل يعرف حسنها وجمالها، وأنها جارية على منهج العقول لا تخالفها، وقد ذَكَرَ الإمام القرطبي محاسن هذه الشريعة ليبين موافقتها للعقول واستحسان العقول لها، فمما ذكره في ذلك أنها مبنية على مراعاة مصالح الدنيا والأخرة وكذا قائمة على حسن الخلق.

أ- مراعاتها لمصالح الآخرة: فقد توعد بالنعيم والعذاب الآخرويان بشكل واضح وبيِّن، بخلاف أهل الكتاب الذين كان توعدهم بالعذاب الدنيوي فقط مع إهمال الجانبين الآخرويان، وهذا واضح في كتبهم حيث تخلو بشكل كبير من ذكر الجنة والنار، بالإضافة لوجود العبادات المحضة كالصلاة والحج والتي مقصودها تعظيم الله تعالى والخضوع له ظاهرًا وباطنًا حتى تؤدي كل جارحة حقها في تعظيم الله تعالى.

ب- مراعاتها للمصالح الدنيوية: فمقصود الشرع منها حفظ الأديان والنفوس والأموال والأنساب والأعراض والعقول، ولأجل هذا حرَّم السرقة والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل وحرم كذلك الغيبة والنميمة والكذب، وحرم الخمر التي تذهب العقل، وأجاز القتل والديات ...الخ.

ت- قيامها على مكارم الأخلاق: فقد أمر الشرع بها ظاهرًا وباطنًا، وقد قسَّمها الإمام القرطبي إلى قسمين:

الأول: الأخلاق المحمودة ومنها: النظافة الحسية، والطهارة والتنزه عن الأقذار والذي يشمل طهارة الثياب والتطيب وتحسين الهيئة والتي جعل منها قص الشارب وإعفاء اللحية، بالإضافة إلى التنزه عن الأقذار، وحرم الميتة والدم ولحم الخنزير، والتنزه عن التبذير فنهى عن استعمال أواني الذهب والفضة ولبس الحرير.

النظافة الباطنية: فتشمل التخلي عن الأخلاق المذمومة والتحلي بالأخلاق المحمودة ومن الأخلاق المحمودة والتي هي بمثابة النظافة والتطهير من الأخلاق المذمومة: التوبة من المعاصي وحسن الصحبة والعدل والتواضع الكرم والزهد والصبر والإخلاص ...الخ.(١)

الثاني: الأخلاق المذمومة: وهي التي نهى عن الاتصاف بها، كالغضب والحسد والكبر والرياء والدناءة والرعونة وحب الجاه.

وهذا الذي ذكره الإمام القرطبي هو ما جمعه الله ﷻ في قوله: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٣].

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي ص ص٤٤٢-٤٤٦

قال الإمام البيضاوي: "الفواحش" ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج، "ما ظهر منها وما بطن" أي سرها وجهرها، "الإثم" قيل شرب الخمر وقيل ما يوجب الإثم، "البغي" الظلم أو الكبر، بالإضافة إلى الإشراك بالله تعالى والتَّقول على الله بغير علم[1].

٣. عدم إدراك العقل للعلة أو الغاية في كل الأمور:

إن للعقل مكانة ومنزلة عظيمة في الإسلام، فكثير من آيات كتاب الله ﷻ تثني على أولي الألباب وتدعو إلى التفكر والتأمل في ملكوت الله تعالى، فيقول الله ﷻ داعيًا أهل العقول للتدبر والتأمل: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقد تكرر ذكر العقل ومشتقاته في كتاب الله ما يقارب السبعين مرة، بل ذمت الآيات الكريمة الذين لا يُعمِلون عقولهم ويتبعون ما ألفوْ عليه آباءهم، ولم يكتفِ الإسلام بذاك، بل قد حفظ العقل من التعطيل والانحراف والجمود، وحث على النظر والتأمل والتدبر، وحرَّم كل ما من شأنه أن يؤذي العقل حسيًا كان أو معنويًا، فقد حرم الخمر، وحرم الولوج في التيارات الفكرية والعقائد الفاسدة، حتى قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب حينما وجد في يده صحيفة من التوراة: "**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**"[2]، وقد علم الله ﷻ أن هذا العقل قاصر عنن إدراك الهدى والضلال، بذاته فأرسل إليه الرسل وأنزل الكتب ليرشدوه إلى طريق الله ﷻ، ويؤكد الإمام القرطبي أن العقل أيضًا لا يدرك العلة أو الغاية في كل الأمور الشرعية، فهناك من المسائل التي أو مما يقوله النبي ما قد يعجز العقل عن إدراكه، وعدم إدراك العقل له ليس طعنًا في النبي أو الشرع وإنما العجز في حق العقل، فليس كل ما تأتي به الشرائع يعرف العقل جواز وقوعه، بل هناك أمور يجهلها العقل[3].

٤. دلالة صحة الدليل على وجوب صدق النبي ﷺ:

---

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ج٣/١١.

(٢) [مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد، ٢٣/ ٣٤٩: رقم الحديث ١٥١٥٦]،وحكم عليه الأرنؤوط بضعف إسناده.

(٣) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٤٤٧

إذا ثبت صحة الدليل كان ذلك دليلًا على صحة الشرع، فإن وُجد دليلًا صحيحًا وجب على من ظفر بهذا الدليل اتباع ذلك الشرع، فإذا ثبتت الأدلة الدالة على صدق النبي ﷺ وصدق شرعه، لزم النصارى وغيرهم قبول هذا الشرع الذي جاء به(١).

٥. **ثبوت قواعد الإسلام بالدليل السمعي والعقلي(٢).**

ولم يفصِّل الإمام القرطبي هذه الأدلة في كتابه، بل بين هذه القاعدة فقط، ونحن نذكر بإذن الله تعالى الأدلة العقلية والنقلية على كل قاعدة من هذه القواعد، ومن هذه القواعد:

أ- التوحيد

ب- النبوات

ت- اليوم الآخر

فأما القاعدة الأولى وهي إثبات التوحيد فقد فصلنا القول فيها في النقطة الأولى من هذا المطلب، وهنا نبين الأدلة العقلية والسمعية التي تعضد هذه القاعدة.

أ- الألة العقلية والسمعية لقاعدة التوحيد:

١) **الأدلة العقلية:** من المعلوم في العقل أمر وجود الخالق ﷻ، فهو أمر مستقر في الفطر السليمة، والقرءان الكريم خاطب العقول بخطابات عديدة واستثارها في مسألة التوحيد سواء الألوهية أم الربوبية ام الأسماء والصفات، وقد خاطب العقول بأدلة لا يستطيعون إنكارها ففي معرض استدلاله بتوحيد الربوبية، فهو يخاطب العقل بأسلوب واضح وصريح يفهمه كل من له أدنى مسكة عقل، فالقرءان الكريم جاء بأدلة لا يستطيع أن ينكرها عاقل، ونذكر بعضًا من هذه الأدلة:

الدليل الأول: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور:٣٥]، في هذه الآية يخاطب الله تعالى العقل البشري بما يراه في هذا الكون الفسيح، هل ما يراه من مخلوقات في السماء والأرض وُجدت من تلقاء نفسها أي من العدم، أم هي من خلقهم، وكلا الاحتمالين باطل فلا يقول عاقل أن الكون وُجد من تلقاء نفسه أو أنهم هم من خلق هذا

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٤٤٧.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص٤٤١.

العالم، فلم يبق إلا الاحتمال الثالث وهو الاحتمال الذي لم يذكره القرءان الكريم لبداهته واستقراره في العقول والفطر السليمة وهو أن الله تعالى هو خالق هذا الكون.

الدليل الثاني:﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ...﴾ [المؤمنون: ٩١]، في هذه الآية اشتملت على دليل يسمى دليل التمانع، كما يسميه العلماء، وحاصله لو فرضنا وجود آلهة أخرى مع الله تعالى إما أن تسَّلم له بالألوهية أو تنازعه فيها، ولا بد لهذا النزاع أن يظهر أثره في الكون، بحيث يذهب كل إله بخلقه، فالأول يلغي ألوهيتها إذ الخاضع ليس إلهًا مطلقًا، بل هو مألوه، وإما أن تنازعه ملكه وسلطانه فيظهر أثر هذا التنازع في الكون، ويكون حال هذه الآلهة المتنازِعة كحال ملوك الدنيا حينما يتنازعون.

٢) الأدلة السمعية:

وهي كثيرة جدًا من أبرزها سورة الإخلاص، وآية الكرسي ومن الأدلة السمعية لهذه القاعدة:

الدليل الأول: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٦٣

فبين الإمام أبو عبد الله القرطبي أن الله تعالى حذَّر من كتمان الحق وبين من خلال هذه الآيات أنَّ أول ما يجب اظهاره ولا يجوز كتمانه هو أمر التوحيد، وقد وصل ذلك بالبرهان والنظر أي التفكر في الكون والمخلوقات(١).

الدليل الثاني: قوله تعالي ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الأنعام: ١٠٢

بين الإمام ابن كثير أنَّ الله تعالى خالق كل شيء ولم تكن له صاحبة ولا ولد ولا شريك، وقد دعت الآيات إلى توحيده والإقرار له بالعبودية(٢).

ب- قاعدة إثبات النبوات وأدلتها العقلية السمعية

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، القرطبي، تحقيق: البردوني وإطفيش، ١٩١/٢.

(٢) انظر: تفسير القرءان العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ٣٠٩/٣.

من الأدلة العقلية للنبوات: إثبات مسألة النبوات لا يقتصر على الدليل النقلي وحده، بل هناك العديد من الأدلة العقلية تعضد هذا الدليل وتؤيده، وقد أشار الإمامين العظيمين الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم إلى بعض هذه الأدلة، فمما ذكره الإمام ابن تيمية أن هناك أصولًا ثلاثة لا يمكن للعقل أن يستقل بمعرفتها منها: إثبات الصفات والتوحيد وذِكْر أيام الله تعالى في أعدائه، وأصل ثانٍ تفصيل الشرائع والتعرف على مواقع رضا الله وسخطه فليس للعقل القدرة على معرفة ما يحبه الله تعالى ما يغضبه دون أن يرسل إلينا من يرشدنا ويبين لنا، وأما الأصل الثالث: فهو اليوم الآخر وما يتعلق فيه من الجنة والنار والثواب والعقاب، فهذه أصول ثلاث عليها مدار سعادة الخلق وفلاحهم في الدنيا والآخرة، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فلا يستطيع العقل أن يهتدي إلى تفاصيلها وحده دون هداية الرسل الكرام، وأضاف الإمام ابن تيمية أن العقل وإن كان يدرك الضرورة إليها إلا أنه لا يهتدي إلى تفاصيلها كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الدواء والعلاج ولكنه لا يهتدي إلى تفاصيل ذلك دون الطبيب، وبين كذلك أن حاجة الناس إلى الرسل تفوق حاجتهم إلى الدواء والطبيب فَإِنَّ آخِرَ مَا يُقَدَّرُ بِعَدَمِ الطَّبِيبِ مَوْتُ الْأَبْدَانِ وَأَمَّا إذَا لَمْ يَحْصُلْ لِلْعَبْدِ نُورُ الرِّسَالَةِ وَحَيَاتِهَا مَاتَ قَلْبُهُ مَوْتًا لَا تُرْجَى الْحَيَاةُ مَعَهُ أَبَدًا أَوْ شَقِيَ شَقَاوَةً لَا سَعَادَةَ مَعَهَا أَبَدًا فَلَا فَلَاحَ إلَّا بِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ(١)، وفي هذه النقطة يؤكد الإمام ابن القيم مسألة مدى حاجة الناس للرسالة فيقول: " حَاجَة النَّاس إِلَى الشَّرِيعَة ضَرُورِيَّة فَوق حَاجتهم إِلَى كل شَيْء وَلَا نِسْبَة لحاجتهم إِلَى علم الطِّبّ إِلَيْهَا إِلَّا ترى أَن أَكثر الْعَالم يعيشون بِغَيْر طَبِيب وَلَا يكون الطَّبِيب إِلَّا فِي بعض المدن الجامعة وَأما أهل البدو كلهم وَأهل الكفور كلهم وَعَامة بني آدم فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى طَبِيب وهم أصح أبدانا وَأقوى طبيعة... وَأما الشَّرِيعَة فمبناها على تَعْرِيف مواقع رضى الله وَسخطه فِي حركات الْعباد الاختيارية فمبناها على الْوَحْي الْمَحْض وَالْحَاجة إِلَى التنفس فضلا عَن الطَّعَام وَالشرَاب لِأَن غَايَة مَا يقدر فِي عدم التنفس وَالطَّعَام وَالشرَاب موت الْبدن وتعطل الرّوح عَنهُ وَأما مَا يقدر عِنْد عدم الشَّرِيعَة فَفساد الرّوح وَالْقلب جملَة وهلاك الْأَبدَان وشتان بَين هَذَا وهلاك الْبدن بِالْمَوْتِ..."(٢).

وأما الأدلة السمعية التي ذكرها الكتاب العزيز مؤكدة لقاعدة النبوات نذكر بعضًا منها:

- قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ**

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج١٩/ ٩٦-٩٧

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، ج٢/٢.

عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، ففي هذه الآية الجليلة يؤكد الله ﷻ أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه لم تخل أمة متقدمة أو متأخرة من رسل متوحِدون بالدعوة إلى التوحيد واجتناب الطاغوت[١].

- وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [فاطر:٢٤]، يقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: أنه ما من أمة من الأمم الدائنة إلا خلا فيها رسول نذير ينذرهم، قال قتادة: كل أمة لها رسول[٢].

والآيات في ذلك كثيرة جدًا لا يتسع المقام لحصرها.

ت- قاعدة إثبات اليوم الآخر وأدلتها السمعية والعقلية

والحديث عن اليوم الآخر وإن كان لا يُعلم كيفيته وأحواله إلا من جهة الوحي إلا أن القرءان الكريم أشار إلى بعض الأدلة العقلية التي تؤكد وقوع الحساب والجزاء في الدار الآخرة، من الأدلة العقلية التي تتحدث عن ذلك:

- الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة: ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ [يس: ٧٩]، فالذي أنشأها في المرة الأولى من لا شيء قادر على إعادتها مرة أخرى من شيء وهو عجب الذنب الذي لا يبلى[٣].

- الاستدلال بالأدنى على الأعظم: ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**﴾ [يس: ٨١]، فجاء في هذه الآية باستفهام تقريري ليؤكد أمر موجود بداهة في النفوس فإن البديهة قاضية أن من خَلَقَ السموات والأرض أقدر على خلق ناس بعد الموت[٤].

- وقوله تعالى: ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى* أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى* ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾ [القيامة:٣٦-٤٠]. ففي هذه الآيات يؤكد ربنا تبارك وتعالى على امر البعث والجزاء يوم القيامة، فكونه يترك سدى هذا معارض للحكمة الربانية، وكذلك

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ج١/ ٤٤٠.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرءان، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج٢٠/٤٦٠.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرءان، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم إطفيش، ج١٥/٥٨.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢٣/٧٨.

الاستدلال بالنشأة الأدنى وهو كونه نطفة، فَالْإِنْسَانُ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ وَطُوِّرَ أَطْوَارًا حَتَّى صَارَ جَسَدًا حَيًّا تَامَّ الْخِلْقَةِ وَالْإِحْسَاسِ فَكَانَ بَعْضُهُ مِنْ صِنْفِ الذُّكُورِ وَبَعْضُهُ مِنْ صِنْفِ الْإِنَاثِ، فَالَّذِي قَدَرَ عَلَى هَذَا الْخَلْقِ الْبَدِيعِ لَا يُعْجِزُهُ إِعَادَةُ خَلْقِ كُلِّ وَاحِدٍ كَمَا خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ بِحِكْمَةٍ دَقِيقَةٍ وَطَرِيقَةٍ أُخْرَى لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، ثم جاء بالاستفهام الاستنكاري ليقرر مسألة البعث وإعادة إحياء الموتى(١).

- الاستدلال بقانون الجزاء، حيث قال تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]. فليس من الحكمة الربانية أن يجعل الله تعالى المسلمين كالمجرمين في الآخرة

أما الأدلة النقلية التي تحدثت عن الإيمان باليوم الآخر فهي أكثر من أن تحصى منها:

- قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: ٦٢].
- قوله تعالى: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِين**﴾ [آل عمران: ١١٤]
- قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: ١٣٦]

فهذه بعض الأدلة العقلية والنقلية لقواعد الإسلام، والتي أكد فيها الإمام القرطبي أن كل قاعدة من هذه القواعد يعضدها دليل سمعي ودليل عقلي.

المطلب الثاني: منهجه في الدفاع عن الإسلام

دافع علماء المسلمين دفاعًا مستميتًا عن الإسلام وتعاليمه، ووقفوا موقفًا عظيمًا ضد الشبهات التي يثيرها المشككون والجاحدون حول الإسلام وتعاليمه، والإمام القرطبي واحد من هؤلاء العلماء، دافع عن الإسلام ليس لأن الإسلام متهم ولكن ردًا على الشبه التي أثارها النصارى، فبين في بداية هذا الكتاب اعتقادات النصارى ومدى فسادها ومخالفتها لضروريات

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢٩/٢٦٨.

العقل، ثم عرض عقائد الإسلام وبين مدى إشباعها للفطرة وموافقتها للعقل، وفي نهاية هذا الكتاب ذكر فصلًا في الدفاع عن الإسلام، يذكر فيه بعض ما نسبه رهبان النصارى للإسلام وهو منه براء، أو ما ذكروه نتيجة فهم مغلوط، أو احتجاج ليس في موضعه.

والإمام القرطبي كان له منهجه الذي سار عليه في دفاعه عن الإسلام، وهو ما يمكن بيانه في النقاط التالية:

أولًا: عدم نبذ الشرائع أو جحودها إذا كان العقل يجيز وقوعها

ذكر الإمام القرطبي أن المجوَّز يُتلقى عقلًا بالقبول وذلك إذا علم صدق الشرع، فإن كان الشرع صحيحًا قبل منه كل ما يقول حتى ما قصر العقل عن إدراكه، لأن ذلك عجز في حق العقل، فليس كل ما تأتي الشرائع به يعرف العقل جوازه قبل وقوعه، بل قد يكون منه ما يجهله، ولا يستطيع العقل الوصول إليه، ومع ذلك لا ننبذ الشرائع بما أنَّ العقل لا يقطع باستحالة هذه الأمور[١].

وقد أكد هذا المعنى الذين بينه الإمام القرطبي الإمام ابن تيمية، فيقول: " فإن الرسل صلوات الله عليهم وسلامه قد يخبرون بمحارات العقول وهو ما تعجز العقول عن معرفته ولا يخبرون بمحالات العقول وهو ما يعلم العقل استحالته"[٢].

ويُضاف لذلك أن العقل قد يعجز عن إدراك بعض الشرائع أو الأحكام حتى بعد وقوعها، وهناك أمور لا يمكن للعقل أن يستقل بمعرفتها وكما يقول الإمام ابن القيم:

لا يســـتقل العقـــل دون هدايـــة	بـــالوحي تأصـــيلًا ولا تفصـــيلًا
كـالطرف دون النـور لـيس بمـدرك	حتـــى يـــراه بكـــرة وأصـــيلًا
وإذا الظـــلام تلاطمـــت أمواجـــه	وطمعـت بالإبصـار كنـت محـيلًا
فـإذا النبـوة لـم ينلـك ضـياؤها	فالعقـل لا يهـديك قـط سـبيلًا

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٤٤٧.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية، ج٢/٣٦١.

نـــور النبـــوة مثـــل نـــور الشـــمس للعـــين البصـــيرة فاتخـــذه دلـــيلًا[1]

ويرى الإمام ابن القيم أن الشريعة تأتي بمجازات العقول لا محالاتها، ولا يمكن لأحد الادعاء أن العقل قد يستقل بمعرفة الشرع وحده بحيث لو ترك لاهتدى إلى جميع تفاصيل الشريعة[2]، فهناك من الأمور التي لا يستطيع العقل أن يعرفها من تلقاء نفسه، كأمور العبادات وما يحبه الله تعالى ويرضاه، وما لا يحبه ويرضاه، بالإضافة إلى ما أخبرت به الشرائع من أحداث الأمم السالفة فإن العقل لا يستطيع أن يصل إلى معرفة ذلك، ولكنه لا ينكر وقوعها، بالإضافة إلى الأمور الغيبية كالحشر والصراط والجنة والنار ...الخ، فهذه كلها أمور لا يستقل العقل بمعرفتها، بل لا يستطيع الإنسان أن يتوصل إليها بمجرد عقله، والشرائع بكل ما جاءت به سواء من هذا القبيل او من قبيل آخر لا ترفضها العقول أبدًا، وذلك أن الشرع لا يأتي بما يستحيل في العقول وقوعه، ومن أبرز هذه الاستحالات ما تقوم عليه عقيدة النصارى الأساسية من أمر التثليث.

ثانيًا: أسلوب الرفق واللين

بين الإمام القرطبي أنه لن يتعرض بالسب والشتم للنصراني المجادل له أو للنصارى بشكل عام فيقول في كتابه: "وسأبين ذَلِك إِن شَاءَ الله تَعَالَى على أَنِّي لم أتعرض لهَذِهِ السَّائِل وَلَا لأحد من ملتهم بالسب أَكثر من تَبْيِين جهلهم وركاكة هذيانهم وَقَوْلهمْ وَرُبمَا أغاظوا فِي بعض الْأَقْوَال لما ارتكبوا فِيهَا من الْقَبِيح والمحال فأطلقت عَلَيْهِم اللَّعْنَة حسب مَا تَقْتَضِيه الْبغضَاء والأحنة وتعويلًا على مَا فِي التَّوْرَاة من لعنتهم وركاكة شرعتهم"[3].

فبين الإمام القرطبي أن منهجه في الرد على النصارى هو منهج الرفق واللين، فهو لن يسب ويشتم النصارى بما لا يليق من ألفاظ، لكن هذا لا يمنعه من استخدام بعض ألفاظ التي يستحقونها، كاللعن حسب ما يقتضيه الموقف، فمنهجه منهج مناقشة ومحاورة كما بين في بداية هذا الكتاب حيث قال: "فأذكر كَلَام هَذَا السَّائِل كَمَا بَلغنِي وَأبين من خطئه وتناقضه مَا شَاءَ الله

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ج٣/ ٩٨١.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، ج٢/ ٩٩.

(٣) الإعلام، القرطبي، ص٤٣٨.

أَن يفهمني فأناقشه فِي لَفظه وَأظْهر سوء نَقله وَحفظه فَتَارَة أسأله وَأُخْرَى أجاوبه ليعلم أَن النَّاقِد بَصِير والباحث خَبِير وليتبين عيه وجهله للكبير وَالصَّغِير..." [١].

وأما الغلظة والشدة التي استخدمها فهي غلظة لإظهار العي والضعف والفساد وبيان ركاكة المذهب، فعندما بين ركاكة لغته ومخالفة الألفاظ التي يستخدمها للغة يقول للنصراني: "وَلَو كَانَ يشم رَائِحَة من كَلَام الفصحاء لوبخ نَفسه على القالة هَذِه الشنعاء"[٢]

فكان رده ليس مخالفًا للرفق واللين المطلوب، فإنما خاطبه بهذا الخطاب لشدة جهله باللغة وتضارب الألفاظ عنده.

وكذا عند حديثه عن مذاهبهم في الأقانيم واختلافهم فيها ومكابرتهم لضرورات العقل نجده يؤكد حماقتهم وجهلهم وغباءهم فيقول: "وَذَلِكَ كُله يدل على أَنهم لَيْسُوا من الْعُقَلَاء وَلَا معدودين من جملَة الْفُضَلَاء بل قد انخرطوا فِي سلك الحمقاء الجهلة الأغبياء فهم قد جعلُوا إلههم هواهم فأضلهم لذَلِك وأرداهم"[٣].

ومع ذلك نجد الإمام القرطبي يؤكد حرصه على هداية النصراني وغيره من أهل ملته، وأن نظرته لهم لا تتجاوز نظرات الرحمة وتمني الهداية، فيقول: "فَالله الله أدْرك بَقِيَّة نَفسك قبل حُلُول رمسك وَاسْتعْمل سديد عقلك وَلَا تعول على تَقْلِيد فَاسد نقلك وَاتبع الدّين القويم دين الْأَب إِبْرَاهِيم فَمَا كَانَ ﴿**يَهُودِيّا وَلَا نَصْرَانِيّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفا مُسلما وَمَا كَانَ من الْمُشْركين**﴾ [آل عمران:٦٧]، فَالله يعلم أَنِّي أنظر إِلَيْك وَإِلَى كَافَّة خلق الله بِعَين الرَّحْمَة وأسأله هِدَايَة من ضل من هذه الْأمة وأتأسف على الأباطيل الَّتِي ينتحلون فَإنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون"[٤]، فهو يبين أن المراد من جداله ومحاورته للنصارى هو طلب الهداية لهم، وارجاعهم إلى دين الفطرة دين الإسلام.

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص٥١.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٨.

(٤) المرجع نفسه، ص١٠١.

ثالثًا: تفنيد الشبهات المثارة ضد تعاليم الإسلام

استخدم الإمام القرطبي عدة مناهج علمية لتفنيد الشبهات التي آثارها النصارى ضد تعاليم الإسلام، وقد فند الشبهات في معرض دفاعه عن الإسلام، فلم يبقِ للنصارى حجة على هذا الدين، بل بين أن هذه الشبهات ناشئة نتيجة إما سوء فهمهم أو سوء نيتهم.

وقد استخدم الإمام القرطبي المنهج النقلي والمنهج العقلي بالإضافة للمنهج المقارن، وسنبين بإذن الله تعالى في النقاط التالية استخدامه للمناهج السابقة.

١. المنهج النقلي:

بينا سابقًا معنى المنهج النقلي(١)، واستخدام الإمام القرطبي له في تفنيده لعقائد النصارى الأساسية كالحلول والاتحاد، ونبين في هذه النقطة استخدام الإمام القرطبي له في معرض دفاعه عن الإسلام، وقد تجلى استخدام الإمام القرطبي للمنهج النقلي في نقطتين أساسيتين، وهما:

أ- تفنيد الشبهات من خلال كتب أصحابها

ب- تفنيد الشبهات من خلال نصوص الكتاب والسنة

وقبل البدء ببيان وتوضيح استخدام الإمام القرطبي لهذه المناهج، نؤكد أن الإمام القرطبي كان يفند الشبه من خلال كتب أصحابها، أي من التوراة والإنجيل، فإذا أكد تناقضها وبطلانها، أتبع ذلك ببيان الوجه المشرق المضيء من الكتاب والسنة وهو خلاف ما يدعى النصارى ويحاولون بافتراءاتهم تضليل العامة، فيثبت أن ما في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ خلاف ذلك، بل هي الكتب الوحيدة التي لم تتعرض لتحريف ولا تبديل، فهي تنزيل الحكيم الخبير.

أ- تفنيد الشبهات من خلال كتب أصحابها

يثير النصراني صاحب كتاب الحروف العديد من الشبهات ضد نبي الإسلام وضد تعاليمه، من أبرز هذه الشبهات:

١) أن النبي محمد ﷺ ادعى النبوة فأظهر صفة الحملان وعمل عمل الذئاب من التحريض والقتل.

٢) الاعتراض على قضية تعدد الزوجات، والطلاق، والزواج من المطلقات.

---

(١) انظر: صفحة (٨٤) من هذه الرسالة.

٣) الادعاء بأن شرعنا يتهم الله تعالى بالجور والقسوة، حينما أخبر بأن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

٤) ادعاء القوطي أنه لا فائدة من الأحكام الإسلامية فالأحكام منحصرة بين الحكم التوراتي والحكم الإنجيلي[١].

رد الإمام القرطبي على هذه الشبهات ضعيفة وركيكة تهدف إلى تجهيل للعامة، وناقشها من نصوص التوراة والإنجيل، مبطلًا لجميع جزئيات الشبهة ناسفًا لها، بعد إبطالها أتبع ذلك ببيان نصوص الكتاب والسنة، **وكان رده على النحو التالي:**

١) الادعاء بأنه من أنبياء الكذب مخالف لما ورد في كتب الأنبياء التي تشهد بصدقه، ومن هؤلاء الأنبياء عيسى عليه السلام الذي أخبر بقدوم البارقليط[٢].

٢) أما قولهم عمله عمل الذئاب وسمته سمة الحملان، فبين أنه لا فرق بينه وبينهم إلا أنه أكملهم كما أخبر النبي أشعيا في صحفه فيقول: "أَتَت أَيَّام الإفتقادات أَيَّام الْكَمَال ثمَّ قَالَ لِتَعْلَمُوا يَا بني إِسْرَائِيل الْجَاهِلين أَن الَّذِي تسمونه ضَالًّا هُوَ صَاحب النُّبُوَّة تفترون بذلك على كَثْرَة ذنوبكم وَعظم فجوركم"[٣]، فمن خلال هذا النص يبين القرطبي أن المراد بهذا النص هو نبينا لا غيره، لأن الخطاب كان لبني إسرائيل جميعًا ولم تكذب بني إسرائيل جميعها إلا بنبوة محمد ﷺ.

٣) وكذا عند اعتراض النصراني على القتال في الشريعة الإسلامية، يؤكد الإمام القرطبي بطلان شبهتهم فالشرع الإسلامي ليس غريبًا عن شرائع التوراة التي جاءت بقتال الجبارين وقد قام يوشع بن نون بأشد القتل وأعظم الهوان[٤].

بالإضافة لذكره العديد من النصوص التوراتية والإنجيلية التي تبشر بقدوم نبي يبعث بالسيف وقد ذكر منها: "فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ، وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ"[٥].

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٤٤٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٤٤٨.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص٤٤٩

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص٤٥١

(٥) انظر: المرجع السابق، ص٤٥١، سفر أشعياء، ٢١: ١٥.

ويقول كذلك: "حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ وَلاَ أَحْذِيَةٍ، هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ؟فَقَالُوا: لاَ، فَقَالَ لَهُمْ: لكِنِ الآنَ، مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا"(١).

فهذه بعض النصوص الوثائقية المأخوذة من التوراة والإنجيل أبطل بها الإمام القرطبي شبهاتهم حول شريعة الإسلام.

ب- رده من خلال الكتاب والسنة:

لم يكتفِ الإمام القرطبي ببيان بطلان الشبه النصرانية حول تعاليم الإسلام من خلال النصوص التوراتية والإنجيلية، بل بين أن ادعاءاتهم مخالفة لحقيقة تعاليم الإسلام، وقد أعقب كلامه بعد الرد على شبهاتهم بيان ما في الكتاب والسنة، من ذلك:

في بداية ادعاء النصراني أن نبي الإسلام من جملة الأنبياء الكذبة، فبعد بيان بطلان هذا الادعاء من خلال الأناجيل وكتب الأنبياء أتبع ذلك بكلام النبي ﷺ :" **لا تقوم السَّاعة حتى يخرُجَ ثلاثون كذَّاباً دجَّالاً، كلُّهم يكذبُ على الله وعلى رسوله**"(٢).

وعند رده على قول النصراني أن النبي ﷺ أمر بالعداوة بين الناس، بين أن هذا الكلام مخالف للواقع الذي يشهد أنَّ النبي ﷺ قد أمر بالألفة والاجتماع والتحاب بين الناس، وقد أظهر ذلك حينما عرض شهادة الله تعالى له حينما قال ﷻ: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾(٣) [التوبة: ١٢٨].

وعند الحديث على أن الأحكام حكمين لا ثالث لهما الحكم التوراتي الذي يقتضي القصاص والحكم الإنجيلي الذي يقتضي العفو، بين الإمام القرطبي أن هناك حكمًا ثالثًا حكمًا وسطًا وهو الحكم القرءاني: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾(٤) [النحل: ١٢٦]، فهذا الحكم القرءاني وهو أكمل الحكمين.

---

(١) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٤٥١، إنجيل لوقا، ٢٢: ٣٥/٣٦.

(٢) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٤٤٩، [سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الملاحم/ بابخبر ابن صائد، ٣٨٥/٦: رقم الحديث ٤٣٢٩].

(٣) انظر: الإعلام، القرطبي، ص٤٥٠.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٣٥٤.

٢. المنهج العقلي:

استخدم الإمام القرطبي مجموعة من المناهج العقلية في سياق رده على النصارى، فتارة يستخدم السبر والتقسيم، وتارة الإلزامات وتارة المقارنة.

وسنبين في هذه النقاط استخدام الإمام القرطبي لهذه المناهج العقلية في رده على شبهات النصارى وتفنيده لها.

أ- السبر والتقسيم

استخدم الإمام القرطبي منهج السبر والتقسيم في العديد من مواطن الكتاب ليحصر جميع أوصاف الحكم فيبطلها ولا يبقي إلا الحق والصواب، وهكذا فعل الإمام القرطبي في معرض دفاعه عن دين الإسلام في العديد من المواطن، والتي منها: عند ادعاء النصراني أن القتال غير مشروع لهم وذموا الشريعة التي جاءت به، فبعد أن بين الإمام القرطبي كذبهم من خلال نصوص كتبهم ومن خلال أقوالهم وتاريخهم، كذلك أبطل ما راموا إليه من خلال منهج السبر والتقسيم، فيقول مخاطبًا لهم: "قتالكم من خالفكم لَا يَخْلُو إِمَّا أَن يكون مَشْرُوعا لكم أَو غير مَشْرُوع لكم فَإِن كَانَ مَشْرُوعا لكم فلأي معنى تخالفونا فِي ذَلِك وتذموا شرعنا لأَجله وَإِن لم يكن مَشْرُوعا لكم فلأي معنى تركْتُم شرعكم وفعلتم خِلَافه"[١].

ثم يكمل على نهج السبر والتقسيم فيسألهم إن حل لهم ذلك فكيف حل لهم؟ فيقول: "وَكَيف حل لكم ذَلِك فَأَنْتم بَين أَمريْن قبيحين عَلَيْكُم إِمَّا أَن تعترفوا بِأَن قتال الْأَعْدَاء جَائِز حسن فَلَا تَذُمُّوا شرعنا لأَجله، وَإِمَّا أَن تعترفوا بِأَنَّهُ غير جَائِز وقبيح، فيلزمكم التَّنَاقُض والسفه وَالْخُرُوج عَن شَرِيعَة الْمَسِيح"[٢]، وبالتالي لا يبقى إلا أن يقال أنَّ قتال الأعداء جائز في شرعنا كما هو جائز في شرع من قبلنا.

فهذه بعض صور استخدام الإمام القرطبي لمنهجية السبر والتقسيم في معرض دفاعه عن الإسلام والشبه المثارة ضده، فقد حصر كل الصور والأوصاف الممكنة لهذه الدعوة ومن ثم إبطالها وبيان أنه لا يصلح منها شيء.

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٤٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص٤٥٢.

ب- الإلزامات

فالنصراني يدعي أن شرعهم جاء بعدم القتال بل بالسلام، فهذه الدعوى التي يدعيها النصارى دعوى السلام دعوى باطلة، ويلزمهم من هذه الدعوى عدة إلزامات باطلة:

يقول الإمام القرطبي: "...ثمَّ يلزمكم على ذَلِك أَن تعترفوا بِأَن شرعكم نَاقص إِذْ قد بَين لكم نَبِيكُم بعض الْمصَالح وَترك بَعْضهَا وَهُوَ الْقِتَال الَّذِي استدركتموه بنظركم من حَيْثُ كَانَ ضَرُورِيًّا ومحتاجًا إِلَيْهِ وتعترفوا بِكَمَال الشَّرْع الَّذِي جَاءَ بِالْقِتَالِ الَّذِي هُوَ شرعنا"[(١)].

فالإمام القرطبي يلزمهم بعدة إلزامات باطلة وهي كالآتي:

- أن شرعهم ناقص، فنبيهم قد بين لهم بعض الأمور وترك بعضها فلم يذكرها لهم.
- أن الشرع الذي بالقتال أكمل من الشرع الخالي من القتال.

وهذا إلزام لهم لا يستطيعون الفرار منه أبدًا فإن قالوا بخلو شريعتهم من القتال فكلامهم باطل بنصوص التوراة والأناجيل التي حوت الكثير من النصوص التي تحث على القتال[(٢)]، بالإضافة إلى تاريخهم المليء بالحروب، وإن قالوا بشريعة القتال فعلام تُلام الشريعة المحمدية!!

ت- المنهج التقريري

بينا خلال صفحات هذه الرسالة أن الإمام القرطبي استخدم المنهج التقريري ليُظهر جمال الإسلام وعظمته، وموافقته للعقل والنقل، ونجده هاهنا يستخدم المنهج التقريري في معرض دفاعه عن الإسلام، فهو يرد شبهات النصارى متبعًا ذلك بالتقرير لحقيقة الإسلام وحقيقة عقائده وتعاليمه، فمن ذلك:

عند الحديث عن كلام النصارى عن أن الأحكام عندهم منحصرة بين أحكام التوراة المتشددة وأحكام الإنجيل المتساهلة فقط، فيقول الإمام القرطبي: "وَعند هَذَا يتَبَيَّن فَسَاد قَوْلهم إِن الحكم حكمان لَا ثَالِث لَهما وَيفْسد عيبهم علينا الْقصاص وَذَلِكَ أَنهم يَزْعمُونَ أَن حكم التَّوْرَاة يقتضى الْقصاص وَحكم الْإِنْجِيل يقتضى الْعَفو ثمَّ زعم ذَلِك الْجَاهِل أَن لَا حكم ثَالِث وَلم يشر بثالث متوسط هُوَ أكملهما وأتمهما وَهُوَ الحكم الفرقاني حَيْثُ قَالَ الله الْعَظِيم ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾ [النحل:١٢٦]، وَقَالَ تعالى:

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٤٥٣.

(٢) احتوت التوراة والأناجيل الكثير من النصوص التي تحرض على القتل والحروب والانتهاكات ومن هذه النصوص: سفر التكوين:٣٤، صموئيل الأول: ٣/١٥، سفر العدد: ٣١...الخ.

﴿وَلمَنْ صَبرَ وَغفَرَ إنَّ ذَلِك لَمِنْ عَزْم الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾**" [الشورى: ٤١][١].

فهو يقرر أن هناك حكمًا وسطًا وهو حكم القرءان، وهذا المنهج التقريري له فائدة عظيمة وهي إبراز الوجه المشرق للإسلام وأنه الدين الموافق للعقل والفطرة، بالإضافة إلى أنه بعد كل اتهام من قبل النصارى يقوم الإمام القرطبي بإبطال شبهاتهم وإتباعها ببيان دين الحق، ولا يزيد هذا الرد والتقرير الشبهة إلا إبطالًا وتأكيدًا للعقائد والمفاهيم والشرائع الإسلامية.

---

(١) الإعلام، القرطبي، ص٤٥٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني وأعانني على إتمام هذه الرسالة، وأسأل الله تعالى في ختام هذه الرسالة أن يبارك فيها ويتقبلها، وأن يجعلها منهلًا لطلبة العلم، وقد توصلت الباحثة في ختام هذا البحث إلى العديد من النتائج والتوصيات، أبرزها:

أولًا: النتائج

١. يعد كتاب الإعلام موسوعة علمية في مجال مقارنة الأديان، بما اشتمل عليه من عرض ونقد لعقائد وتشريعات النصارى، وإظهار لمحاسن دين الإسلام.

٢. مؤلف كتاب الإعلام هو الإمام أبو العباس القرطبي، وهو شخصية لها من القدر والعلم والمكانة والاطلاع الواسع، فهو علَّامة فهَّامة فقيه، مطلع على دقائق الدين النصراني، وقد نُسب الكتاب إلى غيره، فقد نسب للإمام المفسِّر أبي عبد الله القرطبي، وقد توصلت الدراسة إلى أن مؤلفه هو الإمام أبو العباس القرطبي.

٣. الإمام القرطبي متأثر بالمذهب الأشعري في كتابه، وهذا يظهر جليًا عند حديثه في مباحث التوحيد.

٤. تنوعت المناهج العلمية التي استخدمها الإمام القرطبي في رده على النصارى، وإبطال عقائدهم الأساسية وإبطال تشريعاتهم، وكذا في إثبات نبوة محمد ﷺ، وتقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة، فاستخدم المنهج العقلي النقلي والتاريخي والمقارن والمنهج التقريري.

٥. غلب على الإمام القرطبي استخدام المنهج النقدي في نقده لعقائد النصارى الأساسية كالتثليث والحلول والاتحاد.

٦. استعمل الإمام القرطبي مجموعة من القواعد العقلية في نقد التثليث أبرزها: علم البدهيات، الاستفهام الاستنكاري، إثبات التناقض، السبر والتقسيم، إلزامهم بالمحالات، والتنزل مع الخصم.

٧. استخدم الإمام القرطبي المنهج النقلي في رده على النصارى في عقائدهم الأساسية، وقد ظهر استخدامه لهذا المنهج في محورين أساسيين وهما: النقد من خلال كتب أهل الكتاب، وتقرير العقيدة الصحيحة.

٨. وضع الإمام القرطبي مجموعة من القواعد في أسماء الله تعالى وصفاته، أبرزها: بطلان قياس الغائب على الشاهد، وإبطال مصطلح التولد، وعدم تسمية الباري إلا بما سمَّى به نفسه، وعدم جواز السؤال بكيف في صفات الله تعالى.

٩. نوَّع الإمام القرطبي الأدلة التي استخدمها لإثبات نبوة محمد ﷺ، فكانت شاملة بشكل كبير، فكان منها بشارات أهل الكتاب، ومنها بشارات القرآن الكريم، ومنها دلائل المعجزات التي وقعت على يديه ﷺ.

١٠. أبرزت الدراسة البشارات بنبوة محمد ﷺ من خلال كتب النصارى، بشكل يُثبت مدى تلاعب أهل الكتاب بكتابهم، ومدى محاولاتهم لطمس نور النبوة، عبر محاولتهم إخفاء اسم وصفة النبي ﷺ من كتبهم، وصرفها لغيرها.

١١. استخدم الإمام القرطبي المنهج التقريري في عرض قضايا العقيدة الإسلامية وتقريرها.

١٢. بين الإمام القرطبي أن الشرائع لا تُنبذ إذا كان العقل يُجيز وقوعها، فالشريعة تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها.

١٣. رغم الشدة التي اتصف بها أسلوب الإمام القرطبي في بعض المواضع إلا أنه يُظهِر أسلوب اللطف واللين مع أعدائه من النصارى، وهو الأسلوب الذي ينبغي على طالب العلم أن يسلكه.

ثانيًا: التوصيات

١. توصي الباحثة بالاستمرار في الكتابة المتعلقة بمناهج العلماء سواء القدامى أم المعاصرين، كالإمام الخزرجي، والإمام أبو الريحان البيروني، والقاضي عبد الجبار، الشيخ رحمت الله الهندي، وغيرهم من أجل الوقوف على الأسس والقواعد التي أرساها هذا العالم.

٢. التركيز على نشر الكتاب والاهتمام بالقيمة العلمية الموجودة فيه، ونشر الدراسات المتعلقة بالإمام القرطبي، سواء المنهج أم الجهود.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. *الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة*، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان بن عبد الله بن آدم الأثيوبي، الرياض، دار الراية، ط٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢. *أبجديات البحث في العلوم الشرعية*، د. فريد الأنصاري، ط١، الدار البيضاء، منشورات الفرقان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م

٣. *أبكار الأفكار في أصول الدين، علي بن محمد بن سالم التغلبي*، سيف الدين الآمدي، تحقيق: أ.د. أحمد محمد المهدي، ط٢، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م

٤. *ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان*، محمود حماية، ط١، مصر، دار المعارف، ١٩٨٣م

٥. *الإتقان في علوم القرءان*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م

٦. *الإحاطة في أخبار غرناطة*، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، المشهور بلسان العرب ابن الخطيب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ

٧. *إختيار مدينة أفسس مدينة العذراء مريم*، عزت أندراوس، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٨/٠٤/٢٧م. الرابط: http://www.coptichistory.org/new_page_689.htm

٨. *الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى*، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، تحقيق: محمد الصباغ، بيروت، دار الأمانة مؤسسة الرسالة

٩. *الأشاعرة في ميزان أهل السنة*، أبو عثمان فيصل بن قزار الجاسم، ط١، الكويت، المبرة الخيرية لعلوم القرءان والسنة، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م

١٠. *أصول البحث*، د. عبد الهادي الفضلي، ط٢، بيروت، دار المريخ، ١٩٩٢م.

١١. *أضواء البيان في إيضاح القرءان بالقرءان*، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م

١٢. *أضواء على المسيحية*، متولي يوسف شلبي، ط١، الدار الكويتية للنشر والتوزيع، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م

١٣. *إظهار الحق*، محمد بن رحمت الله بن خليل الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، ط١، السعودية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م

١٤. *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث*، أحمد بن الحسين البيهقي، ط١، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠١هـ

١٥. *إعجاز القرءان الكريم*، فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، (د.ط)، القاهرة، دار الفكر ٢٠٠١م.

١٦. *إعجاز القرءان بين المعتزلة والأشاعرة*، د. منير سلطان، ط٣، مصر، منشأة المعارف، ١٩٨٦م.

١٧. *إعجاز القرءان والبلاغة النبوية*، مصطفى صادق الرفاعي، ط٨، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥هـ

١٨. *إعجاز القرءان*، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٥، مصر، دار المعارف، ١٩٩٧م

١٩. *أعلام النبوة*، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ط١، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٠٩هـ

٢٠. *إفحام اليهود وقصة إسلام السموآل ورؤياه النبي ﷺ*، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، تحقيق: د. محمد عبد الله الشرقاوي، ط٣، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٠م

٢١. *الاقتصاد في الاعتقاد*، أبو حامد بن محمد الغزالي الطوسي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، ط١، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م

٢٢. *الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية*، آمال بنت عبد العزيز العمرو، ط١، (د.م)، (د.ن)، (د.ت)

٢٣. *الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع*، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط١، القاهرة، مكتبة التراث، تونس، المكتبة العتيقة، ١٣٧٩هـ، ١٩٩٧٠م

٢٤. *انبعاث الإسلام بالأندلس*، علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني، ط١، لبنان، دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

٢٥. *الأنساب*، عبد الكريم السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، حيدر آباد، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية

٢٦. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ

٢٧. *البحر المحيط في أصول الفقه*، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: د. محمد محمد تامر دار الكتب العلمية، (د.ت).

٢٨. *البداية والنهاية*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

٢٩. *البداية والنهاية*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: علي شيري،

٣٠. *بشارة أحمد في الإنجيل*، محمد الحسيني الري، ط١، (د.م)، (د.ن)، (د.ت)

٣١. *بشرية المسيح ونبوة محمد عليهما السلام في نصوص كتب العهدين*، د. محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرياض، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٣٢. *البلدان*، أحمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ

٣٣. *بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية*، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ط١، مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٣٩٢هـ

٣٤. *تاريخ ابن خلدون "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*"، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م

٣٥. *تاريخ ابن خلدون*، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة،

٣٦. *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي

٣٧. *تاريخ قضاة الأندلس*، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الاندلسي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط٥، لبنان، دار الأفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٣٨. *التحرير والتنوير*، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ط١، لبنان، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م

٣٩. *التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية*، فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري، ط٣، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ

٤٠. *تخجيل من حرف التوراة والإنجيل*، صالح بن الحسين الجعفري، أبو البقاء الهاشمي، تحقيق: عبد الرحمن قدح، ط١، السعودية، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م

٤١. *تذكرة الحفاظ*، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، ط ١، لبنان، دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

٤٢. *التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة*، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الرياض، مكتبة دار المنهاج.

٤٣. *التفسير القيم*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف الشيخ: إبراهيم رمضان، ط١، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤١٠هـ

٤٤. *تقريب التدمرية*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٥. *التكملة لكتاب الصلة*، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، تحقيق: عبد السلام الهراس، لبنان، دار الفكر للطباعة، (د.ت).

٤٦. *تلخيص صحيح الإمام مسلم*، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: رفعت فوزي عبد الغني، أحمد محمود إبراهيم الخولي، ط٢، مصر، دار السلام، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م

٤٧. *تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل*، محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

٤٨. *تهذيب اللغة*، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م

٤٩. *توجيه النظر إلى أصول الأثر*، طاهر بن صالح (أو محمد صالح) ابن أحمد بن موهب، السمعوني الجزائري، ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤١٦هـ،١٩٩٥م

٥٠. *توضيح المقاصد وتصحيح العقائد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم*، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش ط٣، بيروت، المكتب الاسلامي، ١٤٠٦هـ

٥١. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م

٥٢. *جامع البيان في تأويل القرءان*، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م

٥٣. *الجامع لأحكام القرءان*، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم إطفيش، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م

٥٤. *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: علي بن حسن وآخرون ط٢، السعودية، دار العاصمة، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م

٥٥. حز *الغلاصم في إفحام المخاصم* عند جريان *النظر في أحكام القدر*، شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة أبو الحسن القفطي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٥هـ

٥٦. حسن *المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م

٥٧. *الدر المنثور*، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر

٥٨. *درء تعارض العقل والنقل*، أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م

٥٩. *دراسة القرءان الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس*، محمد خليفة حسن، ط١، السعودية، مجمع الملك فهد للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

٦٠. *دعاوي المناوئين لدعوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب*، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، ط١، المملكة العربية السعودية، دار الوطن، ١٤١٢هـ

٦١. *دلائل النبوة*، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، تحقيق: محمد محمد الحداد، ط١، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٩هـ

٦٢. *دلائل النبوة*، الإمام البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م

٦٣. *دولة الاسلام في الأندلس*، محمد عبد الله عنان، ط٤، القاهرة، الناشر: مكتبة الخانجي

٦٤. *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، الناشر، دار التراث

٦٥. *ديوان الحماسة*، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق، أحمد حسن بسج، (د.م)، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٦٦. *ديوان المعاني*، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، بيروت، دار الجيل، ط١، (د.ت)

٦٧. *ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد*، محمد بن أحمد بن علي، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ت).

٦٨. *ذيل مرآة الزمان*، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني ط٢، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م

٦٩. *رحلات أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي في المغرب والمشرق ومؤلفاته العلمية*، سمير القدوري، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٨/٠٢/١٤م. الرابط: http://cutt.us/5a5MO.

٧٠. *رحمة الله الهندي*. موقع المكتبة الشاملة. تاريخ الاطلاع: ٢٠١٨/٠٣/١٢م. الرابط: http://shamela.ws/index.php/author/511

٧١. *الرسالة التدمرية*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، مصر، ط٢، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٧٢. *روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط*، إتين جلسون، ترجمة وتعليق: أ. د. إمام عبد الفتاح إمام، ط٣، مكتبة مدبولي، (د.ت).

٧٣. *روح المعني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني*، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

٧٤. *الزهد والورع والعبادة*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، الأردن، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٧هـ.

٧٥. *السلوك لمعرفة دول الملوك*، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، (د.ت).

٧٦. *سنن أبو داود*، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت).

٧٧. *سنن أبي داود*، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قرة بلل، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠، ٢٠٠٩م

٧٨. *سنن الترمذي*، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، ط٢، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م

٧٩. *السنن الصغرى النسائي*، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، (د.ت).

٨٠. *السنن الكبرى*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ ١٩٩٠م

٨١. *سير أعلام النبلاء*، شمس الدين بن الذهبي، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م

٨٢. *سيرة ابن إسحاق*، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، تحقيق: سهيل زكار، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م

٨٣. *السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية*، د. محمد مصطفى بن عبد السلام الدبيسي، رسالة دكتوراة، كلية الآداب – جامعة عين شمس، القاهرة إشراف: الأستاذ الدكتور عفت الشرقاوي عام: ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م

٨٤. *السيرة النبوية لابن هشام*، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٢، مصر، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

٨٥. *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية* ، محمد بن محمد بن عمر مخلوف، ط١، لبنان، دار الكتب العلمية ، (د.ت).

٨٦. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرنؤوط. ط١، (د.م)، (د.ن)، (د.ت).

٨٧. *شرح العقيدة السفارينية*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط١، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ

٨٨. *شرح العقيدة الطحاوية*، ابن أبي العز الحنفي ط٤، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ

٨٩. *شرح الكتاب المقدس*، القس أنطونيس فكري. تاريخ الاطلاع: ٢٠١٧/١٢/٢٤م. الرابط: http://cutt.us/huurq

٩٠. *شرح المقاصد في علم الكلام*، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، دائرة المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م

٩١. *شرح درة الغواص في أوهام الخواص*، أحمد بن محمد الخفاجي المصري، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، لبنان، دار الجيل، (د.ت).

٩٢. *شرح كلمة الثالوث الأقدس، التثليث*. موقع قاموس الكتاب المقدس، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٧/١٢/٢٤م. الرابط: https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks

٩٣. *شعب الإيمان*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ

٩٤. *الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء*، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

٩٥. *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، وآخرون، ط١، لبنان، دار الفكر المعاصر، سورية، دار الفكر، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م

٩٦. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

٩٧. *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٩٨. *صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ

٩٩. *صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

١٠٠. *الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ط١، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة، ١٤٠٨هـ

١٠١. *ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة*، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط٤، دمشق، دار القلم، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م

١٠٢. *طبقات الحفاظ*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣م

١٠٣. *طبقات الشافعية الكبرى*، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو طبعة ثانية، الناشر هجر، ١٤١٣هـ

١٠٤. *طبقات الشافعية الكبرى*، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود الطناحي، د. عبد الفتاح الحلو، ط٢، هجر للطباعة، ١٤١٣هـ

١٠٥. *الطبقات الكبرى*، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م

١٠٦. *طرق البحث العلمي أسس وتطبيقات*، أ. د. محمد أزهر سعيد السماك، دار اليازوري، (د.ت).

١٠٧. *العقائد الوثنية في الديانة النصرانية*، محمد طاهر التنير البيروتي، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، (د.ط)، (د.م)، مؤسسة الزهرة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.

١٠٨. *علم المعاني*، عبد العزيز عتيق، ط١، لبنان، دار النهضة العربية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م

١٠٩. *العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الرياض، مكتبة أضواء السلف

١١٠. *العواصم من القواصم*، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي، تحقيق: د. عمار طالبي، مصر، مكتبة دار التراث، (د.ت).

١١١. *العين*، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).

١١٢. *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، تحقيق: د. نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة.

١١٣. *غاية المرام في علم الكلام*، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د.ت).

١١٤. *غاية النهاية في طبقات القراء*، شمس الدين أبو الخير بن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، مكتبة ابن تيمية، نشر لأول مرة ١٣٥١هـ

١١٥. *الفتاوى الكبرى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م

١١٦. *فجر الإسلام*، أحمد أمين، ط١، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٩٢٩م.

١١٧. *الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دمشق، مكتبة دار البيان، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م

١١٨. *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، القاهرة، مكتبة الخانجي

١١٩. *قاموس الكتاب المقدس*، دائرة المعارف الكتابية المسيحية

١٢٠. *القاموس المحيط*، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م

١٢١. *القرءان الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة*، د. موريس بوكاي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٢، ٢٠٠٤.

١٢٢. *قصة الحضارة*، ول ديورانت، تقديم: د. محيي الدين صابر، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وأخرون، لبنان، دار الجيل، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م

١٢٣. *الكامل في التاريخ*، أبو الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين بن الأثير الجزري، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، لبنان، دار الكتاب العربي، (د.ت).

١٢٤. *الكامل في التاريخ*، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري لبنان، دار الكتاب العربي ، (د.ت).

١٢٥. *كتاب الإعلام*"، القرطبي، تحقيق: د. فايز سعيد عزام، رسالة دكتوراه بإشراف: بركات عبد الفتاح دويدار، جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٢٦. *كتاب إثبات نبوة محمد عليه السلام*، وهو الجزء الأخير من هذا الكتاب "الإعلام" وهو عبارة عن رسالة دكتوراه تم فيها تحقيق هذا الجزء من الكتاب، تأليف: أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي، المحقق: د. أحمد آيت بلعيد، لبنان، دار الكتب العلمية، جامعة كومبلوتونسي، مدريد

١٢٧. *الكتاب المقدس*، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل.

١٢٨. كشف *القناع عن* حكم *الوجد والسماع*، أحمد بن عمر بن إبراهيم أبو العباس الأنصاري القرطبي، ط١، مصر، دار الصحابة للتراث، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١٢٩. *لسان العرب*، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ

١٣٠. *لمع الأدلة في قواعد اعتقاد أهل السنة والجماعة*، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، تحقيق: فوقية حسين محمود، ط٢، لبنان، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

١٣١. *لمعة الاعتقاد*، أبو محمد موفق الدين بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ط٢، المملكة العربية السعودية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

١٣٢. *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٣٣. *مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة*، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط١، دار الوطن للنشر، ١٤١٢هـ

١٣٤. *متن القصيدة النونية*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤١٧هـ.

١٣٥. مجموع *الفتاوى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م

١٣٦. *محاضرات في النصرانية*، محمد أبو زهرة، ط٣، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.

١٣٧. *المحكم والمحيط الأعظم*، أبو الحسن علي ابن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م

١٣٨. *مدينة خلقدونية*، موقع الأنبا تكلا هيمانوت، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٨/٠٢/١٩م. الرابط: http://cutt.us/NzWTc

١٣٩. *المستدرك على الصحيحين*، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١٤٠. *المستصفى*، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٤١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

١٤٢. *المسيحية نشأتها وتطورها*، شارل جنيبير، ترجمة: د. عبد الحليم محمود، ط١، بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت).

١٤٣. *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول*، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط١، الدمام، دار ابن القيم، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م

١٤٤. *معالم التنزيل في تفسير القرءان*، تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ

١٤٥. *المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين*، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري،

١٤٦. معجم *البلدان*، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت، دار الفكر

١٤٧. معجم *اللغة العربية المعاصرة*، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، وفريق عمل، طبعة أولى، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

١٤٨. *المعجم الوسيط*، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة

١٤٩. معجم *مقاييس اللغة*، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م

١٥٠. *مفاتح الغيب/التفسير الكبير*، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب ب "فخر الدين الرازي"، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٥١. *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم، بيروت، دار الكتب العلمية

١٥٢. *المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام*، علي بن نايف الشحود،

١٥٣. *المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم*، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، ط١، (د.م)، (د.ن)، ١٩٩٦م.

١٥٤. *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي،

١٥٥. *مقامع الصلبان*، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، (د.ت).

١٥٦. *المقصد الأسنى في شرح أسماء الله تعالى الحسنى*، أبو حامد الغزالي الطوسي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، قبرص، الجفان والجابي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

١٥٧. من هو *آريوس*. موقع إرسالية ما نرساي الكلدانية الكاثوليكية. تاريخ الاطلاع: ٢٠١٨/٠١/١٧م. الرابط: http://www.marnarsay.com/Subject/Aruos.htm

١٥٨. *مناهج البحث في علم الاجتماع*، د. قباري محمد إسماعيل، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٢م.

١٥٩. *منهج أهل السنة في الرد على النصارى دراسة علمية من خلال جهود شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى*، عبد الراضي بن محمد عبد المحسن، ط٢، مصر، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ،١٩٩٥م

١٦٠. *منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات*، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط٤، الكويت، الدار السلفية، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م

١٦١. *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، يوسف بن تغري بردي الظاهري الحنفي، تحقيق: د. محمد محمد أمين

١٦٢. *الموسوعة العربية العالمية*، مجموعة من العلماء والباحثين، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، (د.ت).

١٦٣. *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،* يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، مصر، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب

١٦٤. *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، (د.ت).

١٦٥. *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،* محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، ط١، السعودية، دار القلم، دار الشامية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م

١٦٦. *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى*، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، السعودية، دار القلم، دار الشامية

١٦٧. *هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين*، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي، لبنان، دار إحياء التراث العربي

١٦٨. *هدية لعارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين*، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي لبنان، دار إحياء التراث العربي

١٦٩. *هل القرطبي المفسر هو مؤلف كتاب الإعلام بما في دين النَّصارى من الأوهام،* إبراهيم أبو الخيل، تاريخ الاطلاع: ٢٥/١/٢٠١٨م، الرابط http://www.islamtoday.net/ bohooth /artshow-86-521.htm

١٧٠. *هل بشَّر العهد القديم بمحمد* ﷺ، د. محمد بن عبد الله السحيم، ط١، (د.ت).

١٧١. *هل بشَّر الكتاب المقدس بمحمد* ﷺ؟، منقذ محمود السقار، ط١، دار الإسلام للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م

١٧٢. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر. (د.ت).

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
البقرة		
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ ... ﴾	٦٢	١٦١
﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ... ﴾	٩٧	١٣١
﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ... ﴾	١١٧	٩٤
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... ﴾	١٦٤	١٢٤
﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾	٢١٠	٢١، ٤٦
آل عمران		
﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيم يَهُودِيًا وَلَا نَصْرَانِيًا وَلَكِن كَانَ حَنِيفا مُسلما ... ﴾	٦٧	٨٨، ١٦٤
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ ... ﴾	٨١	١١٥
﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ ... ﴾	١١٤	١٦١
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ ... ﴾	١٦٩	٣٣
النساء		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ ... ﴾	١٣٦	١٦١
﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى ... ﴾	١٧١	٨٦، ١٠٧
المائدة		
﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا ﴾	٧٣	٨٦
الأنعام		
﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ... ﴾	١٠١	٩٣
الأعراف		

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ ... ﴾	٣٣	١٥٦
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾	١٨٠	٩٢
التوبة		
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ...﴾	١٢٨	١٦٧
الرعد		
﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾	٣٤	٤٣
إبراهيم		
﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٢٥	١٣٧
النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا ... ﴾	٣٦	١٦٠
﴿إن الله يَأْمر بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَان وإيتاء ذِي الْقُرْبَى وَينْهى ...﴾	٩٠	١٢٩، ١٣٩
﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٢٥	٦٩
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ ...﴾	١٢٦	١٦٧
الإسراء		
﴿اقْرَأ كتابك كفى بِنَفْسِك الْيَوْم عَلَيْك حسيبا﴾	١٤	٤٢
﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ...﴾	٤٠	٨١
(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا...﴾	٨٨	١٢٨
مريم		
(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا...)	١٦-٣٦	١٣٠
طه		
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	٥	٢٣

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾	٤١	١٧٠
﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	٤٣	١٧٠
الزخرف		
﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾	٨٧	١٤٩
الفتح		
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾	٢٩	١١٩، ١٤٨
الطور		
﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾	٣٥	١٥٨
القمر		
﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾	١	١٤٢
الصف		
﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾	٦	١٢٢
التحريم		
﴿مَلَائِكَة غِلَاظ شَدَّاد لَا يعصون الله مَا أمرهم ويفعلون ...﴾	٦	٤٣
القلم		
﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾	٣٥-٣٦	١٦١
الحاقة		
﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ...﴾	٢٠	٤٣
﴿ كُلُوْا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُم فِي الْأَيَّام الخَالِيَة﴾	٢٤	٤٣
﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ ...﴾	٢٥ -٢٩	٤٣
﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ *ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ *ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا...﴾	٣٠ -٣٢	٤٣

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس نصوص الكتاب المقدس

نص الفقرة	مكان ورودها	رقم الإصحاح/الفقرة	رقم الصفحة
"أَعْدَاءَهُ أُلْبِسُ خِزْيًا، وَعَلَيْهِ يُزْهِرُ إِكْلِيلُهُ"	مزامير داود	١٨/١٢٣	١١٦
"أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ"	سفر التثنية	١٨/١٨	١١٦
"اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ سِلاَهْ جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ"	سفر حبقوق	٣/٣	١٢٠
"إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ"	إنجيل مارقس	١٤/ ٢١	٤٤
"أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي"	إنجيل يوحنا	٥/٣٠	١٠٥
"إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ! كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَارًا؟ أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَد"	إنجيل يوحنا	٨/٣٧-٤٣	٨٨
"تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ، لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ"	سفر أشعياء	٥٤/١	١٢٠
"تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ"	سفر المزامير	٤٥/٣	٦١
"جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ"	سفر التثنية	٣٣/ ٢	٦٠
"حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ وَلاَ أَحْذِيَةٍ، هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ؟فَقَالُوا: لاَ. فَقَالَ لَهُمْ: لكِنِ الآنَ، مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا"	إنجيل لوقا	٢٢/٣٥-٣٦	١٦٧
"سَبِّحُوا الرَّبَّ يَا كُلَّ الأُمَمِ. حَمِّدُوهُ يَا كُلَّ الشُّعُوبِ"	سفر المزامير	١١٧/١	٦١
"غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالْجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا، لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا، لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ"	سفر أشعياء	٤٢/١٠-١٢	١١٩

نص الفقرة	مكان ورودها	رقم الإصحاح/الفقرة	رقم الصفحة
"فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ"	إنجيل متى	١٩/٢٨	٧٦
"فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ، وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ	سفر أشعياء	١٥/٢١	١٦٦
"فجاء واحد من الكتبة و سمعهم يتحاورون فلما رأى انه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد"	إنجيل مرقس	١٢/ ٢٨-٢٩	٥١
"فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ"	إنجيل متى	٦/٩-١٠	٨٨
"فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ	إنجيل متى	٢٦/ ٤٢	١٠٦
"قَالَ لَهَا يَسُوعُ: لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي، وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ"	إنجيل يوحنا	١٧/٢٠	٩٨
"قَائِلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ، وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ"	إنجيل لوقا	٢٢/ ٤٢	٩٨
"لِيَبْتَهِجِ الأَتْقِيَاءُ بِمَجْدٍ لِيُرَنِّمُوا عَلَى مَضَاجِعِهِمْ تَنْوِيهَاتُ اللهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ"	سفر المزامير	١٤٩/ ٥-٧	١١٩
"مِنْ صِهْيَوْنَ، كَمَالِ الْجَمَالِ، اللهُ أَشْرَقَ"	سفر المزامير	٢/٥٠	٦١
"وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ"	إنجيل يوحنا	١/ ١٤	٩٩
"وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً"	سفر التكوين	١٧/ ٢٠	٦٠
"وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ "	إنجيل مرقس	١٣/ ٣٢	١٠٠
"وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ،اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ"	إنجيل يوحنا	١/١٢-١٤	٩٩

نص الفقرة	مكان ورودها	رقم الإصحاح/الفقرة	رقم الصفحة
"وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ"	سفر التكوين	١٦/ ١٢	٦١
"وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللهِ"	إنجيل مرقس	١٦/ ١٩	١٠٠
"إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ.."	إنجيل يوحنا	١٤/١٥_١٧	١٢١
"وَيَمْلِكُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ أَمَامَهُ تَجْثُو أَهْلُ الْبَرِّيَّةِ، وَأَعْدَاؤُهُ يَلْحَسُونَ التُّرَابَ، مُلُوكُ تَرْشِيشَ وَالْجَزَائِرِ يُرْسِلُونَ تَقْدِمَةً، مُلُوكُ شَبَا وَسَبَأٍ يُقَدِّمُونَ هَدِيَّةً، وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ، كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ، لأَنَّهُ يُنَجِّي الْفَقِيرَ الْمُسْتَغِيثَ، وَالْمِسْكِينَ إِذْ لاَ مُعِينَ لَهُ"	المزامير	٧٢/ ٨- ١٣	٦١